

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الوظائف السُّلْطانية في المغرب والأندلس من
القرن السابع الى القرن التاسع الهجريين
(13 – 15 م)

إشراف الأستاذ الدكتور
بلعربي خالد

إعداد الطالب
عمارة سيدي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. بلعربي خالد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. شخوم سعدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. قاسمي بختاوي	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
د. ليبدري بلخير	أستاذ محاضر -أ-	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. شوالين محمد سنوسي	أستاذة حاضر-أ-	جامعة وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م.

هذه الدراسة تُعالج قضية الوظائف القريبة من السلطان والملك، في صورة الوزير والحاجب والكاتب في المغرب والأندلس، من القرن السابع إلى التاسع الهجري (13 - 15 م) المتناحرة يومئذ، وكيف انتقل هؤلاء الأعوان من التنفيذ المجرد، إلى التفويض المطلق. فالسلطان أو الملك أو الأمير، لا يستطيع تنفيذ معالم سياسة دولته وحيد، بل لابد له من مساعدين مخلصين، ينصحون ويُنفذون أوامره، ويكون ولاءهم له لا غير!.

Research Summary:

This study deals with the issue of jobs near the Sultan and the King, in Islamic history, especially from the seventh to the ninth century AH (13-15 AD), the rivalry on that day, and how these agents moved from abstract execution to absolute authority.

The Sultan, the King or the Prince can not implement the parameters of his country's policy alone, but he must have sincere helpers who advise and carry out his orders, and their loyalty is no less!



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ ثُمَّ عَلَّمَهُ
الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ
مِنْ طِينٍ ثُمَّ عَلَّمَهُ
الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَ

الإهداء:

إلى والديّ و أسرتي الكريمة.

إلى كل من أحبني في الله.

إلى كل من أحببته في الله.

إلى إخواني من طلبة العلم

كلمة شكر وامتنان

الحمد لله كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه... عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته.

ثم أقدم جزيل الشكر العاطر للمُشرف الأستاذ الدكتور: خالد بلعربي جزاه الله خيرا، وزاده فضلا، وأكرمه نُزلا، وأرجو أن تكون له يدٌ يُكافؤه الله عليها يوم القيامة على ما قدم لي.

كما أنّ جزيل شكري وامتناني يتوجه إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، من أستاذ وطالب، من الجزائر الحبيبة، وخارجها من تونس ومصر والمغرب والعراق والأردن...

كما ولا يفوتني أن أشكر إدارة قسم العلوم الانسانية على كل التسهيلات التي قدموها لي، وعلى رأسهم السيدة " زاجية " جزاها الله خيراً.

قائمة الرموز:

ج: الجزء

- مج: المجلد / مجموع

د ت: بدون تاريخ الطبع - دط: دون تاريخ الطبعة

ط، أخ: طبعة أخيرة - ط خ: طبعة خاصة

س: السفر / السنة - ق: القسم

ك: الكتاب - ق م: قسم الموحدين

موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

د ن: دون ناشر - تق: تقديم

تر: ترجمة - تع: تعليق - قرا وتع: قراءة وتعليق

ع: العدد / العصر - ع ت: عدد تجريبي

تص: تصحيح - تق وتحق: تقديم وتحقيق

در وتحق: دراسة وتحقيق - مر: مراجعة

م ت: مقدمة التحقيق

ق م: قسم الموحدين

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إنَّ موضوع الوظائف السلطانية من المواضيع الهامة، في حقل الدراسات التاريخية المتعلقة بالفترة الوسيطة، فهي تتمحور حول أعوان السلطان، من الموظفين السامين، الذين يتولون مع أو تحت أو قريبا من السلطان، فينفذون الأوامر، أو يرسمون السياسة، أو كلاهما.

فالسُلطان أو الملك أو الأمير، لا يستطيع تولي دفة الحكم وحيدا، فحتَّى الأباطرة والحكام المستبدون، الذين ملئت صفحات التاريخ أخبارهم، لم يُسمع قط أنهم استغنوا عن اتخاذ أعوان وأعيان، يمثلون دعائم الحكم، ومفاتيح نجاح السياسة، وضمان استمرار السلطة، فمتى اختلت تلكم الأركان، اختلَّ رأس الهرم وتداعى بنيانه، وآل الى السقوط.

ارتبط ظهور الوظائف السلطانية بظهور البشرية، خصوصاً مع انبثاق نظام الفرد والجماعة، والخضوع لسلطة الأقوى والأعلى. فلما جاء الاسلام أقرَّ من الأحكام والمعاملات، ما كان حلالا يُخدم الانسان ويُقرِّبه إلى ربه تعالى، فاشتهرت وزارة أبي بكر وعمر، وإنَّ في صورتها السهلة غير المعقدة أو المتكلفة، ومع مرور الوقت وتعاقب الدول الاسلامية شرقا وغربا، وانتشار البنيان وبني الانسان، واختلاط العرب بالعجم، إكتمل ظهور هذه الوظائف بصورتها الادارية، وقُعدت شروط توليها ومهامه متوليها.

من هنا يندرج موضوع بحثنا الموسوم بـ " بالوظائف السلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع الى القرن التاسع الهجريين 13 - 15 م "

إنَّ لهذا الموضوع أهمية كبيرة في اماطة اللثام، عن الكثير من الحقائق التاريخية، المتعلقة بهذه المناصب السامية في الدولة، بل! وخطرهما، خصوصاً في فترة ورقعة البحث؛ التي قامت فيها أربع دويلات (بنو حفص وزيان وميرين والأحمر)، في جو مشحون بالخطر والترقب، والتوسع والتطاحن والجري وراء كسب الشرعية، بعد دولة الموحدين، فضلا عن الأهمية القصوى لاستتباب الأمن داخل الدول الجديدة، فرض على السلاطين الجدد الحاجة، لحكومات تساعد على ضبط سياسات بلاطهم الناشئة، وتشريع المراسيم، ومخاطبة الرعية والجيران، وقمع المتمردين وتأديب الثوار الخارجين. فالسلطان يحتاج من يضبط عسكره وجنده، وماله، ولسانه، وبابه.

ولقد وقفنا في مسيرة إعداد هذا البحث على كتابات سابقة قديمة وحديثة، تحدثت في جملتها عن موضوعي، كلٌّ في تخصص معين؛ فبين من تكلم عن النظام والسلطة، وبين من تكلم عن دويلات ما بعد الموحدين، وبين من أشار إشارات هنا وهناك عن الوظائف السلطانية ومن تولاها.

وإنَّ ما كُتِب، عادةً ما يتحدث عن الوضع السياسي بنحو عام، بذكر أمجاد الدولة وحياتها، دون إبراز الدور المحوري لأعوان السلطان، من الوزير وال كاتب والحاجب إلأً ثانوياً، أو في ظل الأمير والملك والسلطان، وحتى من ذكر هؤلاء الأعوان، فإنما يذكرهم لإحصاء ما، أو لإبراز مجرد براعة عندهم، في أدب

وفقه ونحوه، مع إغفال دورهم ومركز وظيفتهم في بلورة سياسات بلاطاتهم. فضلاً عن اختيار رقعة بعينها أو دولة ما. على غرار ما كتبه الباحثة: جميلة سبطي المسعودي: "المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة (621هـ) وحتى سنة (893هـ).

ولا يمكن بحال إنكار بعض الكتابات المهمة، التي احتوت خبر أعوان السلطان، وأحوال توليهم، على غرار، دراسة روبر بارنشفيك الشهيرة: "تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م"، الجزء الأول والثاني. والتي أضحت جزءاً أساسياً من تاريخ بلاد المغرب والأندلس، خصوصاً ما تعلق بالدولة الحفصية، وأطوارها وأدوارها.

فخلال الجزء الأول روى الباحث، التاريخ السياسي للدولة منذ نشأتها، وتعرض لقضية النسب، وسار سريعاً بين الملوك وأطوار حياة الدولة، ونزاعات البيت الحاكم، وأطراف المؤامرات وضحاياها، وهذا طبعاً كله أفاد البحث، مع تحفظات عن النظرة الغربية التي يحملها الباحث.

وأما الجزء الثاني فإنه كان أوضح في الحديث، عن النظام السياسي والإداري، بداية من السلطان إلى أعوانه من الوزير والحاجب والكاظم، مراتبهم وصفاتهم ومهامهم ونفوذهم في القصر... ثم من دولهم. مع ما يؤخذ عليه من التعقيد في استخدام المصطلحات، والإغراق في الشرح والاستطراد، المفوضي إلى تشتيت القارئ فضلاً عن الباحث.

يأتي بعدها رسالتي في الماجستير "هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7 هـ / 13 م) ودورهم الثقافي"، والتي تخرجت بها، وكنت قد تناولت فيها بالبحث والشرح والمثال، اختيار الموحدين وبرز مملكتي بني حفص وزيان، كوريثتين على المغرب الأدنى والأوسط، وما صاحب ذلك من اختيار لحواضر المسلمين العظمى في الأندلس، ما نتج عنه هجرات بالملئات نحو بلاط المملكتين، ليتولوا بكل سهولة وظائف سلطانية، من قبيل الوزارة والحجابه والكتابة، وما كان لذلك من أثر إيجابي وسلبي على القرار السياسي.

على أن الافادة توقفت عند القرن السابع الهجري 13 م فقط، ولذلك جاءت دراستي الآن لتتمة العمل والاضافة عيه.

ومن المراجع المهمة في الموضوع، ما كتبه بوزياني الدراجي: "نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية"، وهو برأيي - ولست الوحيد في ذلك - أجراً وأهم دراسة عن موضوع الوظائف السلطانية رُقعة وتاريخاً. إذ وضع الكاتب حُطوطاً عريضة، وفتح الباب لكل باحث بعده، للحديث عن الموضوع والزيادة عليه.

على أنّ هناك ملاحظات عند كلامه عن وظيفة الحاجب العبد وادي مثلا، إذ نرى بوضوح إكثار الكلام عن الوظيفة عند بني مرين وحفص، نظرا لقلّة المعلومات ربما بومئذ.

وكذلك ما دونته: هبة محمد عبد حال في بحثها للماجستير، الموسوم بـ: "النظم السياسي والحربية في مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر". التي تعرضت لتاريخ الأندلس في فترة حاسمة وأخيرة منذ الفتح. حيث قامت دولة الأحمر بالدفاع عنه رداً من الزمان، منذ تأسيسها وحتى سقوطها النهائي. وتناولت الدراسة نظم الإدارة في الدولة النصرية، بداية من كيفية تنصيب أمير المسلمين، ووصولاً إلى نظاميّ الوزارة والحجابه، وشروط تولي الوظيفتين، وأهم الصلاحيات والمهام، والفترات التي طغى فيها نفوذ الوزير في الدولة، فصار الأمر النهائي، وضمّ إلى صلاحياته الحجابه، ومآلات ذلك على الدولة ككل. ويأتي عقب ذلك أيضاً: هيثم محمد محمد السائيس من خلال رسالته في الماجستير: "الحجابه في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة بني مرين". وتناول صاحب الدراسة، موضوع الحجابه في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة بني مرين، وما أفادني كثيرا هو شمول الدراسة وتركيزها على المنصب في دول ما بعد الموحدين، ومكانتها، ودور متوليها، وأثرهم في استقرار البلاطات من عدمها، واستثنت الدراسة بني الأحمر، باعتبارهم خارج الرقعة الجغرافية للمغرب.

وعلى الرغم من القواسم المشتركة بين هذه الدراسات - الجادة - وعملي، إلا أن موضوع أثر ودور الوظائف السلطانية في المحافظة على استقرار البلاط من عدمه، وكذا صناعة النسيج والقرار السياسي، لفترة الدراسة خصوصاً، لا يزال يحتاج جهداً خالصاً واضحاً، وهو ما أزعجني أي دراستي احتوته. ويبقى الموضوع في نظري جديراً للمهتمين، بمزيد البحث والتنقيب خصوصاً، إن أُفرد الكلام عن وظيفة أو دولة أو مدة معينة.

تتمحور الإشكالية في البحث التي عملنا على الإجابة عليها، في معرفة مدى الأهمية السياسية التي اكتسبتها الوظائف السلطانية، خصوصاً منها الوزارة والحجابه والكتابة، وكيف كان تأثيرها على من تولّاها، وما نتج عنه من تشكيل النسيج السياسي لبلاطات ما بعد الموحدين، من خلال توجيه السياسات العامة للدويلات القائمة في فترة الدراسة.

ويتفرع عن هذا الاشكال الرئيسي عدّة أسئلة منها:

- ماهي طبيعة النظام السياسي في الاسلام خصوصاً؟، وما مفهوم النظام والسياسة، والنظام السياسي في الاسلام؟، وماهي مقوماته؟.

- كيف كانت الحالة السياسية للمغرب والأندلس خلال فترة البحث؟ وماهي أبرز النتائج التي أفرزها تراجع سلطان الموحدين في المغرب والأندلس؟، وما نتج عنه من انخيار دولتهم على يد عمّالهم

وموظفيهم، ومنْ حَصُّوهم بالخلوة والمشاورة والنصرة، وتقسيم أراضي الامبراطورية بين بلاطات مسلمة أشهرها وأطولها عُمرًا أربعة، وأخرى نصرانية سُرعان ما شَمَّرت كل واحدة - خصوصا النصرانية - للظفر بالنصيب الأوفر من هذه التركة، بينما انشغلت بلاطات المسلمين بالتقاتل الداخلي والإقليمي وغرقت في فوضى سياسية ومؤامراتٍ ملكية، وإنْ تخللها فترات قوة وصفو ووحدة ضد النصارى.

- ماهي التعاريف الاصطلاحية الدقيقة للوظائف السلطانية؟، وماهي أبرز هذه الوظائف والخطط؟، وكيف تطورت تاريخيا؟، وماهي المكانة التي اكتسبتها هذه الوظائف في المغرب والأندلس خلال فترة البحث؟، وأسباب تحولها من مُجرد مهام إدارية، إلى مناصب حساسة، تقطع رؤوسا وتُقطع فيها رؤوس؟.

- من هم أشهر الأعلام والبيوت الذين أُسندت إليهم الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس في فترة الدراسة؟، وماهو الأثر الذي أدَّته هذه النُخب في توجيه سياسات الممالك؟.

وعليه فأطوار البحث لكفيلةٌ بالإجابة عن هذه الأسئلة وما تفرع عنها، سيما وقد كان دافعي لاختيار هذا الموضوع جملة عوامل وأسباب منها:

- قلَّة الدراسات التي أُفردت له من ناحية الرقعة الجغرافية أو المدة الزمنية، رغم أهمية الموضوع، كون أن هذه الوظائف السلطانية، أثَّرت بشكل أو بآخر على سياسات دول ما بعد الموحدين وقراراتها.

- أهمية الرقعة الجغرافية والفترة الزمنية من القرن السابع الى التاسع الهجري (13 - 15 م)، فإنها ثلاثة قرون شهدت تحولات جوهرية. فقيام دولٍ على أنقاض أخرى، وتقلص مخيفٍ لرقعة الاسلام في الأندلس، وإشتعال ما بقي من أراضي الجزيرة ومعها بلاد المغرب بالثورات الحارقة، والتمردات الخائفة، وزاد الطاعون فأتى على ما بقي من الأخضر واليابس وجليب الأنفس.

- ميلي الشخصي لمثل هذه المواضيع التي تؤرخ لتاريخ المغرب الاسلامي الوسيط.

- اعتباري الشخصي أن فترة الدكتوراه ومُخرجاتها، هي تنويجٌ لمسيرتي الدراسية والبحثية المستمرة منذ الماجستير، عن بلاد المغرب والأندلس سياسيا وحضارياً.

وهاهي دراستي تخرج للنور مستفتحةً إياها بفصل تمهيدي أسميته: (النظام والسلطة في الاسلام دلالة المصطلح وأهمية المؤدى).

تناولتُ في المبحث الأول بالشرح والمثال أهم مصطلحات البحث لغة وفي الاصطلاح، على غرار النظام والسياسة، واجتماعهما في حياة البشرية عموما، مع التركيز على المنظور الإسلامي السموح والعميق في مبناه ومعناه. وكونه مجموعة القواعد التي شرعت من لدن حكيم خبير، لتنظيم الحياة ومناحيها ضبطا ونظاما،

من خلال تبيني - مع الشرح والإجمال - للغايات والمنطلقات، والخصائص السامية للنظام السياسي في الاسلام، دون نسيان القواعد والأسس التي عليها قيامه ومداره.

وأما **المبحث الثاني** فخصصته للحديث عن أركان الدولة ومقوماتها الأساسية، وهي الشعب والرقعة والسلطة، وأسهبْتُ - ولا لوم علي - في الحديث عن السلطة، أو القوة أو الحكومة من الجانب اللغوي والاشتقائي، ومحل الورود في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، فبين إيراد باللفظ، وبين إيراد بالاشتقاق والنسبة، مع بسط أقوال المفسرين في الآيات محل الورود فيها. ثم جمع ما تقدم كأنه خرزات وجواهر، ونظمتها في سلك التعريف الاصطلاحي، فجمعتُ وأوعتُ ومنعتُ.

وبعد ذلك انتقلتُ الى بيان أنواع السلطة في الاسلام، وبينتُ أنَّ الاستقلالية تميزها عن تسلط ذي القوة والحكم، وأنَّ مرجع ذلك صحيح الفعل النبوي، والهدي المصطفوي، خصوصاً في مجتمع المدينة النبوية، حيث قامت الدولة، وصارت الجولة، وتمت النعمة. وأن الحكمة الالهية، والطريقة الربانية، اقتضى للناس الفصل بين السلطات والصلاحيات. حتى يقوم الناس لله بالقسط والعدل.

وأما **المبحث الثالث** فخصَّصته لبيان أهمية السُّلطة في المجتمع الاسلامي خصوصاً، والانساني عموماً، فإن الانسان عرف القوة وخضع للأقوى حتى قبل أن يعرف للدولة قياماً، ولذلك تظهر أهمية ضبط السلوكيات وتنويع العلاقات بين الأفراد والحكام وبين الهيئات والدول حال السلم وحال الحرب.

وهنا انتقلتُ تسلسلاً إلى توضيح الحكم الشرعي، في جانب أهمية السلطة والنظام وإيجادها، أحلال فيتبع أم حرام فيمنع!، ووجدتُ جمهور المسلمين - في عمومهم - يرى بوجوب السلطة والنظام لا مجرد حِلِّها! لما وجوده من الهدي النبوي، في إقامة من ينظم حياة الناس، ويأخذ على يد الظالم منهم وينصف المظلوم. وخصائصها ذات العلو والفوقية والسيادة وغيرها...

سيجد القارئ الكريم أي فتحت قوساً في المتن، وأتبعته في الهامش بالحديث عن فرقة الشيعة أو الرافضة، ونظرهم الشاذة للإمامة وعقيدتهم الباطلة المنحرفة مع المثل والنقاش، وما ظلمناهم...!

وختمْتُ الفصل بالتهديد والوعيد لمن فرح بتولي السلطة، وحكم رقاب الناس، وأنه مسؤول بسؤال الله والرعية، فسُنقت جمعا مباركا من الاحاديث النبوية، لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم خصصت **الفصل الأول** ل: (الأوضاع السياسية في المغرب والأندلس من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري 13 - 15م).

وفي هذا الفصل المهم تناولت بالبحث والتلخيص، الحديث عن الرقعة الجغرافية - المغرب والأندلس - وهي مساحة واسعة ممتدة، وهو ما وضّحته في **المبحث الأول**: المغرب والأندلس ودلالة المصطلح، فالجناح المغربي يُقابل نظيره المشرقي، تعددت أسماءه، وعرف تقسيمات تاريخية، أدنى وأوسط وأقصى، مع اختلاف المؤرخين في ضبط حدوده، نظراً لتغيرها في كل فترة، تبعاً لمنطق الزمان وحروب الأنام !.

وأما الجناح الأندلسي فإنه لم يزل منذ سقوط سرقسطة، يتناقض ويتضاءل حدّه وشقه، إلى أن انحصر في مملكة صغيرة أقصى جنوب الجزيرة، حافظت ما شاء الله، أن تحافظ على بقاء الاسلام وعزة أهله رداً من الزمن.

وعلى أرض المغرب والأندلس قامت الحروب والخطوب، وبُئيت الحضارة، وسالت دماء بريئة، وتقاتل الوزراء والحُجّاب، على المكانة الراقية في بلاطاتها، وتفتقت قرائح الشعراء وكتاب البلاط، مدحا ووصفا وخدمة.

وعليه انتقلت بالقارئ في تسلسل متناغم، إلى **المبحث الثاني**: دراسةً سياسيةً لورثة الموحدين، وفيه تعرضتُ للتعريف بممالك بني حفص وزيان ومربين والأحمر، من ناحية نسب المؤسّسين، وما صاحبه من هالة كبيرة لمحاولة إثباته لكل طرف، وإيصاله إلى البيت النبوي الكريم، نظراً لما يوفره من شرعية دينية، وزعامة روحية، تصرف الوجوه، وتلوي الأعناق !.

وبعد قضية النسب، تبرز ظروف تأسيس الدولة، وهي لم تخرج عن عاملين أساسيين، لخصّتهما من مصادر الدراسة بين ضعف الموحدين، وانحلالهم منذ هزيمة العقاب، والأدوار التي أدّأها مؤسسو الممالك في البلاط الموحد، فأكسبتهم المكانة والوجاهة، فارتقوا في المناصب، وحازوا ثقة الخلفاء، لقوة الإدارة، وشِدّة البأس في مواجهة الثورات، التي هددت الكيان الموحد. وهو ما أعطى المؤسّسين الأوائل الحجة، لبناء ممالك تراث أكبر رقعة. وعبثاً حاول الموحدون مُدارة أعوانهم، وتُخدمهم بمنحهم الحكم الذاتي، وهم الذين تعاضم نفوذهم، فاستقلّوا بالبلدان، ومضى الأمر إلى وراثة الوريث..

وفي المبحث الثالث، تناولت بالدراسة والتلخيص العلمي الموثق: أهم المراحل التاريخية لكل دولة، ومميزات كل مرحلة. فبين فترة التأسّيس الصعبة بين شركاء متشاكسين، وتشبّث الموحدين بشرعيتهم إلى القتل، فضلاً عن تحديات الخارج، واستئساد النصارى !. وبين فترة القوة والازدهار، واشتداد العود، نظراً للاستقرار وقوة الملوك الأوائل، حيث أعوانهم تُخدمهم لا غير !.

ثم فترات الانحلال والظلام التي تلت وفاة الملوك العظام، وتولّي الضعاف أو الفسقة أو الصبيان في كنف الوزراء والحُجّاب، الذين انتقلت السلطة إليهم، نظراً لما تحمّلوه من مشاق جسام، للمحافظة على استمرار

الحكم، وبقاء المملكة، ما أعطاهم قوة، ونفوذاً خطيراً، بل وأضفى عليهم شرعية، خوّلتهم إقامة دولهم الخاصة، كبنو وطاس مع بني مرين.

ثم أفردت الفصل الثاني لـ: (تطور الوظائف السلطانية تاريخياً من عصر النبوة إلى القرن السابع الهجري 13 م).

وفي هذا الفصل المهم تناولت بالبحث والتلخيص، الكلام عن حقيقة الوظائف السلطانية، وأبرز هذه الخطط والمهام السامية، وكذلك الأهمية التي اكتسبتها في حياة الدول الإسلامية. مع بيان التطور التاريخي لهذه الوظائف، والذي تقلب وتقلد الدرجات والنفوذ، تبعاً لطبيعة العلاقة بين الحاكم والمُنفذ، فمتى قويت شوكة الحاكم، اختفى الموظف في ظله، خوفاً على نفسه من القتل والتشريد، ومتى ضعفت قبضة السلاطين، استبد عليهم الأعوان من وزراء وكتّاب وحُجّاب.

ففي المبحث الأول، قُمت بتقديم شرحٍ لماهية الوظائف السلطانية، وكونها تلك المناصب والخطط، التي كانت في أعلى سُدة الحكم، إلى جانب الملك والسلطان، تعضده وتنفذ أوامره. وزعمتُ - نظراً لما ورد في المصادر - أن هذه الوظائف السلطانية لم تخرج عن ثلاثة، وقد تندرج تحتها، أو تُضم لها غيرها. وهذه الوظائف هي الوزارة والحجابه والكتابة. وهنا انتقلت إلى توضيح أهمية هذه الوظائف السلطانية في حياة الدولة، وكون هذه الخطط السامية، عصبٌ للحكم في الدولة، ومركز نجاح القرار السياسي، واستمرار بقاء قوة البلاط. مع ما في ذلك من خطر حصول الاستبداد، من مؤسسة الوزارة أو الحجابه، حين ضعف السلطان. خصوصاً مع ظهور شخصيات، تمتعت بالنفوذ والقوة والخبرة، ما أهلها إلى الجمع بين كل الوظائف السلطانية، والزيادة عليها، كابن عاصم الغرناطي مثلاً، والتحكم الكامل في القصر ومُقدراته، وساكنه وقراراته!.

وأما المبحث الثاني، فخصصته لبيان التطور التاريخي لكل منصب في الدول المتعاقبة مشرقاً ومغرباً، ومدى تداخل الصلاحيات الذي حصل بين تلكم الوظائف، وكذا ظاهرة تولي شخص واحد لأكثر من وظيفة لِمَا علا الاستبداد والقهر في القصر وساكنه.

ويلي ما تقدم الفصل الثالث عن: (أهم الوظائف السُلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري 13 - 15 م).

وفيه رصدتُ مكانة هذه الوظائف السلطانية في البلاطات الأربع، بنو حفص وبنو زيان، وبنو مرين وبنو الأحمر. في فترة الدراسة التي شهدت مراحل تأسيس وقوة وعنفوان، تلاها ضعف وانحيار، وإن تحلله بعض الفترات من الانتعاش السياسي والحربي. كما وضّحتُ كيف تقلبت الأحوال، بالأعوان وكبار الموظفين

بين التنفيذ المجرد، إلى التفويض المطلق، وما كانت نتائجها وآثاره على صناعة القرار السياسي وبلورته إيجاباً وسلباً.

ففي المبحث الأول بينتُ مكانة الوزارة في كل بلاط، وأن الوزير غالباً ما كان الرجل الثاني في القصر، يختصه السلطان بما لا يختص به غيره. ولاربيب إذن أن يُختار على أساس شروط ومعايير خاصة بدتْ متشابهة إلى حد ما بين البلاطات المدروسة. كما تعرضتُ لمهام الوزير أو الوزراء، التي تقلبت تبعاً لظروف كل مملكة بين العمل السياسي والحربي تأديباً وانقلاباً!.

وأما المبحث الثاني فدونت فيه الكلام عن وظيفة الحاجب في كل بلاط، وأنه غالباً ما كان يحتل ثاني المراتب في سلم الوظائف السلطانية، إذ يتولى حفظ عورات السلطان، وماله وحرمة وطعامه، فلا ضير إذن! أن يُختار بين الآلاف واحد أو نخبة، تسهر على أمن السلطان وراحته، وهذا ما سيكون مبرراً لاحقاً، للاستبداد على الحاكم ومملكته حين الصبا، وقلة الحيلة وضعف الشخصية، فيجمع بيده أكثر من سلطة ووظيفة من كاتب ووزير، وقائد وأمير.

وأما المبحث الثالث، فخصصته لوظيفة الكاتب، الذي يُلقى السلطان إليه بسرّه وعلامته وتوقيعه، ورده ومراسلاته داخل المملكة وخارجها، فهو – أعني الكاتب – لسان حال المملكة، وناطقها الرسمي، فلا ريب أن يُختار من عليّة الأدباء، وزينة العلماء، عارفاً بالدراية والرواية. ليقوم بمهامه الرسمية على الوجه الأتم الأكمل، وقد يكون واحداً، وقد يتعدد الكتاب الحفاظ، وأحياناً يرتفع حال الوظيفة حتى تجمع إليها غيرها من الوزارة أو الحجابة رداً للدّين!.

وختمت الدراسة **بفصل رابعٍ أخير عن:** (نماذج من الشخصيات التي تولت الوظائف السلطانية في المغرب والاندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري 13 – 15 م).

تناولتُ في **مباحثه الأربعة**، تفاصيل حياة أربعة أعلام صنعوا تاريخاً عظيماً، بجمعهم بين الموسوعية في العلم والأدب، والعمل في الوظائف السلطانية، في أعلى مناصب الدولة جاهاً ونفوذاً، صحيح أنّ التاريخ وسع غيرهم ذكراً، ولكن كل واحد منهم مثّل في سيرته، وأحواله مدرسة في أخبار السياسة، وأحوال الحكم والنفوذ والكياسة، ونهايات مأساوية، سبقتها أخطار وأهوال، وسجون وشجون!..!

وفي كل مبحث تطرقت لاسم المترجم ونسبه، والمولد والنشأة العلمية، ثم طبيعة الوظائف التي تولّاها، وما انبثق عن ذلك من خصوصيات المسار الحياتي والمهني، من هجرة أو نكبة أو تهجير أو تعزيز..

وجاءت **الخاتمة** تنمة لفصول البحث كأنها عقدٌ، جمعت جواهره، مزينة بنقاط تُلخص أطوار البحث، وتستخرج الفوائد المكنونة، وتقتنص النتائج.

وكان لا بد لي كباحث في طريق الإجابة عن هذه الأسئلة، المنهج التاريخي القائم على الاستقراء والتحليل، ومنهج الاحصاء، بتتبع المصادر المعاصرة أو القريية من الدول، واستخراج ما حوته من معلومات، عن الوظائف السلطانية ومتوليها، قلّت أو كثرت، كاللمحة البدرية وروضة النسرین مثلاً، بالإضافة إلى اتخاذ منهج تحليلي لفهم المصادر، واستنتاج المعلومة في ضوء العبارات، والكلمات المتناثرة هنا وهناك، مع الحكم على قائلها واستخداماته لها، خصوصاً من تولى الوظائف والتأريخ للبلاط. ويُتّم ذلك كله بالتعليق بما بدا لي من تصويب أو غيره، فالنص التاريخي تلزمه رؤية في القراءة، وتأنّ في الحكم، وجمع للمعلومات من مظانها قبله!، والقراءة للمتخصصين مصدراً أو مرجعاً أو مقالة.

و في نهاية البحث أرفقت ملاحق، تزيد البحث وضوحاً وبيانياً، على غرار خريطة المغرب والأندلس خلال فترة البحث، كما اقتطفت من مراسلات الوزير ابن الخطيب مع أقرانه في الوظيفة.

دراسة لأهم مصادر ومراجع الأطروحة:

في جانب المصادر المعتمدة في بحثي، فسيري قارئني ما فتح الله علي به من الكتب، والمراجع والمقالات المتخصصة، التي تعبت وأتعبتُ الناس من حولي للحصول عليها.

وأنت تراني في كل مبحث أو فصل أُطلُّ بأكثر من عنوان، غير ما اعتمدتُ عليه فيما سبقه، وليس من غرضٍ إلا اكتمال الصورة عن الموضوع، من خلال النظر إليه من عدة زوايا مختلفةٍ وروايات متعددةٍ.

1 - المصادر:

أ - كتب التاريخ العام:

عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - الجزء السادس والسابع -: تناول فيه هذا الموظف السامي، أخبار البربر وما كان في ديار المغرب خاصة من الملك والدول، وهو ما أفاد الدراسة كثيراً، لغزارة المعلومات وترتيبها، ودقتها وشموليتها، من خلال تناول الحياة السياسة للبلاطات الأربع، عشية أُول دولة الموحدين، وذكر ما جرى وكان من الأحداث، والفتن والحروب ودور الوزراء، والكتاب والحجاب في إنجاح سياسات مخدويهم، ولاحقاً في رسمها بعد أن استبد من استبد منهم بقصره ومليكه، وما شاع من الاعتقالات والمؤامرات... والله الامر من قبل وبعد!

إنَّ ابن خلدون كان يكتب تاريخه بعد أن اختار الابتعاد نهائياً عن السياسة... بعد أن تجول بين البلاطات الأربع، لقوة زاده وسابقة عائلته في الخدمة الملوكية. فخدم هنا وخدم هناك، وانقلب ولأهه مرات وكرات، وتآمر على من أحسن إليه... كل ذلك بشهادته وإقراره، وكم تعرض لأهوال وأخطار بسبب ذلك. من هنا نستطيع أن نتفهم سر دفاعه عن بلاط، وحنقه على بلاط آخر، رغم كل المصادقية التي حاول الظهور بها، ولعل إثبات قضية النسب الفاروقي لبني حفص لخير مثال، وأخباره مع أبي حمو الثاني خدمة وانقلاباً.

عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة: تناول هذا المصدر فلسفة التاريخ والعمران، وعلاقة ذلك مع طبائع الناس، وعُدَّ أول مؤلف حوى أسس الاجتماع. وقد أفادني هذا المصدر كثيراً عند التعريف بالوظائف السلطانية، وتطورها التاريخي عموماً، وفي المغرب والأندلس خصوصاً، وأخصَّ منه فترة الدراسة، مع ما وفره من إمكانية مقارنة الوظائف في البلاطات الأربع، ونفوذ متوليها، لا سيما وقد تولى المؤلف وزامل وناظر كثيراً.

أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون (ت 780 هـ)، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - الجزء الأول والثاني -: هذا الكتاب بجزئيه مهم غاية الأهمية، في الحديث عن تاريخ الدولة العبد وادية، منذ تأسيسها إلى عصر المؤلف زمن أبي حمو موسى الثاني. نظراً لمكانة المؤلف الذي ينحدر من بيت علمي وسياسي، فكان التجوال البلاطي من نصيبه أيضاً!

انتهى يحيى ابن خلدون من الجزء الأول في أوائل سنة 776 هـ / 1374م، ومن الجزء الثاني أوائل سنة 777 هـ / 1375م، وهي الفترة التي عاد فيها الخلدوني إلى خدمة أبي حمو الثاني، بعد مغادرة بلاط فاس. وقد لازمه متولياً الكتابة السلطانية، إلى أن دفع نفسه ثمناً لإخلاصه للبلاط.

وقد أفادني هذا المصدر كثيراً عند الحديث عن الملوك التلمسانيين وأخبارهم وأعوامهم، ممن تولى الوظائف السلطانية، كما تُقتنص الفوائد التاريخية والأخبار السياسية، من عبارات المؤلف المختارة بدقة، ولا حاجة أن أكرر كلامي عن قضية النسب والمدح المتكرر الكبير لأولياء النعة، فسيأتي طرف عن ذلك تالياً.

محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان: هذا المصدر هو أحد ثلاثة مصادر جوهرية عن تاريخ بني عبد الواد - بعد كتاب الخلدونيين -، ومما زاد في أهميته أن مؤلفه عالمٌ فدٌ، عايش الفترة الأخيرة قبيل سقوط بني زيان نهائياً، وإن لم يُدرك ذلك لوفاته في سنة 899هـ / 1494م.

يُخبر التنسي أنه ألف كتابه رداً لبعض أفضال الزياني محمد المتوكل، ومن هنا سنلاحظ اجتهاداً كبيراً من المؤلف في إظهار كل حسنة، واصطناع كل حُلة، والمرور كراماً على كل شائنة وهزيمة، وهذا كحال الكثير من مؤرخي فترة الدراسة - إن لم أقل كلهم -، نظراً لانتظامهم في سلك وبطانة الملك، ولا تفهم يا

قارئ من كلامي، نقصا لمن سميت لك، إنما توضيح فتنة خدمة أبواب السلطان، وما تُسببه من حرج للعالم المُخلص، فإمّا يُدهن أو يُراهن...!

هذا المصدر أفاد الدراسة من ناحية قضية النسب، التي اجتهد التنسي في محاولة إثباتها، إضافة لذكره أسماء الملوك الذين لم يتعرض الخلدونيين لذكرهم، وطرفا من أخبارهم.

أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين: هذا المصدر حوى جردا بأسماء ملوك الدولة المرينية، وكُنَاهم وألقابهم وأنسابهم، وتواريخهم بين ميلاد ووفاة وغيره، إلا أنّ أهم ما فيه هو ذكر أسماء المتولين للوظائف السلطانية، من وزيرٍ وحاجب (المزوار) وكاتب ومن دوتهم، وما يوفره ذلك من قراءة في شروط ومعايير اختيار هؤلاء الموظفين السامون.

غير أنّ مكنم الطعن في الكتاب، هو تحامل المؤلف الغرناطي المفضوح- وباعترافه - على بني عبد الواد إخوة بني مرين، فلم يترك لهم حاجة ولا داجة إلا أتاهما، ولا منقصة إلا محأها، مع ما في أسلوبه من سجع كثير ومدح وتزلف متكلف للمرينيين.

محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن: تكمن أهمية هذا المصدر الجليل، في كون مؤلفه ينحدر من عائلة جمعت بين التفوق في العلم والحظوة في البلاط، وابن مرزوق هذا صار مقربا أشد القرب من مراكز صنع القرار، فمن تلمسان بني زيان مُنطلقه، ثم إلى خدمة أبي الحسن المريني، فملوك بني الأحمر، وخاتمة ببني حفص، إلى القاهرة كقرينه ومعاصره ابن خلدون نهايته!.

الكتاب يحتوي تلخيصا لتاريخ الدولة المرينية الى زمن أبي الحسن، مع وصف حال الملك واهتمامه برعيته، ووصف مجلسه السلطاني، ووصف جلسائه وأعوانه الجلّة المقربين، من أعلام الوزراء، وخيرة الكتاب، وأنظمة الدولة الإدارية، التي تشابحت بل وانطبقت على دول الجوار يومئذ!.

لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية: هذا الكتاب يمثل قطعة أساسية في تاريخ دولة بني الأحمر، ألفه الوزير الشهير، وضمّنه الحديث عن غرناطة موقعا ومن ظهر بها، وعود أهلها من لباس وخلق وديانة... ووصولا إلى ملوك بني الأحمر، فتراه يذكرهم بالاسم الكامل، والمولد والحال، والسيرة والولد، والأعوان من الوزراء والكتاب وغيرهم. كما يذكر الملوك المعاصرين لهم من جيرانهم، ويحتم ببعض أخبار النصري. ولا يخفى ما قدمه هذا المصدر الجليل لدراستي تصريحا أو تلميحا، وهذا فيما وصل إليه علم ابن الخطيب وعُمره.

لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة: هذا المصدر يمثل قطعة أساسية لا يستغني عنها دارس للمغرب والأندلس، مهما كان اهتمامه وبجته ودوافعه، نظرا لكون الاحاطة في أخبار غرناطة،

عبارة عن موسوعة عظيمة شاملة، لكل ما تعلق بمدينة غرناطة والأندلس، إن في جانبها الجغرافي أو التاريخي أو الحضاري، أو الأدبي أو السياسي.

فإنك ترى ابن الخطيب يصف الملوك والأمراء والبلدان والأعوان، ويسرد الأخبار ويفصلها ويترجم وينتصر ويتنقد... ليكتمل العقد بتاريخ مفصل مختصر لدولة بني الأحمر، يُضَمُّنه شهادته الحية كموظف سامي، نشأ في البلاط وانتسب إليه لسابقة الوالد، ثم لقوة علم الولد الوارد!. ولا يخفى ما وفره المصدر من معلومات دليلة جليلة.

أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى - الجزء الأول -: هذا الأثر أندلسي خالص، له أهمية كبيرة، نظراً لكونه يغطي أحداث غرناطة خلال القرن التاسع الهجري 15 م، بالإضافة إلى أن مؤلفه كان موظفاً سلطانياً سامياً، جمع أكثر من حطة بيده، وكان - تبعاً لذلك - مُتورطاً في الحياة السياسية المتعفنة، التي اتسمت بالانقلابات والثورات والاحتلالات التي راح المؤلف نفسه ضحية لها!.

أفاد هذا المصدر من ناحية ذكره معلومات قيمة ونادرة عن الحياة السياسية، مع ذكر أعلام الفترة تلك من سلاطين ووزراء وكتاب وقادة...

أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماخ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية: كان كوالده مُقدماً عند ملوك بني حفص مشتهراً بالعلم والورع، متولياً للقضاء، أُلّف الكتاب لشخص السلطان أبي عمرو عثمان في سنة 861 هـ / 1457 م، مما أوقعه في الاطباب والمدح الكثير، خصوصاً عند الحديث عن فترته (ص ص 121 - 133) كما جرت بذلك العادة!. وهذا على حساب الأحداث والمعلومات في غير هذه الفترة.

وتبعاً لذلك حكم محقق الكتاب بالضعف على مكانة المصدر بين ما تم تأليفه، وإن كنت حصّلت الاستفادة منه عند تحقيق قضية ثبوت النسب الفاروقي من عدمه، وفي شذرات إخبارية عن السلاطين الحفصيين خصوصاً المعني بالتأليف كما مر.

محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: لقد كان الغرض الأساسي من هذا الكتاب هو تدوين تاريخ الدولة الحفصية بتونس، خصوصاً وأنَّ المؤلف كان شاهداً عياناً معاصراً، وفاعلاً في الكثير من الأحداث إلى غاية سنة 882 هـ / 1478 م.

ولم يهمل الزركشي الحديث عن بقية أقطار بلاد المغرب - الأوسط والأقصى - وصولاً إلى القرن التاسع الهجري، حيث انقطعت أخبار تاريخ ابن خلدون، وهو ما أعطى مصداقية أخرى لهذا المصدر الجليل في ذكر أخبار الدولة الحفصية خصوصاً في أحرّيات عمرها.

ومما زاد في أهمية هذا المصدر لبحثي تأريخه للشخصيات والأعلام بدءاً بالخلفاء الحفصيين، ثم ممن تولى الوظائف السلطانية، وكذا أهل العلم والخطابة والقضاء، إضافة إلى الدور الذي أدّاه موظفو الصف الأول في البلاط إيجاباً وسلباً، سلماً وحرباً، وما خلّفته من نتائج.

محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار: هذا الكتاب مصدر مهم للدراسة، فهو معجم جغرافي وتاريخي، من جهة ما احتواه من التعاريف بأشهر البلدان والمدن، مع ذكر حدودها وشيء من تاريخها ومقوماتها الطبيعية. وقد جاء هذا المصدر المهم مُرتباً على الحروف، لتسهيل الوصول إلى كشف اسم الموضوع المراد. ولا تخفى درجة أهمية هذا المصدر في التعريف بمواضع ومدن المغرب والأندلس على وجه الخصوص، مع ما تضمنه من معلومات وأخبار تاريخية وسياسية تحديداً.

ب - كتب التراجم:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار، كتاب الحلة السيرة: هذا الكتاب من الأهمية بما كان، نظراً لكونه يؤرخ - كعينة - لحياة ابن الأبار الأديب الكاتب، الذي تقلب في الوظائف السلطانية، وحياة القصور والبلاط، فأدى أدواراً أساسية في صناعة قرارات تلكم البلاطات، وعان نجاحتها، وخيباتها، نظراً لقربه من السلطان والأمير، فناله ما ناله من النعماء والضراء، والنفي والإبعاد، فلمؤامرات التي انتهت بالسجن والقتل بأفطع الصور.

ج - كتب الخطط والولايات الشرعية:

أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك:

هذا المصدر نفع الدراسة كثيراً، إذ أنه وفر شهادات حية، ووصايا قيمة من السلطان الزياني المظفر، الذي نجح بالوصول بمملكته إلى التطور المتنوع، ومعه الاستقرار السياسي، في منطقة إقليمية مضطربة مشتتة ناراً وحروباً في الداخل والخارج. وتكمن الأهمية للكتاب فيما قدمه السلطان الزياني من وصايا لولي عهده وابنه القاتل له لاحقاً، في كيفية ترتيب المملكة، وجهاز الحكم فيها، وكيفية اختيار الأعوان، وتحديد طبيعة المهام الموكلة إليهم في صورة الوزير و الحاجب والكاتب.

2 - المراجع:

1 - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، أو نظام الدولة الإسلامية:

هذا المرجع مهم في جانب السياسة الشرعية، إذ يدرس ويبين علاقة الإسلام بنظام الدولة وأصول الحكم، وقد أفادني هذا المرجع في جانب ضبط المفاهيم والتعريفات للسياسة وبيان مدلولها.

2 - يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام:

يتناول هذا المرجع نصرة الشريعة الاسلامية، وصلاحيتها للتطبيق في حياة البشر، وتشريعات الدول التي تحكمهم، وحيث أن الاسلام هو آخر الأديان، المهيمن عليها، فإنه اُختُصَّ بخصائص ومميزات لا بد للباحث خصوصا الاحاطة بها، شرحا وتعريفا وتفصيلا، ليكون على بينة. من هنا حصلت الاستفادة عند الكلام عن غايات النظام السياسي في الاسلام وخصائصه.

3 - محمد فاروق محمد الهباش، النظام السياسي في ضوء القرآن الكريم:

هذا المرجع في الأصل رسالة ماجستير، عمل كاتبها على توضيح أصول النظرية السياسية في القرآن الكريم، وإبراز وجه الاعجاز التشريعي القرآني، مع عقد مقارنة بين النظام السياسي في الاسلام والرؤى الوضعية. ووجه الافادة من المرجع - الى جانب غيره -، كان عند ضبط مفهوم النظام السياسي في الاسلام بدقة.

الصعوبات والعوائق:

لا تخرج الصعوبات عادة عن قلة الوقت، وتصادم البحث بواجبات الوظيفة والأسرة، بالاضافة إلى تعذر الحصول على مخطوطات تزيد من أهمية البحث، وقيمة الدراسة. نظراً لوجودها خارج المتناول داخل الوطن أو خارجه.

وأمام هذه العوائق عرف البحث كبوات أجبرت تأخره كثيرا، في ظل اليأس والاحباط الذي يُصاب به الباحث عندما يبغى تصوير جزء من رسالة.

وتبقى نقطة أسجلها للقارئ والمناقش، تتعلق بعدم التوازن بين فصول الدراسة، رغم الجهد المبذول لتفاديه، ولا يخفى على المتخصصين، أن بعض النقاط يتوسع الحديث عنها أكثر من غيرها.

هذا و أسأل الله الكريم التوفيق والسداد في بحثي .والحمد لله رب العالمين.

1 - النظام السياسي في الاسلام.

أ - النظام.

- لغة.

- اصطلاحا.

ب - السياسة.

- لغة.

- اصطلاحا.

غايات النظام السياسي في الاسلام.

خصائص النظام السياسي في الاسلام.

قواعد النظام السياسي في الاسلام.

2 - أركان الدولة ومقوماتها الأساسية.

1 - الشعب.

2 - الإقليم (الأرض).

3 - السُّلطة (الحكومة).

أ- لغةً.

السُّلطة في القرآن الكريم.

السُّلطة في السنة النبوية.

ب - اصطلاحا.

أنواع السُّلطة في الاسلام.

استقلالية التشريع والقضاء والتنفيذ.

3 - أهمية السُّلطة في المجتمع الإسلامي.

حكم السُّلطة والنظام في الاسلام.

حكم إيجاد السُّلطة السياسية في الإسلام.

اقتضت بداية البحث التمهيدَ له بتتبع مُصطلحاته، وشرحها على ضوء ما قرَّره علماء اللغة والشريعة وذوي التخصص، وما دَوَّنوه في كتاباتهم القديمة والحديثة من مميزات وأحكام، وتفصيلات وتفرعات.

لاشك أن ما سأعرضه سيُعطينا صورة دقيقة، لما يتمتع به صاحب السلطة والنظام، سواء كان ملكاً أو عوناً مقرباً منه، في صورة الوزير أو الكاتب أو الحاجب.

للنظام السياسي في الإسلام أهميته البالغة، إذ به يتم تنظيم الحكم، وتوضيح كيفية اختيار الحاكم، مع تحديد مختلف الحقوق والواجبات. ناهيك عن تفصيل الخبر عن طبيعة العلاقة التي تنشأ بين الحاكم والمحكوم، فضلاً عن تنظيم علاقات الدولة الخارجية في زمني الحرب والسلم.

يتضح إذن! أنه لمن الأهمية بما كان معرفة مكانة، ودلالة النظام و السياسة في الإسلام، نظراً لكونها مفاهيم ومصطلحات، معانيها مستمدة - كما سيأتي - من الشريعة التي أنزلها الله تعالى، وهو سبحانه الخالق للإنسان، العالم بما ينفعه ويضره في عاجله وآجله. ولقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم الشرح والتطبيق.

1 - النظام السياسي في الإسلام:

أ - النظام:

* - لغة:

جاء أنه بمعنى: (التأليف، نظمه ينظمه نظاماً ونظاماً ونظّمه فانظّم وتنظّم... وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظّمته... ونظام كل شيء: ملاكته، والجمع أنظّمه وأنظّم ونُظّم... والانتظام: الاتساق... والنظام: الهدية والسيرة...¹).

وقيل: (نظم الأشياء نظاماً: ألفها وضم بعضها إلى بعض.... ويقال: نظم أمره: أقامه ورّبه... والنظام: الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره... والترتيب والاتساق. ويقال: نظام الأمر: قوامه وعماده... وجمعه نُظْمٌ، وأنظمة، وأنظّم...²). وقيل: (النظم: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر... والنظام: السيرة والهدي والعادة...³).

* - اصطلاحاً:

- 1 - ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت، ص 4469.
- 2 - مجموعة باحثين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 1425 هـ - 2004 م، ص 933.
- 3 - مجد الدين محمد الفيروزابادي، القاموس المحيط، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1398 هـ - 1978 م، ج 4، ص

يُطبق ويراد به مجموعة القواعد والأحكام المتسقة والمرتببة، ويُطلق أيضاً على (الظواهر والعلاقات والبنى الاجتماعية بما يفيد تبلورها وانتظامها، في قواعد ومصالح وقيم واتجاهات متميزة، وكثيراً ما يستخدم المصطلح في قاموس السياسة، ليعني قيادة وتركيب وعقلية الحكم في بلد ما).¹

ب - السياسة:

* - لغة:

لم يخرج لفظ السياسة عن المعاني التالية: الولاية، والرياسة، والقيادة، والأمر والنهي، والرعاية، والتربية²، وتدير أمور الناس وإصلاحها.³

جاء عن اشتقاقها: (السُّوسُ: الرياسة، يُقال ساسُوهم سوسا، وإذا رأسُوهم قيل: سوسُوهم وأساسوه. وساس الأمر سياسةً: قام به، ورجل سائسٌ من قومٍ ساسيةٍ وسواس...قادة...وسوس الرجل أمور الناس...إذا مُلِّك أمرهم...وفلانٌ مجربٌ قد ساس وسيس عليه، أي أمر وأمر عليه...وفي الحديث: كانت بنو إسرائيل بسوسهم أنبياءهم، أي: تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة: القيام على الشيء بما يُصلحه).⁴

* - اصطلاحاً:

تعددت التعريفات للسياسة، فقبل أنهما: احترام الحكم والسلطان، وقيل: إدارة المجتمع بالتوافق مع جوهره.⁵

وعلى القول بأن لفظة السياسة ترجمة لكلمة Politique أو Politics. المشتقة من اليونانية Polis أي الحاضرة⁶ La cité؛ فهي: (اجتماع المواطنين الذين يكونون المدينة).⁷

- 1 - عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، لبنان، ج 6، ص 582 - 583.
- 2 - يُنظر: فؤاد عبد المنعم أحمد، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب، 1422هـ، ص 20.
- 3 - احسان عبد المنعم عبد الهادي سمارة، النظام السياسي في الاسلام - نظام الخلافة الراشدة-، دار يافا، عمان، الأردن، ط1، 2000م - 1420هـ، ص 11.
- 4 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 2149.
- 5 - احسان، المرجع السابق، ص 13.
- 6 - هادي الشيب، رضوان يحي، مقدمة في علم السياسة والعلاقات الدولية، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 2017، ص 10 وما بعدها.
- 7 - عصام سليمان، مدخل إلى علم السياسة، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص 7 - 9. ويُنظر أيضاً لمزيد التفصيل تعاريف أخرى عند: ستيفن د . تانسي، نايجل جاكسون، أساسيات علم

وقيل: (هي تدبير الشؤون العامة للدولة الاسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق واقتوال الأئمة المجتهدين. وبعبارة أخرى هي متابعة السلف الأول في مراعاة المصالح ومسايرة الحوادث...)¹.

يتضح مما تقدم أن السياسة نشاط بشري مجتمعي، لا يستغني عنه الجنس البشري - كما وصف ابن خلدون² -، لحاجتهم لتنظيم شؤونهم وحفظ مصالح حياتهم³. فيمكن وصفها عندئذ، بفن الحكم في رعاية شؤون الناس العامة والخاصة في الدولة على الصعيد الداخلي، والصعيد الخارجي بتنظيم علاقات الدولة مع محيطها⁴، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى محاولة توحيد وتماسك المجتمع وتحقيق الخير العام.⁵

فمفهوم النظام السياسي يتلخص في كونه:

(مجموعة القواعد والأحكام والتشريعات التي تحدد نمط ممارسة السلطة العامة داخل الدولة وخارجها بما يتوافق مع روح الشريعة الإسلامية وقواعدها)⁶.

ومصادره في الاسلام أساسها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة القولية والفعلية والتقريرية، ودعائمه التوحيد والرسالة والخلافة.⁷

-
- السياسة، تر، محيي الدين حميدي، دار الفرق، دمشق، سورية، ط1، 2016م، ص 28 وما بعدها، موريس دوقرجيه، مدخل إلى علم السياسة، تر، جمال الأتاسي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، د ط، د ت، ص 7.
- 1 - عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، أو نظام الدولة الاسلامية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1350 هـ، ص 14 - 15.
- 2 - يُنظر كلامٌ نفيساً له عن كون الانسان مدني بطبعه في المقدمة، نج، أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 1428 هـ / 2007م، ص ص 53 - 55.
- 3 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، النظام السياسي في الاسلام، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط16، 1436 هـ / 2015م، ص 7 - 8.
- 4 - احسان، المرجع السابق، ص14.
- 5 - عصام، المرجع السابق، ص 9 - 10.
- 6 - محمد فاروق محمد المباش، النظام السياسي في ضوء القرآن الكريم، دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، (مرقونة)، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الاسلامية، عمادة الدراسات العليا، غزة، فلسطين، 142 هـ - 2011م، ص 4، عبد العزيز عزت الخياط، النظام السياسي في الإسلام، النظرية السياسية، نظام الحكم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط 1، 1420 هـ - 1999م، ص 20 - 21.
- 7 - يُنظر شرح هذه الدعائم باستفاضة: أبو الأعلى المودودي، النظام السياسي في الاسلام، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، فاتح نوفمبر 1959 - 29 ربيع الثاني 1379، ص 3 - ع 2، ص ص 3 - 6.

قال تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).¹
 وقال أيضا: (وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ
 عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا بَاعِلِمَ أَنْتُمْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَجَاسِقُونَ (49) أَبْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
 حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ).²

وقال أيضا: (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)³. وقال: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
 شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ).⁴
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة
 نبيه).⁵

وغايات النظام السياسي في الاسلام سامية تتلخص في:

- إصلاح الدين الذي به عصمة أمر المؤمنين ونجاتهم، وإصلاح شؤون الحياة العامة في مختلف
 مجالاتها (الاقتصادية والتربوية والاجتماعية...)،⁶ وتحقيق الأمن وإقامة العدل بين الناس.⁷

وأما خصائصه فسبعة:

أ- الربانية (في المصدر والغاية):

- 1 - سورة: المائدة: الآية: 44.
- 2 - سورة: المائدة: الآية: 50.
- 3 - سورة: يوسف: الآية: 40.
- 4 - سورة: الشورى: الآية: 19
- 5 - مالك بن أنس، الموطأ، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1985م، ج 1، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ص 899، برقم 3.
- 6 - يُنظر عن ذلك تفصيلاً: بلال خليل ياسين، منهجيات الإصلاح والتغيير في سوري الأنبياء والحج، دراسة موضوعية، أطروحة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، (مرقونة)، السنة الجامعية، 1433 هـ / 2012م، عمادة دراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 6 - 179.
- 7 - محمد فاروق، المرجع السابق، ص 9 - 10، ويُراجع تفاصيل ذلك: تقي الدين أحمد ابن تيمية، السياسة الشرعية، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1419هـ، ص 5 - 134، أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تح، بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، بيروت، لبنان، ط1، 1410 هـ - 1989م، ص 3 - 276 حيث نقرأ أكثر من مثال ونموذج في ذلك.

فمنبع الاسلام ونظامه الربُّ تعالى، الذي أنزل قواعده وأوامره ونواهيه في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم؛ شرحاً وعملاً وتطبيقاً. ومن أهم ثمرات¹ ربانية المصدر: العصمة الأكيدة من التحيز وتناقض الأحكام²، عند تبدل الأحوال، ألسنت ترى إلى تشريعات غير الله، كيف امتلأت عنصرية وانتقائية!، وأنها شرعان ما تبلى، ويلحقها التعديل والتغيير!، وسبب ذلك أن منبعها فكَّر الإنسان القاصر عن معرفة كل شيء، بخلاف علم الله وحكمته ورحمته الشاملة.

وأما ربانية الغاية أو الوجهة، فهي عبادة الله وتيسير الطريق على الناس، ليحققوا هذا الهدف الذي من أجله خلَقوا وبهم الأرض عُمرت.³

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁴ ، وقال أيضا: (فُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)⁵.

ب - الشمول:

الاسلام جاء شاملا بأحكامه وعقائده وأخباره للناس كافة، مُسلمهم وكافرهم، أميرهم ومأمورهم، شريفهم ووضيعهم، ذكرهم وأنثاهم. فهو رسالة الزمن والعالم كله⁶؛ كيف لا!، وقد حدّد الحقوق والواجبات، ونظّم العلاقات كلها على اختلاف أطرافها.⁷

قال الله تعالى: (مَا بَرَّظْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)⁸ . وقال أيضا: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ)⁹.

ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه موعظة، ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقالوا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: (قد تركتكم على البيضاء ليلها

1 - يُراجع غيرها عند كامل، المرجع السابق، ص 10 - 11.

2 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 18.

3 - يُنظر لمزيد التفصيل: يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1404 هـ - 1983 م، ص ص 9 - 55.

4 - سورة: الذاريات: الآية: 56.

5 - سورة: الأنعام: الآية: 163.

6 - القرضاوي، المرجع السابق، ص ص 105 - 125.

7 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 19.

8 - سورة: الأنعام: الآية: 38.

9 - سورة: النحل: الآية: 89.

كنهارها لا يزيد عن بعدها إلا هالك، من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد).¹

ج - العالمية:

إن الإسلام ليس شريعة مؤقتة بقوم أو زمان كما كان الحال مع الشرائع السابقة له²، بل هو شريعة عالمية، صالحة أحكامه ونافذة، مصونة من التحريف، باقية إلى زوال البشرية، باختلاف ألوانها وأجناسها ولغاتها³، وإذا قرأت تعاليمه وتشريعاته، تبين لك بجملاء (أنه وَجَّهَ عناية بالغة إلى الجانب الانساني وأعطاه مساحة رحبة).⁴

ولقد أمر الله تعالى خاتم رسله أن يقول لكل من يبلغه الخطاب ويعقله: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِأَمْرِهِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُمْرِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).⁵

وقال عن نفسه ورسالته عليه الصلاة والسلام: (وكان النبي يُبْعَثُ إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة).⁶

ت - الوسطية (التوازن):

جاء الإسلام وسطاً في أحكامه وعقائده وتشريعاته، بين الغلو¹ والتطرف، بين الشدة واللين، بين العنف والتسيب، فلا هو ديكتاتوري مُغرَق في الشدة مُفْرِط، ولا هو ديمقراطي مُفْرِط.²

- 1 - محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، اعنى به، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425 هـ - 2004 م، ص 450، برقم 2474.
- 2 - على خلاف ما أصاب اليهودية والنصرانية من التحريف الفاسد على أيدي علماء السوء فانتشرت قصص مكذوبة عن زنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحاشاهم من ذلك، وما اختلاف الانجيل المتناقضة في نسب السيد المسيح عليه السلام وتضمن سلسلة نسبه المحرفة زناة خونة الا شاهد على ذلك. يُنظر : أحمد ديدات، عتاد الجهاد، نقلها الى العربية، علي الجوهري، دط، دت، ص 20 - 21، و ص ص 33 - 37.
- 3 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 20.
- 4 - القرضاوي، المرجع السابق، ص 70، أنور الجندي، عالمية الإسلام، مجلة اقرأ، ع 426، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 61 - 70.
- 5 - سورة: الأعراف: الآية: 158.
- 6 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1423 هـ - 2002 م، كتاب التيمم، ص 92 - 93، برقم 335.

ووصف الله تعالى هذه الأمة بخصيصة الوسطية في العقيدة والأحكام: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)³.

فإنَّ إنشاء نظام متوازن، (أكبر من أن يقدر عليه الإنسان، بعقله المحدود، وعلمه القاصر، فضلا
عن تأثير ميوله، ونزعاته الشخصية، والأسرية والحزبية...)⁴.

ث - الواقعية:

وتتلخص في امكانية تحقيق الأنظمة والتشريعات في حياة الناس⁵، لا خيالات محضة أو تصورات
منطقية، أو أوهام عقلية مجردة، أو مثالية لا مقابل لها في عالم الواقع.⁶

والاسلام يُراعي أمرا مهما في واقع الناس ألا وهو تفاوت حدود طاقاتهم وتباين أفهامهم⁷. قال
تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)⁸.

وإنَّ من أبرز مظاهر الواقعية التي يُحققها الاسلام، النَّظَرُ للحاكم والمحكومين على أنهم بشر لهم
وعليهم لا غير.⁹

ج - الثبات والمرونة:

أي الجمع بين الثبات والتطور، من خلال المرونة، التي تميزت بها مصادر الاسلام، وأحكامه بين
القطعي والاجتهادي¹⁰، وجاء شرحها في هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم.¹

1 - أحمد ضياء الدين حسين، أثر الغلو على فكر الإنسان وتفكيره، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج 27، ع
5، ص ص 10 - 34، سامي بن علي القليطي، ظاهرة الغلو في الدين، دراسة وتحليل، مجلة جامعة طيبة، العلوم
التربوية، س 1، هـ 2، 1426 هـ، ص 132 - 173.

2 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

3 - سورة: البقرة: الآية: 143.

4 - القرضاوي، المرجع السابق، ص 127.

5 - يُراجع مداخلتني في المؤتمر الدولي بفقصة في تونس، مارس 2018 م، بعنوان: المعلم الناجح... صفات ومقاربات، ص ص
27 - 2، حيث سردت وتتبعث كيف نُجح النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وبعد مماته في التربية والتعليم على
ضوء الوحي.

6 - سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 22.

7 - القرضاوي، المرجع السابق، ص 158.

8 - سورة: البقرة: الآية: 256.

9 - كامل، المرجع السابق، ص 13، سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، المرجع السابق، ص 24.

10 - محمد فاروق، المرجع السابق، ص 8-9.

فمعلومٌ أن (الأحكام نوعان: نوع لا يتغير من حالة واحدة هو عليها...فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد...والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها....)².

وأما قواعد النظام السياسي في الاسلام:

أ - الشورى:

وهي الأخذ بأكثر من رأي في المسألة التي لا نصَّ فيها، للخروج بالقرار السديد الصحيح، من خلال الرجوع إلى أهل الرأي والاختصاص.³

ب - العدل:

وهو إعطاء كل ذي حق حقه من دون نقصٍ أو تعدٍّ، أو نظر واعتبار للجنس، أو اللون أو الدين.⁴

ت - المساواة:

وهي التَّسوية والمماتلة بين الناس في الحقوق والواجبات.⁵

ث - الحرية:

أي الإذن للإنسان بالتصرف في شؤونه كلها، بما لا يخالف الشريعة الإسلامية، وهو معنى استقلال الإرادة.¹

-
- 1- يُنظر عن ذلك: عابد بن محمد السُّفياني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1408 هـ - 1988م، ص 101 وما بعدها.
 - 2 - يُنظر كلام ابن القيم عن ذلك: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، تح، محمد سيد كيلاني، ج1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1381 هـ - 1961م، ص 346 - 347.
 - 3 - يُنظر عن الاحاطة بمفهومها ووردوها في الوحيين، وأمثلة تطبيقية عنها في تاريخ المسلمين: علي محمد محمد الصلابي، الشورى فريضة إسلامية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1431 هـ - 2010م، ص ص 15-192.
 - 4 - يُنظر لمزيد التفصيل: مجيد خدوري، مفهوم العدل في الاسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998م، ص ص 20 - 27، محمد أحمد مصطفى الكزبي، العدالة تعريفها، مكانتها في الشريعة الاسلامية وأهم أنواعها، د ط، دت، ص ص 3 - 7، لخضر بن قومار، مفهوم العدل في الاسلام ونماذج من روائعه، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الاسلامية، مج 1، ع 1، جامعة غرداية، 2017م ص ص 54 - 56،
 - 5 - يُنظر تفصيل الكلام عن تعريفها واشتقاقاتها ومدلولاتها المتنوعة في الاسلام: رشاد حسن خليل، نظرية المساواة في الشريعة الإسلامية، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ج1، ص ص 10 - 22، علي جمعة، المساواة الانسانية في الاسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 8 وما بعدها.

2 - أركان الدولة ومقوماتها الأساسية:

1 - الشعب:

من البديهي أن لا تكون دولة أو تقوم رايةً بلا مواطنين، أو المكون البشري، وهو ما يُطلق عليه الشعب، سواءً قلَّ عدده أو كَثُر، بغض النظر عن وحدة أصله أو تعددها، مادامت تجمعهم روابط مشتركة من مصير وانتماء وغيره...²

2 - الإقليم (الأرض):

وهي الرقعة الجغرافية المحددة المعالم والحدود، مُتصلة كانت أو جُزراً، التي عليها تتأسس الدولة، وتُرسي قوانينها وقواعدها.³

3 - السُّلطة (الحكومة):

وهي الركن الثالث ذي الأهمية في بناء الدولة، وحيث إنَّ بحثنا يتمحور حوله، فسأفرده بمزيد تفصيل عن قرينه السالف الحديث عنهما.

أ- السُّلطة لغةً:

من السُّلطة وهو القهر والاسم سلطة...والسلطان هو الحجّة والبرهان...وهو الوالي، وجمعه سلاطين. والسلطان هو صاحب الحجّة، أو صاحب الشدة والحدة والسطوة، أو صاحب القدرة. والسلطان: من السليط، والسليط: ما يضاء به.⁴

فللكلمة خمسُ معانٍ واشتقاقات هي:

1 - القهر

2 - الحجّة والبرهان

3 - الشدة والحدّة والسطوة

4 - القدرة، فمن جُعِلت له قدرة، فهو في اللغة ذو سلطان

1 - محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، دار الاعتصام، 1324 هـ، ص 16، سعود بن سلمان آل سعود وآخرون،

المرجع السابق، ص ص 134 - 161، محمد فاروق، المرجع السابق، ص ص 81 - 106، و ص ص 124 -

140، علي محمد محمد الصلابي، الحريات من القرآن الكريم، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط

4، 145 هـ - 2014م، ص ص 18 - 21 وفي مواضع أخر.

2 - طالع مزيد التفاصيل: عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 141 - 142.

3 - عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 142 - 145، وللتوسع في مفهوم الإقليم، يُراجع: علي محمد دياب، مفهوما

الإقليم وعلم الأقاليم من منظور جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، مج 28، ع2، 2012، ص 461 وما بعدها.

4 - ابن منظور، المصدر السابق، ص ص 2065 - 2066، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،

دار الفكر بيروت، تح، علي يسري، ج10، ص ص 292 - 293.

5 - السَّلْط، وهو ما يضاء به، وكذلك السلطان، كالمصباح يضيء الأرض، ويستنير به الناس. فيمكن إجمال القول على ضوء ما تقدم، أنّ حقيقة السلطة في اللغة راجعة إلى القدرة، والسطوة والحجة والبرهان والقهر.

* السُّلْطَة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

لم ترد كلمة (سُلْطَة) في القرآن الكريم¹، ولكن ورد بعض اشتقاقاتها كالفعل الماضي: (سَلَطَ)، والفعل المضارع: (يُسَلِّطُ)، والاسم: (سُلْطَان) ووردت في سبعة وثلاثين موطناً². وبعد استعراض الآيات الكريمة وتفاسيرها عند العلماء، فإن المعنى المنصرف للسلطة يدور بين: القدرة والقوة والحجة والبينة. وردت مثلاً كلمة: (سَلَطَ) في قول الله تعالى: (وَكَوَّ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتْلُكُمْ)³، ولم ترد في غير هذا الموطن. وجاء في تفسيرها: (تسليط الله تعالى المشركين على المؤمنين هو بأن يُقَدِّرَهُمْ على ذلك وَيُقَوِّبُهُمْ إما عقوبة ونقمة عند إذاعة المنكر وظهور المعاصي، وإما ابتلاء واختباراً)⁴. ووردت كلمة: (يُسَلِّطُ) في قول الله تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)⁵. ولم ترد في غير هذا الموطن، ولقد أُطلق لفظ (السلطان) في القرآن الكريم وأُريدَ به معنيان:

الأول: البرهان والحجة القوية القاطعة.

قال تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)⁶. أي: (ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان)⁷. وقال أيضاً: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ

1 - أياذ حميد إبراهيم، مفهوم السلطة في القرآن الكريم، قسم القانون الخاص، جامعة ميسان - كلية القانون، 1436 هـ - 2015م، ص 4.

2 - يُراجع عن ذلك: أسماء محمد فراس السرحاني، محاضرة السلطة (المفهوم - المصادر - الأنواع - الأنماط)، (مرقونة)، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الإدارة والتخطيط التربوي، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السنة الجامعية، 1434 - 1435 هـ، ص 4.

3 - سورة النساء: الآية: 90.

4 - محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح، أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1384 هـ، ج5، ص 310. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، ج3، ص107.

5 - سورة الحشر: الآية: 6.

6 - سورة النجم: الآية: 23.

7 - القرطبي، المصدر السابق، ج17، ص 103. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 27، ص 108.

هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ¹. أي: (بِحُجَجِنَا)². وقال عز وجل - على لسان سليمان في توعده للهدوء - : (لَعَدَّيْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)³. أي: (...أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها).⁴

قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)⁵. جاء فيها أمها: (أي حجة ثابتة).⁶

وقال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالانْسِ إِنْ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)⁷. جاء أنها: (حجة وقيل بينة...قال عكرمة: كل شيء في القرآن سلطان، فهو حجة....).⁸

وقال تعالى - حكايةً عَمَّنْ يُؤْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ - : (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ)⁹. جاء عن جماعة من المفسرين أنه: (هلكت عني حجتِي)¹⁰.

الثاني: القدرة القاهرة، والقوة الغالبة، والملك أي السيطرة.

قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا)¹¹. جاء أنه: (العز والنصر وإظهار دينه على الدين كله...فوعده الله لينزع

¹ - سورة المؤمنون: الآية : 45.

² - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 200م، ج 19، ص 35، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تع، خليل مأمون شبيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ - 2009م، ص 708، ابن عاشور، المرجع السابق، ج 18، ص 63.

³ - سورة النمل: الآية : 21.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج 19، ص 444، القرطبي، المصدر السابق، ج 13، ص 180، ابن عاشور، المرجع السابق، ج 19، ص 247.

⁵ - سورة الإسراء: الآية : 80.

⁶ - القرطبي، المصدر السابق، ج 10، ص 313، الطبري، المصدر السابق، ج 17، ص 536، الزمخشري، المصدر السابق، ص 606، ابن عاشور، المرجع السابق، ج 15، ص 187.

⁷ - سورة الرحمن: الآية : 33.

⁸ - الطبري، المصدر السابق، ج 23، ص 44، القرطبي، المصدر السابق، ج 17، ص 170.

⁹ - سورة الحاقة: الآية : 29.

¹⁰ - الطبري، المصدر السابق، ج 23، ص 588، القرطبي، المصدر السابق، ج 18، ص 272.

¹¹ - سورة الإسراء، الآية : 80.

ملك فارس والروم وغيرها فيجعله له)¹. فمما جاء في تفسيرها: (واجعل لي مُلكاً ناصراً يَنْصُرني على من ناوأني وعزاً أقيم به دينك وأدفع به عنه من أرادته بسوء...)².

(قال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات وما في الأرض فاعلموه، ولن تعلموه إلا بسُلطان أي ببينة من الله تعالى)³.

وقال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)⁴. فجاء معنى: (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) : (لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم. قال قتادة: لا تنفذون إلا بملك وليس لكم ملك)⁵. وقال تعالى - حكايةً عَمَّن يُؤْتِي يوم القيامة كتابه بشماله - : (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ)⁶. يعني: (سلطانيه في الدنيا الذي هو الملك. وكان هذا الرجل مطاعاً في أصحابه...)⁷.

فدلَّت أقوال المفسرين التي سُقَّتْها ، على أن اشتقاق كلمة (السلطة) لم تخرج عن معنى: القوة و الملك والحجة والبرهان. فالحجة والبرهان سُمِّيَا كذلك لقوة دالتهما في الإثبات، ويرجع معنى كلمة السلطان في القرآن إلى القوة والشدة. وقد تقدم أن السلطة لغة مشتقة من السلطان، فتكون السلطة واردة في القرآن بمعناها وهو القدرة والسيطرة⁸. وينسحب مدلولها على (معاني الصلاحية والقوة السليمة الممنوحة أو المرخص بها من خلال ممارسة ذوي الحق لها...)⁹.

1 - القرطبي ، المصدر السابق، ج 10، ص 313.

2- الطبري، المصدر السابق، ج 15، ص 58، ابن عاشور، المرجع السابق، ج 15 ، ص 187.

3 - القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 219.

4 - سورة الرحمن: الآية : 33.

5 - الطبري، المصدر السابق، ج 23، ص 44، القرطبي ، المصدر السابق، ج 17، ص 170، الزمخشري، المصدر السابق، ص 1072.

6- سورة الحاقة، الآية : 29.

7 - الطبري، المصدر السابق، ج 23، ص 588، القرطبي، المصدر السابق، ج 18 ، ص 272، الزمخشري، المصدر السابق، ص 1137.

8 - محمد دراجي، الإطار العام للسلطة والمسئولية في الفكر الإداري الإسلامي، أطروحة ماجستير في الحقوق والعلوم الادارية، (مرقونة)، كلية الحقوق والعلوم الإدارية، ابن عكنون، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1425 هـ / 2004م، ص 73.

9 - محمد علي محمود صبح، إدارة الدولة في الإسلام، دراسة تأصيلية لمفهوم إدارة الدولة في الفكر السياسي الإسلامي، أطروحة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، 2011م، ص 24.

* السُّلْطَة فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ:

ذُكِرَت السُّلْطَة فِي نِصُوصِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ بِلِغْظِ (السُّلْطَانِ)، وَأُرِيدَ بِهَا الْإِمَامَ، وَالْبَيْتَةَ وَالْحِجَّةَ، فَمِنْ

ذَلِكَ:

1 - قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَبْرًا مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً)¹، وَالسُّلْطَانُ هُنَا ظَاهِرٌ فِي أَنْ مَعْنَاهُ الْإِمَامَ، وَصَاحِبَ السُّلْطَةِ الْعَلِيَا فِي الدَّوْلَةِ.

وَنَحْنُ هُنَا نَمَيِّزُ بَيْنَ مِصْطَلَحِ السُّلْطَةِ الْعَلِيَا فِي الدَّوْلَةِ، وَمِصْطَلَحِ السِّيَادَةِ، فَإِنَّ السِّيَادَةَ هِيَ الْاِخْتِصَاصُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ اللَّذِينَ لَا يُعَارِضَانِ، وَهِيَ فِي الْإِسْلَامِ لِلَّهِ وَحْدَهُ خَاصَّةً، بَيْنَمَا السُّلْطَةُ فِي الْإِسْلَامِ لِلْأُمَّةِ.²

2 - عَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَا يَأْتِيَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ)³. جَاءَ فِي شَرْحِهِ: (مَعْنَاهُ أَنَّ صَاحِبَ الْبَيْتِ وَالْمَجْلِسِ وَإِمَامَ الْمَجْلِسِ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ أَفْقَهُ وَأَقْرَأَ، وَأَوْرَعَ وَأَفْضَلَ مِنْهُ، وَصَاحِبَ الْمَكَانِ أَحَقُّ فَإِنْ شَاءَ تَقَدَّمَ، وَإِنْ شَاءَ قَدَّمَ مِنْ يُرِيدُهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي يَقْدَمُهُ مَفْضُولًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِيِ الْحَاضِرِينَ؛ لِأَنَّهُ سُلْطَانُهُ فَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ)⁴.

3 - قِيلَ أَنَّ رِجَالًا جَاءُوا يَطْلُبُونَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدِينٍ أَوْ مَجْحِقٍ، فَتَكَلَّمَ بِبَعْضِ الْكَلَامِ فَهَمَّ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ، فَقِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَهْ إِنْ صَاحِبَ الدِّينِ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَقْضِيَهُ)⁵. وَالسُّلْطَانُ هُنَا كَمَا يُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ: الْحِجَّةُ.¹

1- صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها، ص 1747، برقم 7054.

2 - يُرَاجَعُ لِمَزِيدِ التَّوَضِيحِ، دِرَاجِي، الْمَرْجِعِ السَّابِقِ، ص 74.

3- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1374 هـ - 1954 م، ج 1، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ص 465، برقم 673.

4 - صحيح مسلم، ج1، ص 465، الهامش 2.

5- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ج1، 1373 هـ - 1954 م، كتاب الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان، ص 809، برقم 2425، والحديث ضعيف، في إسناده حسين بن قيس المعروف بجنش. وإنما ذكرته لاستخلاص معنى كلمة السلطان، ومعلوم اختلاف العلماء في جواز رواية الحديث الضعيف بضوابط، كذكره بصيغة التمريض (قيل، يُروى ونحوه..) كما فعلتُ أنا عند روايته فليتبنيها!... ولا بأس أن يُطالَع في هذا الجانب الجليل الخطير، ما تم تدوينه على غرار: عبد الكريم بن

ب - اصطلاحا:

اختلفت الآراء في ضبط مفهوم السلطة الاصطلاحي، ومَرَدُّ ذلك إلى الرؤى والعقائد، بين أهل السياسة وعلماء الاجتماع، غير أنَّ المعنى لا يخرج عموماً، عن كون السلطة محضُ سيطرة، وتمكن وقهر وتحكم، وأن متوليها - مهما كانت تسميته -، هو من له ولاية التحكم والسيطرة في الدولة ومواطنيها.² وقيل أيضاً أنها: (القدرة الشرعية، أي القدرة التي يعترف بشرعيتها الأشخاص الخاضعين لها، على أساس أنها تُمارس وفق القيم التي يؤمنون بها، وبأساليب يتقبلونها)³. فهي الحق في إصدار الأوامر الملزمة إلى رعاية الدولة⁴، ونحن هنا بصدد الحديث عن سلطة الدولة، أو سلطة القانون، أي التمتع بذلك القدر، من النُفوذ والفوقية والسيطرة، بالأمر والنهي والردع والزجر والتصرف عموماً.⁵

ولم يُعرف في الفقه الإسلامي مُصطلح (السلطة السياسية) بهذا التركيب⁶، ولكن عُرف مضمونه ومعناه. فنصوص القرآن الكريم (كانت أسبق تاريخياً وأكثر عمقاً وشمولاً وأشد أصالة)⁷، نظراً لكون الشريعة الإسلامية ربانية المصدر، نزلت من عند عالم ما يكون وما لا يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.... بمعنى آخر نزلت من عند من خلق الانسان ورَّكبه، و اتصف بالعلم المطلق، فلا أعلم بما ينفع الانسان في حياته ومعاده منه سبحانه: (ما برطنا في الكتاب من شيء)⁸.

عبد الله بن عبد الرحمن الخضير، الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1425هـ، ص 245 وما بعدها.

- 1 - أباد، المرجع السابق، ص5.
- 2 - يُنظر عن قضية المواطنة وضوابطها في الاسلام ومشروع وتأصيلاتها الشرعية: علي محمد محمد الصلابي، المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1435 هـ - 2014 م، ص ص 19 - 264، نفسه، البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1435 هـ - 2014 م، ص 205 - 206.
- 3 - عصام، المرجع السابق، ص 149.
- 4 - عبد العزيز، المرجع السابق، ص 145 - 147.
- 5 - أسماء، المرجع السابق، ص 4 - 5، بن أحمد نادية، تنظيم السلطة السياسية في الجزائر منذ 1989، أطروحة ماجستير، تخصص، سياسات مقارنة، (مرقونة)، كلية الحقوق و العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2012 - 2013، ص 45 وما بعدها.
- 6 - دراجي، المرجع السابق، ص 70.
- 7 - أباد، المرجع السابق، ص 2 وما بعدها.
- 8 - سورة: الأنعام: الآية: 38.

فلا يقتصر - إذن ! - بناء المجتمع القوي، على مجرد الوعظ والارشاد، بل مترادفة مع السلطة المُسيّرة المُشْرِفَة المتمكنة. ولقد عرف الإسلام السلطة السياسية العُليا، منذ أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، في اليوم الأول من وصوله مهاجراً إليها من مكة¹، التي قضى بها دوراً مهماً من حياة الدعوة والتأسيس².

وفي المدينة لم تتخلف الصعوبات في طريق بثّ الايمان، وترسيخ العقائد³، وبناء الدولة الجديدة المتناسكة. فظهر دور العناصر المناوئة المنافقة المتخفية لتعطيل المشروع، وإيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ونفسه وحياته⁴، مما صعب المهمة⁵... (نظراً لتعقيدات البنية من جهة، ومن جهة ثانية للمسافة المطلوبة للاحتياز للمطابقة بين الفكرة والحركة...)⁶.

3- أنواع السلطة في الاسلام:

**** استقلالية التشريع والقضاء والتنفيذ⁷ **:**

- 1 - لمزيد الاستفادة، يُراجع: عبد الكريم كريمة، الجانب السياسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، صفر 1397 - يناير 1977، س 18 - ع 1، ص ص 24 - 26.
- 2 - علي بن علي جابر الحري، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، رسالة ماجستير، (مرقونة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، السعودية، 1401 هـ - 1981 م، ص 98 وما بعدها، ويُنظر أيضاً: الطيب برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416 هـ / 1996 م، ص 77 وما بعدها.
- 3 - يُنظر عن ذلك تفصيلاً: فريال عبد القادر بكر عابد، منهج القرآن في المرحلة المدنية في تقرير مسائل الاعتقاد، أطروحة ماجستير، تخصص، العقيدة، (مرقونة)، كلية الدعوة وأصول الدين، الدراسات العليا، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، 1434 هـ - 2013 م، ص 37 وما بعدها.
- 4 - يُنظر أمثلة ونماذج عن ذلك: جملات محمود نايف الجريدة، السمات الشخصية للمناققين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، أطروحة ماجستير، تخصص، أصول التربية، (مرقونة)، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، قسم أصول التربية - التربية الإسلامية، الجامعة الإسلامية - غزة، 1431 هـ / 2010 م، ص ص 111 - 113.
- 5 - يُنظر لمزيد التفصيل عن الجهد النبويّ في إرساء دعائم الدولة والنظام: علي محمد محمد الصلابي، الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1434 هـ - 2013 م، ص ص 29 - 414.
- 4 - يُنظر لمزيد التفصيل عن ملابسات الدور المدني وصعوباته التي تعتبر استمراراً للدور المكّي في محاولة اجهاض الجهود النبوية لإرساء قواعد الدولة الإسلامية: زهير هواري، السلطة والمعارضة في الإسلام، بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11 - 132 هـ / 612 - 750 م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، ص ص 21 - 75.
- 7 - يُراجع عن مبدأ الفصل بين السلطات في الاسلام: راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أغسطس، 1993، بيروت، لبنان، ص ص 226 - 245، الخياط، المرجع السابق، ص 149 - 267، نادية، المرجع السابق، ص ص 116 - 126.

إن مصدر التشريع في الاسلام هو الله تعالى، الذي خلق البشر وسوّاهم، وهو أعلم بمنافع دينهم ودينهم، فلا زال عز وجل يُرسل رُسله لأقوامهم، ليدلوهم عليه وعلى ما يُرضيه، من تمام العبادة والاستقامة، تحقيقاً لعقيدة التوحيد، ونبذ الشرك والكفر والمنكرات، حتى ختمهم بآخرهم عليه الصلاة والسلام، فأمر ونهى بوحي وخبر¹، وأخبر عن كل شيء باسمه، أو وصفه أو مثله، بما لا يوجد في غير الاسلام بمصدرية². وذلك ما سهل على العلماء التعامل مع كل قضية جديدة ونازلة طارئة³. وفي جانب القضاء⁴ والتنفيذ قام عليه الصلاة والسلام، رغم تربص أعداء الداخل والخارج به من يهود⁵، ومُنافقين ومُشركين خُلص، فحكم بين المتحاكمين، وعدل بين المتخاصمين، وحذّر من الغلو والظلم والنور واللحن بالحجة، ليخس صاحب الحق، ونفّذ أحكام الله تعالى وحض على ذلك، فجلد ورحم وقطع وجمع الزكاة وأمن الخائفين، وعفا عن التائبين، وقبل الأعذار، وحذر التجار من الغش والتطيف... وأصلح بين الأزواج، أو تسريح بإحسان، وشرع للطلاق والنفقة والحضانة أحكاماً⁶.

- 1 - يُراجع: ضو مفتاح غمق، السلطة التشريعية في نظام الحكم الإسلامي والنظم المعاصرة (الوضعية)، دراسة مقارنة، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2002، ص 22 وما بعدها.
- 2 - خالد الفهدوي، الفقه السياسي الإسلامي، تد، إسماعيل الكردي، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، ط 3، شباط، 2008، ص 378 - 379.
- 3 - لمزيد التفصيل في المنهج النبوي الرباني في التعامل والدعوة والارشاد، يُراجع ورقتيّ البحثيتين بعنوان: (تصرفات المسلمين وأثرها في الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم)، ص ص 2 - 31، والمداخلة في الندوة العلمية السنوية الموسومة: ((المشكلات الاجتماعية وطرق علاجها في منظور الشريعة الاسلامية)) بكلية الامام الأعظم سامراء العراق الأربعة 22 رجب 1438 هـ الموافق 19 / 4 / 2017، وللفادة فإن بحثي هو الوحيد الذي مثل بلدي الحبيب الجزائر من بين 30 بحثاً تم قبوله وانتخابه، 26 عراقيا و 3 مصريين فله المنة والحمد، ص ص 1 - 31.
- 4 - يُراجع صوراً عن ذلك: حافظ أحمد عجاج الكرمي، الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط 2، 1428 هـ - 2007 م، ص ص 223 - 244.
- 5 - يُنظر مثلاً إلى حال اليهود في المدينة زمن النبوة وموقعهم من الاسلام، موقف النبي الكريم عليه الصلاة والسلام منهم: سامي حمدان أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، رسالة ماجستير، (مرقونة)، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الاسلامية، غزة، ذو القعدة 1424 هـ - يناير 2004 م، ص ص 102 - 273.
- 6 - يُنظر عن ذلك: محمد كرد علي، الإدارة الاسلامية في عز العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012 م، القاهرة، مصر، ص ص 11 - 22.

وأرسى قواعد ربانية للدولة أحكاما ومعاملات في زمانه¹، ولخلفائه² ومن جاء بعدهم من الحكام والقادة³، أن الدين ثابت بقواعده سلماً وحرماً⁴، يراعي الانسانية ويُقدِّرها بحماية الحقوق والحريات الشخصية⁵. مُتحدداً بغاياته⁶ مع كل جديد ووافد، فلا سؤال إلا وفي الاسلام جوابه⁷.

4 - أهمية السلطة في المجتمع الإسلامي:

إن السُّلطة ظاهرة أساسية في السلوك الإنساني، وهي أقدم⁸ في أصلها من ظاهرة الدولة، فالسيطرة والخضوع هي مبدأ طبيعي لبعض الأشخاص على الآخرين، في جميع التنظيمات الإنسانية، ولقد كانت

1 - نعمان عبد الرزاق السامرائي، النظام السياسي في الإسلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط 2، 1421 هـ - 2000م، ص ص 44 - 60.

2 - يُنظر طرفاً من سيرتهم السياسية الداخلية والخارجية: ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في عصر الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م، ص ص 15 - 158، وإن كنت لا أتفق مع الكاتب في قلة أدبه أحيانا عند الحديث عن الصحب رضوان الله عليهم، واتهام النوايا وإقحام السياسة كطرف أساسي، في النزاعات التي قامت بين الصحابة رضي الله عنهم. فمعلوم في التاريخ سببها الرئيسيان وهما: الاختلاف في التعجيل بقتل قتلة عثمان رضي الله عنه من عدمه مراعاة للمصلحة، والسبب الثاني حركة ابن سبأ اليهودي المندسَّة والتي سبَّبت معركة الجمل مثلاً. يُنظر عن ذلك كله: محمد أمخزون، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 1428 هـ - 2007م، الاسكندرية، مصر، ص ص 199 - 607، عثمان بن محمد الخميس، حُقبَة من التاريخ، تق، محمد بن إسماعيل، دار الإيمان، الاسكندرية، مصر، 1999.

3 - عن مصطلح القيادة والإدارة وفنّه في الدولة الإسلامية تعليماً وممارسةً وتطبيقاً، يُراجع: عبد الرحمان بن إبراهيم الضحيان، الإدارة والحكم في الإسلام، الفكر والتطبيق، أهما، السعودية، ط3، 1411 هـ - 1991م، ص ص 17 - 28، و ص 151 وما بعدها، محمد بن شاعر الشريف، إدارة الدولة الإسلامية، مركز البحوث والدراسات، ط1، 1434 هـ، ص ص 13 وما بعدها.

4 - ميساء علي روابدة، السياسة الخارجية في ضوء السنة النبوية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2015م، مج12، ع 2، ص ص 9 - 122.

5 - يُنظر عن ذلك: صلاح الدين طلب فرج، الدور الإنساني للنظام السياسي الإسلامي في زمن السلم، رسالة ماجستير، تخصص الفقه المقارن، (مرقونة)، قسم الفقه المقارن، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1427 هـ - 2006 م، ص ص 4 - 121، الصلابي، الحريات من القرآن الكريم، ص ص 13 - 197.

6 - قصي رياض كنعان، السمات الثقافية للمجتمع الإسلامي دراسة في الانثروبولوجية الثقافية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج 8، ع 1/15، 1435 هـ - 2014م، ص 10 وما بعدها.

7 - الكتاني، المرجع السابق، ج2، ص ص 8 - 296، عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 18 وما بعدها وهو يعدد نماذج من عدل الاسلام في الحكم والأنظمة.

8 - مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات السابع من أبريل، ط 1، 2007م، بنغازي، ليبيا، ص 74 وما بعدها.

السلطة ولا تزال منذ ظهور العلوم الاجتماعية، على وجه العموم، وعلم السياسية على وجه الخصوص، ميداناً للبحث والمعالجة بطرق مختلفة، وفي الجماعات المختلفة، كالأُسرة والمدرسة والدولة وغيرها.¹ من هنا تنبع الأهمية البالغة للسلطة في حفظ توازن الفرد والجماعة، وتنظيم الحياة العامة، بتحديد الحقوق والواجبات في علاقة الفرد بنظيره، والفرد بحاكمه، والدولة بنظيرتها²، بالإضافة إلى توضيح معالم المنطلقات الكبرى المشتركة والمصير الواحد³. فتتحقق العدالة وتنطلق التنمية، وبشغل الناس ببناء دولتهم في ظل الأمن والعدل.⁴

وإنه لم يَعُدْ ممكناً إنكارُ - اللهم إلا عناداً -، أنَّ الإسلام دينٌ هداية، ونظام شاملٌ لحياة البشرية جمعاء⁵، وأسلوبٌ للحياة، يجمع للفرد بين العبادة والسياسة⁶، تحت مظلة السلطة في الدولة والمجتمع، ولولا ذلك لاستحالت الحياة الى فوضى ومحض عبث.

5 - حكم السلطة والنظام في الاسلام:

لا يمكن أن تقوم دولة أو تُبنى حضارةٌ من لدنِ الفوضى، بل لا بد للبشرية من نظام ترأسه سلطة متحكّمة، بيدها أن تمنع الفوضى، وتأخذ على أيدي المفسدين⁷، وتباشر الإصلاحات، وتحقق العدالة، وتنظم العلاقات.⁸

ولا يُتصوّر عزُّ الدين بلا دولة، فمن الضرورة الواجبة إقامة السلطة⁹. والمسلمون متفقون في عُمومهم على أن إيجاد السلطة السياسية واجب شرعاً¹، من خلال نصب من يتولاها سواء سُمي الخليفة أو وليّ الأمر أو الحاكم.²

- 1 - نادية، المرجع السابق ص 12.
- 2 - عبد العزيز، المرجع السابق، ص 147.
- 3 - نادية، المرجع السابق، ص 49.
- 4 - يُنظر عن العدالة وتطبيقاتها، وشروط نجاحها: علي محمد محمد الصلابي، العدالة والمصالحة الوطنية، ضرورة دينية وإنسانية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1434 هـ - 2013 م، ص ص 30 - 215.
- 5 - الغنوشي، المرجع السابق، ص 89 وما بعدها.
- 6 - محمد علي، المرجع السابق، ص ص 21 - 23.
- 7 - يُنظر كلام ابن خلدون في المقدمة، ص ص 180 - 183.
- 8 - عبد العزيز، المرجع السابق، ص 147، كامل، المرجع السابق، ص 39.
- 9 - يُنظر تفصيل الخبر والنصوص الشرعية عن ذلك: حاكم المطيري، الحرية أو الطوفان، دراسة موضوعية للخطاب السياسي الشرعي ومراحلته التاريخية، 2003 م، ص ص 7 - 22، محمد حلمي عبد الوهاب، ولائاً وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تق، رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، 2009، بيروت، لبنان، ص 63 وما بعدها.

قال ابن حزم: (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي آتى بها رسول الله صلى الله عليه و سلم، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يشاطوا الحق بينهم).³

لكن ينبغي التوقف عند نظرة الشيعة⁴، لقضية الإمامة، والتي تُشكل خلافا عميقا جوهريا مع بقية المسلمين.⁵

إنهم يجعلونها حقاً لأئمتهم خاصة، بناءً على نظرية النصّ لديهم⁶، ويرون بطلانها إذا خرجت عن النصّ، وعن أئمتهم الاثني عشر¹، وكُفر من لم يؤمن بذلك واستحلال دمه وعرضه، والنصوص عندهم متوافرة مُتضافرة بذلك.²

- 1 - ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ك1، الحياة الدستورية، دار النفائس، ط2، د ت، ج1، ص 314 - 318.
- 2 - يُنظر عن ذلك: علي محمد محمد الصلابي، التداول على السلطة التنفيذية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 2، 1435 هـ - 2014 م، ص ص 47 - 56.
- 3 - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دت، ج 4، ص72، يُنظر كلام ابن خلدون في المقدمة، ص 184 - 185.
- 4 - إن تجوزنا في القول بإسلامهم نظرا لتفاوت المقالات والعقائد بينهم بسبب كثرة الفرق، وإلا فإنّ من اعتقد بتحريف القرآن الكريم وكفر الصحابة... كافرٌ لا محالة خصوصا بقيام الدليل والحجة عليه، وأما العوام فبين مقلد وجاهل. يُنظر لمزيد التفصيل والتفريق بين الرافضة والشيعة: ابن منظور، المصدر السابق، ص 1698، و ص ص 4369 - 4377، اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ص 1240 مادة شيع، أبو الحسن الأشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين-تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1411 هـ - 1990 م، ج1، ص89، عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية - دار أضواء السلف-، ط1، 1426 هـ/2005 م، ص 12، محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة، تح، محسن الأمين، دار التعرف للمطبوعات، 1403 هـ/1983 م، ج10، ص226، نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية، دار القارئ، ط1، 1429 هـ/2008 م، ج 2، ص 191 وما بعدها.
- 5 - صادق حقيقت، توزيع السلطة في الفكر السياسي الشيعي، دراسة فقهية فلسفية مقارنة، تر، حسين صلفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1، 2014، بيروت، لبنان، ص 298 وما بعدها.
- 6 - يُنظر عن هذه القضية مع الرد: بوشيبان عيسى، التعددية السياسية في الفكر الاسلامي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، تخصص، أصول الفقه، (مرفوعة)، السنة الجامعية، 1435 هـ - 1436 هـ - 2013 م 2014 م، قسم الشريعة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، ص ص 3 - 6، وجيه لطفى ذوقان، ولاية العهد في العصر الأموي (41 هـ / 661 م - 132 هـ / 750 م)، أطروحة ماجستير، تخصص، التاريخ، (مرفوعة)، كلية

الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1426 هـ / 2005م، ص ص 78 - 85، توفيق السيف، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ما بعد ولاية الفقيه، ط2، 2014، د ت، ص ص 48 - 171.

1 - يُنظر بحثٌ مفصلاً في ذلك، يشرح المصطلحات المبهمة، ويعرف بالنظرة الشيعية، وأهم فرقها تاريخياً: فاجر جاسم، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، أطروحة دكتوراه، تخصص، العلوم السياسية، (مرقونة)، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008، ص ص 8 - 86.

2 - ولا ضير أن أسرد لك شيئاً مما كنت قد كتبت منذ سنوات عن عقائد القوم مدعومة بأدلتها من كتبهم:

1 - عقيدة الولاية والإمامة:

ملخص هذه العقيدة أن علياً رضي الله عنه هو أولى الناس بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد وضع القوم في سبيل إثبات ذلك عشرات النصوص للتدليل على ذلك ولا أدل من حديث الغدير والبردة... بل لقد جعل القوم الإمامة أصلاً من أصول الدين، وفي هذا مخالفة واضحة وصريحة لشريعة الإسلام التي نصت على أركان الإسلام وبينتها، يُضاف لما تقدم أن جعلوا منكر الإمامة لعلي أو أحد بنيه رضي الله عنهم بمنزلة الكافر الملحد الحلال الدم والعرض فمثلاً يقول القمي وهو رئيس محدثيهم والملقب بالصدوق في كتابه: رسالة الاعتقادات ما نصه: (واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده -عليهم السلام- أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله (وينقل حديثاً منسوباً إلى الإمام الصادق أنه قال: (المنكر لآخرنا كالمُنكر لأولنا). ط مركز نشر الكتاب - إيران، 1370 ، ص 103. والمطالع لبحار الأنوار للملا باقر مجلسي - وهو شيخ الدولة الصفوية - يدهش للمنزلة التي وضع الروافض فيها الإمامة. يُراجع 62-61/27.

2- الاعتقاد بعداوة أهل السنة:

يزعم الروافض بأن أهل السنة والجماعة أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين. ويُسموهم بالنواصب ويُشهرون القول بذلك وسندهم قصص خرافية وضعها لهم أشياخهم تتحدث في مجملها عن اعتداء الصحابة بالضرب والتعنيف على آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي روايات باطلة لا أصل ولا شاهد، يقول أحد رؤوس مشيختهم وهو حسين بن الشيخ محمد آل عصفور الدرزي البحراني في كتابه المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ط بيروت، ص 147: (...بل أخبارهم عليهم السلام تنادي بأن الناصب هو ما يُقال له عندهم سنياً... ولا كلام في أن المراد بالناصبية هم أهل التسنن). وقال محدثه نعمة الله الجزائري بكل جرأة ووقاحة: (وأما الناصبي وأحواله وأحكامه فهو مما يتم بيان أمرين الأول في بيان معنى الناصب الذي ورد في الأخبار أنه نجس وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية رضوان الله عليهم). الأنوار النعمانية 2 / 210. وقال أيضاً كاذباً على جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه وهذه خاصة شاملة لا خاصة...). المصدر السابق نفسه، 2 / 211. وعلى هذا فلم يبق أحد من المسلمين إلا وهو متهم بالنصب بدءاً بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي أوصى في غير ما حديث خيرا بالصديق والفاروق... وانتهاه بأخر مسلم يشهد الشهادتين. ويُحفظنا على آل محسن ببعض أسماء النواصب فيقول: (وأما النواصب من علماء أهل

والمستند في نصب الخليفة في الإسلام يتكئ على أمور:

إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تولية خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم¹، حتى أن جمهورهم توجه لسقيفة بني ساعدة²، وتخلّف نفرٌ قليل لتحضير جنازة النبي صلى الله عليه وسلم³.

السنة فكثيرون أيضا منهم ابن تيمية وابن كثير الدمشقي وابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وابن حزم الأندلسي وغيرهم).

كشف الحقائق، ط دار الصفوة- بيروت ص 249.

3- الاعتقاد بنجاسة أهل السنة و أن لا حرمة لهم:

يستحل الروافض دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم دون دليل مسوغ من الشريعة الإسلامية، ويكابر رؤوسهم على الإفتاء بذلك، ولهم في ذلك أدلة وضعوها، وشحنوا بها أتباعهم العوام في الحسينيات تباكيا على ما يدعون أنه مظلومية أهل البيت، وهذا ما يُفسر الحقد الشديد الذي يحملونه في قلوبهم على الصحابة الأجلاء وعلى من يترضى عليهم بالأمس واليوم ودوما. روى شيخهم حمد بن علي بن بابويه القمي والملقب عندهم بالصدوق ورئيس المحدثين في كتابه (علل الشرائع) عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب - أي السني - ؟. قال : (حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله ؟ قال خذه ما قدرت عليه). طبعة النجف، ص 601 . وقال نعمة الله الجزائري: (الثاني - أي الأمر الثاني- في جواز قتلهم واستباحة أموالهم- أي النواصب -وحكمه - أي الناصبي- عندهم - أي علماء الإمامية - كالكافر الحربي في أكثر الأحكام...). 211/2. وقال أيضا: (وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعة (لعلها الشيعة) فأمر غلمانهم وهدوا سقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريبا فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل إلى الامام مولانا الكاظم عليه السلام فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم وحيث أنك لم تتقدم إلي فكفر عن كل رجل قتله منهم بتيس والتيس خير منه فيُنظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الصغر وهو كلب الصيد فإن ديتة عشرون درهما ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي او المجوسي فإنها ثمانمائة درهم وحالهم في الآخرة أحسن و أنجس). 2 / 212.

1 - يُنظر كلام ابن خلدون في المقدمة، ص 184.

2 - صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ص 898 - 900، برقم 3655، و ص 901 - 902، برقم 3668، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص 55 - 56، يُنظر عن أبرز المبادئ السياسية التي سجلها التاريخ في السقيفة يومئذ: الصلابي، الشورى فريضة إسلامية، ص ص 42 - 46.

3 - يُنظر الى عقيدة الشيعة الرافضة التي تطعن في الصحابة الأجلاء بسبب هذا الموقف. محمد رضا المظفر، السقيفة، موقع الضياء للدراسات المعاصرة، النجف، العراق، 1400هـ، ص 18 وما بعدها.

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم).¹
وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (من خلع يدا من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)².

فالنصوص - كما ترى - ظاهرة في تحريم المبيت ليلتين دون بيعة لإمام، أو نكث البيعة، مما يدلُّ دلالة نصية على وجوب تنصيب إمام وحاكم.

أنَّ ما هو واجب من إقامة الحدود وسد الثغور وأداء الحقوق لا يتم إلا بوجوده.

أنَّ في تعيين الحاكم المتولي جلب النفع ودفْع المضار.³

أنَّ العقل الصحيح يقتضي وجود السلطة الحاكمة المهيمنة.⁴

6 - حكم إيجاد السلطة السياسية في الإسلام:

إن إيجاد سلطة سياسية في المجتمع الإسلامي واجب⁵. وكونُ مشروعية إيجاد السلطة السياسية من رتبة الواجب يدل على أهميتها، وأنها من المقاصد التي لا تستغني الأمة عن تحقيقها، فالدولة هي التي على عاتقها تقع مسؤولية رعاية المصالح العامة في المجتمع بمجموع أفرادها⁶، وقد استدل علماء الملَّة على شرعية الدولة - السلطة السياسية - بقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)⁷.

1- الألباني، الصحيحة، ص 314، رقم، 3418.

2 - المصدر السابق نفسه، ص 321، رقم، 984.

3 - الصلاحي، التداول على السلطة، ص 54 - 55.

4 - عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 52.

5 - عبد العزيز، المرجع السابق، ص 148 وما بعدها.

6 - يُنظر كلام ابن خلدون في المقدمة، ص 180 - 183، و ص 225.

7 - سورة: النساء: الآية: 58 - 59.

فالخطاب في الآية الأولى متوجهٌ رأساً للحكام، ومتقلدي المسؤولية، بوجوب رعاية الأمانات، وأداء مختلف الحقوق، والحكم بالعدل (فإنَّ إضاعة الأمانة والعدل نذيرٌ بهلاك الأمة وخراب الديار...)¹، بينما يتوجه الخطاب في الآية الثانية إلى الرعية بطاعة من يتولى أمورهم وعدم شق عصا الطاعة وتشيت جماعة المسلمين لعواقبه الوخيمة، وتوارت النصوص المانعة من ذلك منها:

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله. و من يطع الأمير فقد أطاعني. ومن يعص الأمير فقد عصاني).²

وقال أبو ذر رضي الله عنه: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع. وإن كان عبداً مجدع الأطراف)³. (والمراد أخس العبيد. أي أسمع و أطيع للأمير وإن كان دنيء النسبة. حتى لو كان عبداً أسود مقطوع الأطراف. فطاعته واجبة).⁴

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: (على المرء المسلم السمع والطاعة. فيما أحب وكره. إلا أن يؤمر بمعصية. فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة).⁵

هذا، وإنَّ الذي يدرك مهام السلطة السياسية الجسيمة، يدرك أهميتها البالغة في الإسلام - أعني السلطة -، إن كان من جانب الممارسة أو من جانب التداول.⁶

ولذلك، فإن السلطة السياسية قضية سياسية أساسية في الإسلام، فوجودها توجد الدولة، وبانتفائها تنتفي الدولة، ودون الدولة لا تحمي عقيدة الإسلام، ولا تظهر شريعته، وينهار التماسك الاجتماعي، عندما تتعارض الحريات الفردية والجماعية⁷... لا سيما وأنَّ السلطة السياسية تستند في قيامها على خصائص تمنحها الدور الفيصلي والمفصلي في الواقع⁸، ولعل من أبرز هذه الخصائص:

1 - الفهدوي، المرجع السابق، ص 256.

2 - صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ج 3، ص 1466، برقم 1835.

3 - صحيح مسلم، ج 3، ص 1467، برقم 1837.

4 - المصدر السابق نفسه، ص 1467، الهامش 4.

5 - المصدر السابق نفسه، ص 1469، برقم 1839.

6 - لإنارة هذه النقطة أعني - تداول السلطة في الإسلام -، يُراجع: إياد كامل إبراهيم الزبياري، التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م، ص 16 وما بعدها، الصلاحي، التداول على السلطة، ص ص 58 - 82.

7 - التيجاني عبد القادر حامد، أصول الفكر السياسي في القرآن المكّي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1416 هـ / 1995م، ص 19.

8 - يُنظر كلام إياد، المرجع السابق، ص 6 - 7.

- الوسطية في تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة

- أنها شورية غير استبدادية.¹

- العموم والفوقية باعتمادها على القوة المسيطرة

- الاستقلالية عن القائمين بها

- الاتصاف بالسيادة والشرعية.²

وبعد هذا العرض عن مصطلحات البحث، وما يتعلق بتفصيلاتها، يستخلص القارئ معي أهمية السلطة والنظام في الاسلام، ويُدرك القوة الممنوحة لمتوليها على رقاب الناس، مهما كانت تسميته أو مدى قُربه من مركز الحكم، ولا شك أنه كلما اقترب أكثر، اشتدت سَطوته أكثر.

وحيث أن الاسلام دين شاملٌ كاملٌ متوازنٌ، فإنه كما أعطى القوة والشرعية للمتولي وأعوانه، فإنه هدّدهم بعذاب النار وسوء المصير، في حال إساءة استخدام السلطة والقوة والتورط في ظلم الرعية. وقيد طاعتهم في المعروف³. وها أنا أسوق لك بعض نصوص السنة الصحيحة في ذلك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن شئتم أنبأكم عن الإمارة وما هي ؟ أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل، فكيف يعدل مع أقربيه ؟).⁴

- وقال أيضا: (أيما راعٍ استرعى رعيةً فغشها فهو في النار).⁵

وقال أيضا: (ليوشك رجلٌ أن يتمنى أنه خزرٌ من الثريا، ولم يل من أمر الناس شيئاً).⁶

وقال أيضا: (ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة).⁷

وقال أيضا: (ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه إلا العدل، أو يُوقه

الجور).⁸

1 - الفهدوي، المرجع السابق، ص 125 - 126.

2 - نادية، المرجع السابق، ص 69 - 73.

3 - محمد الطنجي، الضمانات التي يعطيها الاسلام للسلطة الاسلامية في البلاد، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رجب 1377 - فبراير 1958، س 1- ع 8، ص 16 - 18.

4 - الألباني، الصحيحة، ص 310، رقم 1562.

5 - الألباني، الصحيحة، ص 314، رقم 1754.

6 - المصدر السابق نفسه، ص 320، رقم 361.

7 - المصدر السابق نفسه، ص 321، رقم 2631.

8 - المصدر السابق نفسه، ص 320، رقم 2621.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمر الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)¹.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة)².

من خلال ما تقدم بيانه وإيراده نستنتج أهمية الاحاطة بالمصطلحات الخاصة بدراستنا هذه، لما في ذلك من رفع اللبس وقبلة الجهل بنوعيه عن القارئ والباحث.

يُضاف الى ما تقدم الحاجة الأكيدة، لوجود النظام والسياسة في حياة البشرية وإحلاله، التي وإن جاءت في القوانين والدساتير، إلا أنها لم تَسْمُ بممارستها ومتلقيها في مصاعد الكمال البشري.

ولقد تولى الإسلام تكريم الانسان³، ورفع شأنه ومقامه، بتشريع من الخالق العالم الحكيم، وبيان للحق وللواجب والباطل والعاطل، والتمييز بين الظلم والعدل، والتطبيق الصارم للحد والقانون، والتهديد والوعيد لمن خالف وعصا واستكبر، مدح العدل ووعدهم بجزيل الأجور... أَلست ترى إلى قول الله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)⁴.

والى قول نبيه صلى الله عليه وسلم: (... قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعيش منكم فسيروى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد)⁵.

1 - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج 3، ص 1459، رقم 1829.

2 - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الامام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ص 1460، رقم 142.

3 - طالع في ذلك مثلا: مروان إبراهيم القيسي، حقوق الانسان في الاسلام (الميسرة)، دار الكتاب الثقافى، 1435 هـ - 2014 م، ص 9 وما بعدها، عبد الرحمان بن سعد الحسيني، منهج الإسلام في سلامة الإنسان، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية / حماية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، السعودية، 1425 هـ - 1426 هـ، ص 55 وما بعدها.

4 - سورة الإسراء: الآية: 70.

5 - الألبانى، الصحيحة، ص 450، رقم 937.

فالشُّقُّ الأول من استنتاجنا هو ما عنيته **بدلالة المصطلح**، وأما الشُّقُّ الثاني فهو يشرح أهمية **المؤدى** من المعنى المنبثق عن ذلكم المبنى وهو اللفظ والاحاطة والتعريف.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري (13
-15م).

1 - التحديد الجغرافي لبلاد المغرب والأندلس.

أ- بلاد المغرب.

ب - الأندلس.

2 - المغرب والأندلس ما بعد الموحدين.

أ - دولة بني حفص: (625 - 981 هـ / 1228 - 1574 م).

ب - دولة بني عبد الواد (الزيانية) (633-962 هـ / 1235-1554 م).

ج - دولة بني مرين (610 هـ - 869 هـ / 1213 - 1465 م).

د - دولة بني الأحمر (635 هـ - 897 هـ / 1238 - 1492 م).

تتطرق الدراسة لأحداث سياسية كثيرة، من قيام دول وأفول نجم أخرى، وحركات تمرد ومنازلة للنصارى والأقربين، جرت أحداثها على مدى ثلاثة قرون، كانت منطقة بلاد المغرب والأندلس مسرحاً لها، وهما المنطقتان الشاسعتان امتداداً، الغنيتان بالموارد وطيب المناخ.

من هنا تظهر أهمية الحديث - مع شيء - من الاجمال عن المنطقة جغرافيا يومئذ وحاليا، حتى يتسنى للقارئ تصور الأحداث واستيعابها من خلال الربط الذهني بالمكاني والحدث التاريخي.

1 - التحديد الجغرافي لبلاد المغرب والأندلس:

أ - بلاد المغرب:

يُقصد بمصطلح المغرب جغرافياً، كل ما يُقابل الشرق أو المشرق، فكل ما كان غرب بلاد مصر، سُمي مغرباً¹، مع اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديد رقبته². والمغرب قديمٌ معروف منذ قبل الميلاد، وعليه قامت صولات وجولات في تاريخ البشرية³، وورد الكلام عن المغرب في الحديث النبويّ في فضل أهله إن صحّت ثبوتاً أو فهماً⁴، وتُسمى هذه المنطقة اليوم بالمغرب العربي⁵، أو بشمال إفريقيا⁶، وتقتسمه أربعة دول، تتشابه ثلاثة منها كثيراً مع الدول التي حكمت في فترة الدراسة، وإن مع اختلافات في التسميات، وحقيقة الحكم والامتداد، وهذه الدول هي تونس والجزائر والمغرب الأقصى حالياً.

1 - عبد الرحمان حسين العزاوي، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1432 هـ - 2011م، ص 18.

2 - يُنظر: عبد العزيز غوردو، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: جدلية التمددين، تق، عبد الرحيم تمحري، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ط2، 1432 هـ - 2011م، ص ص 9 - 12.

3 - يُنظر: عبد الرحمان العزاوي، مرجع سابق، ص ص 15 - 22، ويُنظر أيضاً: جلال يحيى، المغرب الكبير، الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص ص 1 - 1251.

4 - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص ص 5 - 8، وهو يذكر الحديث عن فضائل أهل المغرب، أبو زكريا يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321 هـ - 1903م، مج 1، ص 84.

5 - أ حمد إدريس وآخرون، المغرب العربي وقضايا الهوية، مركز الدراسات المتوسطية والدولية، ع 07، جانفي / يناير 2012م، ص ص 1 - 11.

6 - STÉPHANE GSELL, HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD, TOME I, LIBRAIRIE HACHETTE, PARIS, pp 1 - 176.

افتتح المسلمون بلاد المغرب بعد جهود مضيئة وتضحيات كبيرة¹، امتدت على مراحل من سنة 21 هـ / 641م الى سنة 90 هـ / 708م²، ومنه انطلقوا لفتح الأندلس وأجزاء أُخرى³.

ولقد اشتهر تاريخياً تقسيم بلاد المغرب، لاعتبارات سياسية غالباً، إلى ثلاثة أقاليم أو وحدات جغرافية هي: **المغرب الأدنى**، وعُرف أيضاً باسم افريقية⁴ وقاعدته تونس⁵ منذ زمن بني حفص⁶، **والمغرب الأوسط**، ويعرف اليوم بالجزائر (كدولة)، وقد تعددت عواصمه⁷، واليوم حاضرتة مدينة

- 1 - يُنظر النتائج التي أفرزها الفتح: ابراهيم حركات، آثار الفتح الإسلامي في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رجب 1380 - دجنبر 1960، س 4- ع 3، ص ص 41 - 44.
- 2 - يُنظر الكلام عن أسباب الفتح الاسلامي لبلاد المغرب: غوردو، مرجع سابق، ص ص 19 - 22، ولمزيد التفصيل عن مختلف مراحل الفتح وعوائقه ونتائجه، يُراجع: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1983، ص ص 35 - 172.
- 3 - يُنظر لمزيد التفصيل: شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسوريا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352هـ، ص ص 11 - 307.
- 4 - هي (عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر... قيل معنى اسمها صاحبة السماء وقيل غير ذلك، وافتتحها المسلمون في سنة سبع وعشرين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح). يُنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص ص 47 - 48، ويُطالع ما نقله ابن عذارى عنها من وجود بابين فيها واحد للجنة والنار، وذكره من دخل من الأصحاب رضي الله عنهم، وكلامه أو نقله الأول متعقب فيه بلا شك لانتفاء الدليل عليه، والجزء الثاني ثبت تاريخاً، ص ص 7 - 8.
- 5 - مدينة إفريقية محدثة إسلامية، قيل أنها أحدثت سنة ثمانين للهجرة... وهي قاعدة البلاد الإفريقية وأم بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين ومهاجر أهل الأقطار من الأندلس والمغرب وغيرهما... الحميري، المصدر السابق، ص ص 143 - 144.
- 6 - أحمد عزوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج 1، عصر الانقسام (القرون الأولى)، مطبعة ربا نيت، ديور الجامة، الرباط، المغرب، ط2، 1430 / 2009، ص ص 9 - 10.
- 7 - تعددت حواضره بين تاهرت وأشير وتلمسان وجزائر بني مزغنة. يُراجع عن ذلك تفصيلاً وتأويلاً: مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق، محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ج2، ص ص 57 - 504، ويُنظر: صالح بوقرية وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ط خ، الفصول 7 - 8 - 9.

الجزائر¹، والمغرب الأقصى، وهو امتدادٌ للمغرب الأوسط²، وكثيراً ما كَوَّنَا إقليماً واحداً سياسياً وجغرافياً يعرف اليوم بالمغرب، والمغرب الأقصى وعاصمته الرباط³ في ظل المملكة المغربية⁴.

ب - الأندلس:

تقع هذه الرقعة في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية، لا حدود برية لها إلا جهة الشمال⁵، وتُعرف أيضاً باسم الجزيرة أو شبه الجزيرة الإيبيرية وغيرها⁶: (اسمها في اللغة اليونانية اشبانيا، وهي بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد...) ⁷. وتشغلها اليوم مملكة اسبانيا¹ وكذا البرتغال².

1 - مدينة جلييلة قديمة البناء فيها آثار للأول... تدل تلك الآثار العجيبة على أن الجزائر كانت دار مملكة لسالف الأمم... ومرساها مأمون به عين عذبة يقصدها اصحاب السفن من افريقية والأندلس وغيرها... الحميري، المصدر السابق، ص 163.

2 - يُنظر كلام مائع عن حقيقة وجود مصطلح المغرب الأوسط من عدمه: عبد القادر بوعقادة، هل المغرب الأوسط خرافة؟، عصور الجديدة، ع 21-22، شتاء- ربيع، (ماي) 1437هـ/2016م، ص ص 60 - 73.

3 - أسَّسها الموحدون قاعدةً ومنطلقاً لجيوشهم الى الاندلس شمالاً وافريقية شرقاً، لموقعها الهام المتوسط بين مراكش وفاس والأندلس... يُنظر مزيد التفصيل عن الموقع والتاريخ والتطور يُراجع: عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، تق، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1399هـ - 1979م، ص 49 - 53، سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، منذ إنشائها حتى نهاية عصر بني مرين، مؤسسة شباب الجامعة، 1996، ص 19 وما بعدها.

4 - عبد الرحمان العزاوي، مرجع سابق، ص 25، ويُنظر: محمود الشرقاوي، المغرب الأقصى مراكش، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت، ص ص 9 - 78.

5 - إن اعتبرناها وحدة متكاملة كما كانت زمن المسلمين، فتفصل بينها وبين جنوب فرنسا سلسلة جبال البُرت، أو البرتات.

6 - محمد عبده حتامله، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 1420 هـ / 2000م، ص ص 1021 - 1088، توفيق سلطان اليوزنيكي، الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج5، ع 20، 1431 هـ - 2010م، ص ص 1021 - 1024.

7 - الحميري، المصدر السابق، ص 32، ويُنظر بقية ما نقله عن مناخها وحدودها ومن سكنها أو قيل أنه دخلها الى ص 35. ويُنظر أيضاً: أمين الريحاني، نور الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2015، ص 11

- 12.

قامت على أرض الاندلس حضارة إسلامية عظيمة³، منذ أن فتحه المسلمون الذين عبروا من بلاد المغرب في سنة 92 هـ / 711 م⁴، وآخر حاضرة له⁵ كانت غرناطة⁶ لآخر مملكة - أعني مملكة بني الأحمر أو بني نصر كما سيأتي -، وهي التي تولّت جمع شتات المسلمين الفارّين بدينهم من أهوال مروعة مزعجة صاحبت سقوط العواصم الأندلسية الكبرى تواليًا. فرفعت تلك المملكة الأندلسية الأخيرة لواء الاسلام، وبثت حضارة مترامية الأطراف متعددة الفنون⁷، نحو من القرنين إلى سقوطها النهائي في سنة 897 هـ / 1492 م.⁸

- 1 - يُنظر عن ماضيها مشرقه ومظلمه سياسة وأدبا وفكرا وقاتالا: مونتغمري وات، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، تر، محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص ص 17 - 192.
- 2 - يُراجع تاريخ تأسيسها وامتدادها على الرقعة التي هي اليوم فيها: محمد محمود النشار، تأسيس مملكة البرتغال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1995م، ص ص 32 - 224.
- RMUALD GIEDROYC, RESUME DE L'HISTIRE DU Portugal AU XIX ° SIECLE, LIBRAIRIE D'AMYOT, EDITEUR, PARIS, pp 1 - 236.
- 3 - يُنظر: حتامله، مرجع سابق، ص ص 119 - 148.
- 4 - يُنظر مقدمات الفتح وبواعثه ومراحلها: عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1402 هـ - 1981 م، ص ص 43 - 128، سالم، مرجع سابق، ص ص 177 - 201.
- 5 - تنوعت حواضره خصوصا لما ظهرت دويلات الطوائف فبين قرطبة واشبيلية وبلنسية.
- 6 - أو أغرناطة، وهي مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلا موصوفة بالحسن والحصانة، الحميري، المصدر السابق، ص ص 45 - 46، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تع، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1955، ج 2، ص ص 102 - 105، ابن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تص، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، 1347، ص ص 12 - 19، نفسه، لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تع، محمد عبد الله عنان، مج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1393 هـ - 1973 م، ص ص 91 - 134.
- 7 - عبد الفتاح عوض، إشراقات أندلسية، صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2007م، ص 7 وما بعدها وهو يلخص ويعدد التسلسل التاريخي ويقف عند المدن الأندلسية وضياعها وحضارتها ...
- 8 - حتامله، مرجع سابق، ص 1090 وما بعدها وهو يعدد ظروف سقوط الاندلس ونكث النصارى للعهود والمواثيق، واضطهادهم للمسلمين في أفظع مجازر محاكم التفتيش.

ولقد استمرت آثار المسلمين في الأندلس وإشراقهم، تصنع سعادة الغرب الى يوم الناس هذا، فبين بناءات ومساجد وقصور¹، وبين علوم متنوعة، وفلسفة منتخبة، وفلكٍ وخفاء، وتنجيم وفيزياء، وملاحة وعلم أرض ونبات وحيوان، وفن وشعر وأدب...²

وحيث أننا أننا نحاول إمطة اللثام عن بعض الحقائق التاريخية والجغرافية، فيصير من المناسب للبحث، الحديث عن المغرب والأندلس ما بعد الموحدين سياسياً.

2 - المغرب والأندلس ما بعد الموحدين:

أ - دولة بني حفص: (625 - 981 هـ / 1228 - 1574 م):

ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي³، مع اختلاف في أسماء السلسلة الذي قد يُعتبر التباساً أو من قبيل السَّقَط البصري الواقع أثناء تجريدتها وتسجيلها إن صحَّ النسب. وأنَّ الشيخ أبا حفص عمر هو: (ابن يحيى ابن محمد بن والد بن علي بن أحمد بن ولال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافق بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه)⁴، وقيل بل هو: (عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي بن أحمد بن والال بن ادريس ابن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن ياسين ابن محمد بن نجبه بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)⁵، وقبيلة هنتاتة من أكبر قبائل المصامدة بربر الأطلس الاعلى⁶: (قد اتخذوا المعقل والحصون وشيدوا المباني والقصور واستغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العالم،

1 - السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1986، ص 9 وما بعدها.

2 - خوان قيرنيت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، تر، نهاد رضا، تق، فاضل السباعي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط 1، حزيران / يونيو، 1997م، ص ص 179 - 483.

3 - هو الجد الأول للحفصيين وجميعهم ينتسب إليه. أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص ص 48 - 49.

4 - المصدر السابق نفسه، ص ص 48 - 49.

5 - أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، دت ، ص 24.

6 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، ك 3، 1963، ص 423، عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000م، ج 6، ص ص

فرحل إليهم التجر من الآفاق، واختلقت غليهم أهل النواحي والأمصار، ولم يزالوا منذ أول الإسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال قد أوطنوا منها أقاليم تعددت فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم...¹

وتسمى الشيخ أبو حفص بالعمري² وتلقب بأزناج أو أحناق أو اصناك أو فارصكات أو فصكة بن ومزال³، ويقول ابن خلدون⁴ بعد أن ساق النسب إلى الفاروق رضي الله عنه: (ويظهر منه أن النسب القرشي وقع فيهم والتحم بهم، واشتملت عليه عصبته شأن الأنساب التي تقع من قوم إلى قوم وتلتحم بهم...)⁵.

ولا يخفى على أحد أهمية الانتساب الى رجل عظيم القدر والشأن، كعمر الفاروق رضي الله عنه بغض النظر عن صحته من عدمه، لدوره في اضعاف صبغة الشرعية الدينية على الحكم كما سنبينه في موضعه ان شاء الله تعالى.⁶

ولقد تضافرت أسباب وعوامل هيأت للأسرة الحفصية الفرصة، لإقامة دولتها على أرض المغرب الأدنى، تلك الدولة التي ستعمر أكثر من ثلاثة قرون تاركة بصماتها على مسرح أحداث التاريخ الانساني لاسيما المغربي والأندلسي منه. وتتبع للمصادر التاريخية يمكننا أن نجمل الاسباب في عواملين أساسيين:

360 – 364، أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، ط3، 1323، ص56.

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 298، وص 370.

2 - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333 هـ - 1915 م، ج 7، ص 377.

3 - المراكشي، المصدر السابق، ص 262، و ص 420، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتحق، محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، التعليقات ص ص 214 - 216، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 370.

4 - ستأتي ترجمته في ثنايا البحث ان شاء الله.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 371، وقد لا يُستغرب هذا الكلام من ابن خلدون لأنه كان من موظفي الدولة الحفصية ولها أفضال عليه وعلى عائلته، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه من الدراسة، فارتقبه !.

6 - يُنظر الزركشي، المصدر السابق، ص 24، الهامش 2، القلقشندي، المصدر السابق، ج 7، ص 377، روبر برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار

الغرب الإسلامي، ط 1، 1988، ج 1، ص 42، الهامش، 36، أين يزعم أن المهدي بن تومرت كان يعتبر نفسه بمثابة الرسول الجديد، فأراد أن يكون الى جانبه أبو حفص جديد. ويُراجع كلامه أيضاً في نفي النسب وأنها لم تكن الا حيلة لإضعاف الشرعية، المرجع نفسه، ج 2، ص 9 - 10.

فأما ما يتعلق بالأسرة الحفصية فيرجع السبب الرئيس إلى سابقة جدهم في خدمة الموحدين مذ ظهر أمر ابن تومرت¹ أول مرة، إذ أنه أول من بايعه عندما أعلن مهاديته في سنة 515 هـ / 1121 م، وإليه يرجع الفضل في دعوى قبيلته إلى اتباعه ومناصرته.²

(وبحكم مكانته الاجتماعية، وحسن اخلاصه للمهدي وتعاليمه، أعتبر من العشرة الأوائل، إذ كان يأتي بعد عبد المؤمن³ في المنزلة من غير منازع، ويشترك معهما في الألقاب الرئاسية).⁴

ويذكر ابن خلدون أن المهدي كان يُسمى بالإمام، وعبد المؤمن بالخليفة، وأبو حفص بالشيخ، ما يدل على وزنه وثقله السياسي في دعوة الموحدين⁵، حتى أن ابن تومرت كان (يُسمى فُصْكة هذا: المبارك،

1 - هو محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرغة من بطون المصامدة الذي اشتهر في التاريخ بالمهدي (475 - 524 هـ / 1082 - 1129 م)، من أهل سوس في أقصى المغرب، ومولده بما بضیعة منها تُعرف بإيجلي أن وازغن، قاد ثورة عقدية لإصلاح الفساد الذي تفشى في عهد المرابطين وصل حد تكفيرهم وقتالهم، يُنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص ص 245-270، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، در وتحق، محمود علي مكّي، دار الغرب الاسلامي، مصر، 1410 هـ / 1990 م، ص ص 87 - 93، علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972، ص ص 179 - 183.

2 - محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تص، البشير الفوريقي، مطبعة التقدم الاسلامية، تونس، 1329 هـ، ص ص 78 - 79، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 370 - 371، وعن فحوى دعوة ابن تومرت ومراحلها، يُنظر: لونا فريدة، الدور السياسي للتعليم في دولة الموحدين (524 هـ - 667 م) / (1130 م - 1270 م)، مذكرة للحصول على شهادة الماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، السنة الجامعية، 2011 - 2012، ص ص 25 - 45، مصطفى بنسباغ، السلطة بين التسنن و" التشيع " والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تق، محمد بنعبود، مطابع الشويخ، تطوان، ط1، 1999، ص ص 32 - 77.

3 - هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي علوي الكومي، أمه حرة كومية أيضا، من قوم يقال لهم بنو مُجْبَر، مولده بتاجرا من أعمال تلمسان، وقيل أنه كان ينسب نفسه من جهة المنشأ الى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإلى كومية من جهة الولادة فقط، ولد في آخر سنة 487 هـ / 1094 م، وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة من سنة 558 هـ / 1163 م،. وحكم إحدى وعشرين سنة، المراكشي، المصدر السابق، ص ص 365، وص 423، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 305 - 319.

4 - صالح أبو دياك، النظام السياسي عند الحفصيين، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، 2000، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، مصر، ص 218.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 306.

ويقول: لا يزالون بخير ما بقي فيهم هذا الرجل أو أحد من ولده فكان الأمر كما قال، وانتفعوا به وبأولاده وأولاد أولاده¹، وكان ابن تومرت كان يتوسم فيه وفي بنيه من بعده القدرة على سياسة الناس والحكم وهو ما برهنت عنه قابل الأيام. وبلغ من مكان الشيخ أن توقف عبد المؤمن عن تسمية نفسه خليفة لثلاث سنوات، حتى بايعه أبو حفص بقوله: (نقدمك كما كان الإمام يقدمك)، وأعلن بيعته وحمل المصامدة على طاعته، فلم يختلف عليه اثنان.

وكان الحلُّ والعقد في المهمات إليه سائر أيام عبد المؤمن وابنه يوسف²، وكان يُتقدّم للمواجهات العظام ويُؤمَّر إلى الاخطار الجسام، التي تهدد استقرار الدولة الموحدية، من الفتن والثورات والقلال، فكان يقوم بشجاعة ويبللي البلاء المشكور دون كلل أو ملل، مرة بعد مرة حتى وفاته في سنة 571 هـ / 1175 م.³

وبقيت الولاية والصدارة من بعد أبي حفص في بنيه توالياً⁴، الذين ساروا على نفس النهج في خدمة الموحدين ودولتهم إلى زمن الخليفة الناصر⁵، حيث برز دورهم وولاءهم في مواجهة ثورة بني غانية⁶ التي

1 - المراكشي، المصدر السابق، ص 421.

2 - هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه حرة اسمها زينب ابنة موسى الضيرير، تولى بعد أخيه محمد الذي لم تطل فترة حكمه إلا خمسا واربعين يوما، ولم يكن في بني عبد المؤمن ملك بالحقيقة غيره، وكانت وفاته في سنة 580 هـ / 1185 م، المراكشي، المصدر السابق، ص ص 307 - 334، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 331، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب - قسم الموحدين -، تح، مجموعة من الأساتذة دار الغرب الاسلامي - بيروت - لبنان، ط 1، 1406 - 1985، ص 265، و ص 291.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 306، و ص 371 - 372.

4 - يُراجع المراكشي، المصدر السابق، ص 420.

5 - هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه أم ولد اسمها زهر، رومية، مولده في آخر سنة 576 هـ / 1181 م .، بويغ له بعهد أبيه إليه في سنة 595 هـ / 1199 م . بعد وفاة أبيه وعمره سبع عشرة سنة وأشهر، وتوفي لعشر خلون من شعبان سنة 610 هـ، وفي عهده اضطرب أمر الخلافة وهُزم هزيمة منكرة أمام الممالك النصرانية في الاندلس، يُنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 286 - 287، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 319، ابن عذاري، المصدر السابق، ق م، ص 236.

6- ينتسب بنو غانية إلى المرأة التي تزوجها علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، وولدت يحي ومحمد اللذان اشتهرا ببني غانية، وأشعلوا ثورة كبيرة ضد حكم الموحدين من سنة 580 هـ / 1184 م منطلقا من بلاد الأندلس لاسيما ميورقة التي كانت مستقرا لمحمد ولبنيه واشتهروا بسببها بالميورقيين ، ومنها كان عبورهم إلى بجاية فاحتلها علي ابن اسحاق ابن محمد ابن غانية في أحداث طوال زمن الخليفة يعقوب المنصور، من أشهر معارك بني غانية: معركة تاجرا أين الحق بهم عبد الواحد الحفصي هزيمة منكرة، المراكشي، المصدر السابق، ص ص 342 - 352، و ص 397 - 398، الزركشي، ص 17،

أرهقت الدولة الموحدية سياسيا وعسكريا واقتصاديا، وكان ذلك من الأسباب التي حملت الناصر بإجماع من شيوخ الموحدين، على تولية¹ الشيخ أبي محمد²، بعد تجميع قوة بني غانية، لكن أبا محمد رفض واعتذر وتحجج، حتى أن الخليفة فاوضه في ذلك بنفسه ثلاث مرات، ولم يقبل أبو محمد الولاية إلا أخيرا على مضض وشروط وضعها، ووافق عليها الناصر مضطرا لا مختارا.³

فالأكد إذن ! أن الأمر لم يكن مجرد إجماع على شخص، وتولية لكفاءة، ورفض لتورع ونزاهة؛ فإن المتأمل في حال الدولة الموحدية خلال هذه الفترة وما بعدها، لن يصعب عليه فهم وتفسير هذا الموقف السياسي الدقيق.

فلقد كان الصراع على النفوذ الداخلي وفي بلاط السلطان الموحد (هو الذي حدا بأولئك الشيوخ على إبعاد عبد الواحد بن أبي حفص مهما تكن نتائج ذلك الإبعاد على سير السلطنة ومكانة الدولة في سبيل تحقيق ما يريدون من أهداف وحاجات خاصة...)،⁴ وعقد الناصر لأبي محمد في يوم 10 شوال سنة

وللاستزادة يُنظر: واعظ نويوة، أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580 هـ - 1184 م / 633 هـ - 1235 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية، (مرقونة)، قسم التاريخ والجغرافيا، بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية، 2007 - 2008م، ص 5 - 46.

1 - على إفريقية.

6 - هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، مولده في سنة ستمائة وثلاث، ووفاته في يوم الخميس غرة المحرم فتح ثمانية عشر وستمائة، كان شيخ دولة الموحدين وصاحب الرأي فيها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 332 - 335، ص 374، ابن قنفذ، الفارسية، ص 105، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 48 - 49.

3- يُراجع الحيلة الطريفة التي سلكها الناصر لإقناع أبي محمد بالولاية مع الشروط: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981، ص 360 - 363، ومن الاقوال المعاصرة أن عبد الواحد لم تكن له تلك الخبرة السياسية التي تخوله الحكم، فأراد الابتعاد عن تحمل المسؤولية. ولا شك لدينا في ضعف هذا القول غاية الضعف من عدة وجوه، فالناظر لسيرة عبد الواحد و إنجازاته السابقة واللاحقة يدحض أي شك في مقدرته العسكرية والسياسية، يضاف الى ذلك الشروط التي وضعها، فإنها تتم عن قائد وسياسي محنك، فهم أن بطانة الناصر تعمل على ابعاده عن البلاط، وما ذاك إلا خوفا منه ومن نبوغه ونضجه القيادي. خديجة عبد الله علي أبو سدرية، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرائية والثقافية في المغرب الادنى خلال العصر الحفصي من القرن السابع إلى التاسع الهجري / القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر الميلادي، رسالة ماجستير في التاريخ، (مرقونة)، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2006 م، ص 10.

4- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406 هـ - 1986 م، ص 88.

603 هـ - 10 ماي 1207م، وكان متزوجا بعممة الخليفة¹، وبقي في ولايته عليها إلى وفاته يوم الخميس أول محرم من سنة 618 هـ - 1221م²، فورثه في إمارته هذه ولده عبد الرحمان³ مُستبدا بها إلى أن أفضت إمارتها إلى أبي زكرياء يحي⁴ سنة 627 هـ - 1229 م، وفي عهده قامت الدولة الحفصية بصفة رسمية مستقلة بذاتها وكيانها.⁵

وأما الدولة الموحدية⁶ فلقد تدهورت أحوالها سياسيا وعسكريا على المستويين الداخلي والخارجي، خاصة بعد هزيمة حصن العقاب⁷، أمام الممالك النصرانية في الاندلس، التي دارت رحاها في شهر صفر من سنة 609 هـ الموافق 16 يوليو من عام 1212م؛ إذ تركت تلك الهزيمة القاسية آثارها البليغة على بلاد المغرب والاندلس، و على الدولة الموحدية⁸؛ فتنازع أفراد البيت أحقية الحكم، وتقاتلوا بل واستعانوا

1- المراكشي، المصدر السابق، ص 420.

2- المصدر السابق نفسه، ص 397 - 398.

3 - هو أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص، تولى الحكم في سنة 618 هـ، ثم عزله المستنصر بعد ثلاثة أشهر من ولايته، فارتحل الى المغرب بإخوته حيث قُتل بمراكش سنة 625 هـ. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 376 - 381، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 105 - 106.

4 - ابن الشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص، ممد الدولة وباعثها الى مجدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 380 - 400، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 107 وما بعدها، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص ص 54 - 57.

5- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزائر، ط، 2009، ج 2، ص 82.

6- وهي دولة من البربر قامت على أنقاض دولة المرابطين (454- 543 هـ / 1062- 1148 م)، أو دولة الملتزمين البربرية أيضا، كان المؤسس لدولة الموحدين ومؤصل عقيدتها محمد بن تومرت المهدي(ت 524 هـ / 1129 م)، ثم قام بالأمر من بعده خليفته والمقرب إليه، عبد المؤمن بن علي الكومي (ت558هـ/1163م)، وهو الذي قضى على دولة المرابطين، واكتسح عاصمتهم مراكش في سنة 543 هـ / 1148م، يُنظر: المراكشي، المصدر السابق، ص ص 245- 270.

7- العقاب جبل مظل على خارج غرناطة بينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة البيرة، وقد حصلت هذه المعركة الحاسمة بمديرية جيان الحالية على بعد خمسة كيلومترات شمال شرق لاكارولينا. يُنظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تعل، ابن أبي شنب و ألفريد بل، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1337 هـ - 1919 م، ص 123 - 124، الحميري، المصدر السابق، ص 416، يُنظر أيضا، ابن أبي زرع، المصدر السابق، منفردا بالتسمية بالحصن ص 238.

8- عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن(7 هـ / 13 م) ودورهم الثقافي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، (مرقونة)، كلية العلوم والحضارة الاسلامية، قسم

بالنصارى، قبل أن ينسدل الستار نهائياً عن دولتهم¹. وكان من النتائج المباشرة لهذه التصرفات قيام دولة بني حفص على أرض المغرب الأدنى.

ومرت الدولة الحفصية تاريخياً، بأربعة مراحل منذ قيامها الى سقوطها. فالمرحلة الاولى، امتدت بين أعوام (625 هـ - 675 هـ / 1228 م - 1277 م)، وتبدأ من اعلان أبي زكريا قيام الدولة الحفصية، في سنة 625 هـ / 1228 م، وتنتهي بوفاة ابنه المستنصر² في سنة 675 هـ / 1277 م.

وأهم مميزات هذه المرحلة:

الاستقلال والسيادة والعصر الذهبي، بسبب الجهود الجبارة التي بذلها أبو زكريا - وابنه - من بعده لبعثها على مسرح الاحداث، وتقوية ساعدها في ظرف عصيب على بلاد المغرب ككل، فإن انخيار الموحدين المدوي في المغرب والاندلس، واختلال ميزان القوة لفائدة النصارى، جعل أبا زكريا على يقين بأعباء ارث الموحدين.³

وأمام هذه التطورات الخطيرة⁴ التي استجدت، نجد أبا زكريا الحفصي يتدرج في تحقيق الاستقلال عنهم، إلى أن أعلنه بصفة رسمية خلع ورد رسالهم في سنة 625 هـ / 1228 م⁵. وتلقب بالأمير ورسم

الحضارة الاسلامية، جامعة وهران - السانبا -، السنة الجامعية، 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م، ص ص 18 - 20.

1- يُنظر عن ثورة المأمون الذي تنكر للمبادئ الموحدية واستعان بالنصارى لاستعادة الحكم في مراكش بشروطهم المذلة ما تسبب في سقوط المدن الاندلسية تواليًا: ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص ص 276 - 285، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 340 - 341، ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص 250-252، ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص 124.

2 - هو ثاني حكام الدولة استمر على نهج أبيه... ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 402 - 432، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 117 وما بعدها، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص 62 وما بعدها.

3- برنشفيك، مرجع سابق، ج 1، ص ص 49 - 54، المطوي، مرجع سابق، ص ص 17 - 151.

4- خصوصاً أفعال المأمون غير المسبوقة من قبيل التنكر لمبادئ المهدي، وتسلمه على مشايخ الموحدين بالقتل تارة وبالإبعاد تارة، إضافة الى إعدامه لأخوي أبي زكريا إبراهيم وعبد الله... يُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 381، ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص ص 292 - 293.

5 - فإنه عمد في البداية الى مياحة يحيى - الثائر - على المأمون، فلما تأكد لديه عجزه وضعفه أغفله وخطا الخطوة الثانية الحاسمة. ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص 274 وما بعدها.

علامته به في صدور مکتوباته، واقتصر على الإمام في الخطبة، وظل على ذلك نحو من ثماني سنوات إلى سنة 634 هـ / 1237 م.

وجدد بذكاء البيعة لنفسه مثبتاً ذكر الإمام، مقتصرًا على التحلي بلقب الأمير فقط. وعبثًا حاولت بطانته حمله على التحلي بلقب أمير المؤمنين، لكنه رفض وامتنع وظل على ذلك إلى آخر حياته¹. كما استطاع أبو زكريا أن يُحقق إنجازات كثيرة ومهمة، وشدّد الرقابة على العمال، وقرب الفقهاء واستعان بهم، وعمل على تطهير البلاد من دواعي القلق. فأحبه الرعية واستطاع توسيع رقعة دولته الناشئة، ودانت منطقة المغرب العربي له، وقضى على ثورة ابن غانية في سنة 631 هـ / 1234 م، وقمع الثورات والتمردات، وانحالت عليه وعلى ابنه من بعده البيعات من كل مكان².

وواصل ابنه من بعده عصر القوة والعنفوان الأول للدولة؛ فلقد شهدت اعتراف شرفاء مكة³ بالسيادة الحفصية، ومبايعة المستنصر خليفة للمسلمين في سنة 657 هـ / 1259 م، ولُقب الحكام من يومها بـ "أمير المؤمنين"، وهذا تبعًا للأحداث التي طرأت على السطح، خاصة بعد اختفاء السلطة المركزية⁴.

- الحملة الصليبية الثالثة على تونس في سنة 668 - 669 هـ / 1270 م، لأسباب شخصية ودينية واقتصادية وسياسية؛ هذه الحملة التي انتهت بالفشل الذريع⁵، وتوطيد حكم المستنصر وقمعه للثورات ضده⁶.

1- كقول أحد الشعراء مادحا له: ألا صل بالأمير المؤمنين... فأنت بما أحق العالمينا. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 381، ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص 293، ويُنظر تفسيرات المطوي، مرجع سابق، ص ص 160 - 162.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 381 - 418، برنشفيك، مرجع سابق، ج 1، ص ص 75 - 76، المطوي، مرجع سابق، ص ص 186 - 189.

3- شرفها الله ويُقال لها أيضا بكة... وهي مدينة قديمة البناء أزلية معمورة مقصودة من جميع الأراضي الإسلامية واليها حجهم. الحميري، المصدر السابق، ص ص 93 - 94.

4- ممثلة في الدولة العباسية، التي أسقطها التتار واحتلوا عاصمتها بغداد. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 407 - 417، برنشفيك، مرجع سابق، ج 1، ص ص 76 - 78، يُنظر تفسيرات المطوي، مرجع سابق، ص ص 188 - 196.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 424 - 429، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص 69 - 73، ويُنظر قبسٌ من تلکم النتائج: خديجة، مرجع سابق، ص 14.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 403 - 417، برنشفيك، ج 1، ص ص 69 - 72، المطوي، مرجع سابق، ص ص 175 - 185.

- كما توسعت رقعة الدولة شرقا وغربا. هذا الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي، دفع عجلة الحضارة في مجالات لا سيما مع الأثر الواضح والبصمة البينة للنخبة الأندلسية المهاجرة.¹

وأما المرحلة الثانية، فامتدت خلال (675 هـ - 772 هـ / 1277م - 1371 م)، وتبدأ من تولي السلطان أبي زكريا يحيى الوائلي² في سنة 675 هـ / 1255م، الى وفاة أبي البقاء خالد غريقا في البحر 772هـ/ 1371 م³. وقد تولى الحكم أبو زكريا يحيى، ثم خلع نفسه في سنة 678 هـ / 1280م لعمة، أبي اسحاق ابراهيم⁴ الذي أحبره ابنه أبو فارس⁵ عن التنازل عن العرش⁶، قبل أن يُقتل في الفتنة سنة 682 هـ/ 1283م⁷؛ والتي اختفت الامارة الحفصية على أثرها برهة من الزمن. ثم عادت على يد أبي حفص عمر⁸ في 683 هـ / 1284م الى وفاته في سنة 694 هـ / 1295م⁹.

1 - مریم بوعامر، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و 9 هـ / 13 و 15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، (مرقونة)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، شعبة تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010م، ص ص 46 - 49، و ص ص 97 - 132، نصيرة عزرودي، هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7 هـ - 13 إلى القرن 8 هـ - 14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 04، ديسمبر 2009 م، ص ص 50 - 52.

2 - ثالث حكام الدولة... ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 134 - 137، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 74 وما بعدها.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 556، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 109.

4 - هو رابع من ولي الحكم. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 555 - 556، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 137 - 143، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 75 وما بعدها.

5 - رابع من حكم الدولة، قُتل في فتنة الدعي... ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 142 - 143، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 77 - 78.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 444 - 445.

7- وهي فتنة الدعي الذي استطاع الاستيلاء على الحكم، وعات قتلًا وخرابًا الى غاية سنة 683 هـ / 1284 م. يُنظر لمزيد التفصيل: ابن خلدون، ج 6، ص ص 441 - 446، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 143 - 145، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص 77 - 81.

8 - هو خامس الحكام، بعث الدولة مجددا بعد انقطاعها زمن الدعي. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 146 - 152، ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص 80 - 81.

9 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 445 - 455، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 82.

ثم تولى على العرش المتهاوي ثلثة من الحكام المخلووعين أو المقتولين.¹

وأهم مميزات هذه المرحلة:

دخول الدولة في حالة من الضعف والوهن، وعظُم شأن العنصر الاندلسي المهاجر، واستطاع السيطرة التأثير على قرارات البلاط²، كما عرفت الدولة الانقسام الداخلي الخطير، وتفجرت النزاعات والصراعات بين أفراد البيت الحاكم، ما نتج عنه انقسام المملكة أكثر من مرة رغم كل المساعي للّمْ شملها³، هذه الحالة المتأزمة أَلقت بظلالها على استقرار الدولة، والتي سُرعان ما عجزت عن حماية أمنها ووجودها⁴، مع زيادة نفوذ الاعراب والعرب.⁵

تقلصت رقعة الأندلس الاسلامية، وتطاولت أيدي النصارى إلى أراضي المملكة، فتزايدت الهجمات والتحرشات بالسواحل.⁶

1- فخلفه ابنه أبو محمد عبد الله الى مقتله في سنة 694 هـ / 1295 م، ثم أبو البقاء خالد في 709هـ/1310 المعتال في 711هـ/1312م بيد أبي يحيى زكريا بن اللحياني، ثم خلعه أبو بكر بن أبي زكريا، ثم تولى الحكم أبو ضربة من سنة 717 - 718 هـ / 1317 - 1318م، ثم خلعه أبو بكر بن أبي زكريا الى وفاته في 747هـ/1346م فخلفه ابنه أبو حفص عمر، ليخلعه أخوه أبو العباس أحمد، قبل أن يتمكن عمر من قتله واستعادة الحكم... ثم تولى أبو العباس الفضل لكن وزيره خلعه وقتله في 751هـ/1350م منصبا مكانه ابا اسحاق ابراهيم الصبي، ثم ابنه أبو البقاء خالد، الذي توفي غريقا. يُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 433 - 554، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 143 - 178، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص ص 83 - 109.

2- يُنظر لمزيد التفصيل: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 433، بريكة مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7-9 هـ / 13-15 م)، ط 1، 2004م، دار ميم للنشر، الجزائر، ص ص 243 - 258.

3- فانقسمت الى بلاط بجاية وتونس الامر الى ، بل وصل ثلاث بلاطات تونس وبجاية والقيروان. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 434 - 515.

4- كثورة الدعي الذي قضى على الدولة زمنا. يُنظر تفصيلها عند ابن خلدون، ج6، ص ص 441 - 447.

5- يُنظر بعض الأوصاف والتعابير التي سجلها العبدري في رحلته. أبو عبد الله محمد العبدري، رحلة العبدري، تح، علي ابراهيم كردي، ط 2، 1426 هـ - 2005 م، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص ص 104 - 113.

6- فوقعت جربة في قبضة مملكة أرجونة في سنة 683 هـ / 1284 م، والمهدية من قبل روجيردي لوريا خلال سنوات 685 هـ - 686 هـ / 1286 م - 1287 م. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 447 - 448، وللمزيد عن علاقة مملكة أرجونة بالحفصيين، يُنظر:

- Antonio de Oriola- Cortada , «LA COURONNE D'ARAGON ET LES HAFCIDES A L'XIIIe(1229 - 1301)» , pp 51 - 113

ومما زاد في انحلال الدولة الحفصية، دخولها الحروب المتوالية مع بني عبد الواد¹ ونجح المرينيون في غزو المملكة مرتين²، قبل أن تستعيد استقلالها مرة أخرى في خضم تعقيداتٍ سياسية وعسكرية.

ثم المرحلة الثالثة، بين أعوام (772 هـ - 893 هـ / 1371 م - 1488م)؛ حيث بدأت من حكم أبي العباس أحمد³ - الثاني - في سنة 772 هـ / 1371 م، مروراً بالسلطان أبي فارس⁴ عبد العزيز من سنة 796 هـ / 1394م الى سنة 837 هـ / 1433م، وأبي عبد الله المنتصر⁵ إلى وفاته في سنة 838 هـ / 1435م، وانتهاءً بحكم أبي عمرو عثمان⁶ إلى وفاته في سنة 893 هـ / 1488م.

وأهم مميزات هذه المرحلة:

عاشت الدولة خلال هذه السنوات عصرها الذهبي الثاني، وشهدت فصلاً زاهراً من القوة والعنفوان، خصوصاً زمن أبي العباس وابنه أبي فارس، الذي يُعد بحق واسطة بني حفص (وقد مات رحمه الله بعد أن

- 1- كما حصل في زمن المتوكل على الله أبي بكر الذي تولى في سنة 718 هـ / 1318 م.
- 2- في سنة 748 هـ / 1348 م و 758 هـ / 1357 م زمن أبي الحسن ثم ابن أبي عنان. يُنظر: محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، در وتحق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401 هـ / 1981م، ص 225 - 226، و ص 439.
- 3 - هو أحد حكام العصر الذهبي الثاني للدولة. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 177 - 189، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 108 - 112.
- 4- واصل سياسة أبيه وتمكن من توسيع حدود الدولة والرقي بها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 582 وما بعدها، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 189 - 200، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 112 - 115، الزركشي، المصدر السابق، ص 167.
- 5- حفيد أبي فارس، عاجلته المنية لمرض ألم به. ابن الشماع، المصدر السابق، ص 120، الزركشي، المصدر السابق، ص 167-168.
- 6- أخو أبي عبد الله المنتصر. واصل السياسة الناجحة، وبوفاته دخلت الدولة مرحلة النهاية. ابن الشماع، المصدر السابق، ص 121 - 133، الزركشي، المصدر السابق، ص 168، المسعودي، المصدر السابق، ص 81 - 82.

صارت البلاد الافريقية والمغرب الأوسط والأقصى تحت حكمه¹، واستطاعت الدولة التصدي للفتن الداخلية والخارجية، ومن ذلك مثلاً: الحد من سلطان العرب ونفوذهم، والقضاء على تمرد الاعراب، ورد هجومات النصارى.²

كما عرفت الدولة الاستقرار السياسي، وما ترجمته طول فترات الحكم. فاتسعت حدود المملكة، وقدم الحفصيون المساعدات الجلييلة لمسلمي الاندلس، في مواجهة العدو النصراني المتعاضم.³

ثم المرحلة الرابعة والأخيرة، (893هـ - 981 هـ / 1488 م - 1574م)، وتبدأ من حكم أبي زكريا⁴ في سنة 893 هـ / 1488م، الى وفاته في الطاعون سنة 899 هـ / 1494م، ومنه الى السقوط الأخير للدولة في سنة 981 هـ / 1574م⁵. وتولى بعد أبي زكريا ابنه أبو عبد الله⁶، الى وفاته مقتولاً على يد ابنه الحسن⁷، في سنة 932 هـ / 1526م، فيحكم الابن العاق الى غاية سنة 981 هـ / 1573م حيث نجح العثمانيون في إنهاء حكمه وحكم بني حفص بصفة نهائية، بعد حكم قارب الثلاثة قرون ونصف.⁸

وأهم مميزات هذه المرحلة:

1- جميلة سبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ / 1224م وحتى سنة 893هـ / 1488م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية، 1421 هـ / 2000 م، ص 59، ولمزيد التفصيل، يُنظر: عفاف عبد الجبار عبد الحميد، الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز (796 هـ - 837 هـ / 1393 م - 1433 م)، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ، ع 95، ص 103 - 123.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 558 وما بعدها، ابن الشماع، المصدر السابق، ص 108 وما بعدها، المسعودي، المصدر السابق، ص 81 - 83.

3 - ابن الشماع، المصدر السابق، ص 117 - 126، الزركشي، المصدر السابق، ص 117.

4- حفيد أبي عمرو، وبه بدأ عصر النهاية. المسعودي، المصدر السابق، ص 83 - 84.

5- المسعودي، المصدر السابق، ص 81 - 90.

6 - وعند المسعودي أنه ابن أخيه، ووصفه بالفطنة والذكاء. المسعودي، المصدر السابق، ص 84.

7 - آخر حكام بني حفص وبه انقرضت الدولة. المسعودي، المصدر السابق، ص 84 وما بعدها.

8 - يُنظر: أبو عبد الله الشيخ محمد، ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286، ص 165 وما بعدها.

تصدع الدولة وتفككها وحدتها الترابية والسياسية، وانفصال بعض الأجزاء والمقاطعات عنها تواليًا¹، حتى انحسر نفوذ الحفصيين في بعض الأحيان في العاصمة وبعض المناطق. واندلعت الثورات المدمرة التي أنهكت الدولة وهزت أركانها، نظرا لسوء سيرة حكام هذه المرحلة وتقديمهم مصالحهم الخاصة ولو -باغتيال أقاربهم² -، على مصالح وطنهم ووعيتهم، مما أثار الأهالي عليهم³.

كما أنّ السقوط النهائي والأخير للأندلس، بسقوط آخر معاقله - غرناطة - بيد النصارى في سنة 897 هـ / 1453م، جرّ ويلاته على تونس، إذ بادر النصارى لمهاجمة شمال إفريقيا، فبدأت سلسلة من التحرشات النصرانية، وتزامن ذلك مع بروز قوة إقليمية إسلامية جديدة وجدية⁴، التي استنجد آخر الحفصيين بالنصارى عليها في خطوة مخزية تكررت مرارا وتكرارا، وتسببت في جلب المآسي على المسلمين وديارهم. قبل أن تُطوى صفحة الحفصيين نهائيا في سنة 981 هـ / 1574 م.

ب - دولة بني عبد الواد (الزيانية) (633-962 هـ / 1235-1554 م):

يرجع نسب بني عبد الواد إلى قبيلة زناتة⁵، من فروع الطبقة الثانية تحديدا⁶، فهم: (من ولد سحیح بن واسين بن يصلين بن مسري بن زكيا بن ورسیح بن مادغيس الأبت بن بر بن قيس عيلان⁷). ولهم

- 1 - المسعودي، المصدر السابق، ص 84 - 88.
- 2 - شيوخ ظاهرة الاغتيالات في البيت الحاكم، كقتل آخر الأمراء لأربعة وثلاثين من إخوته لم ينج إلا واحد. جميلة، مرجع سابق، ص 62، يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصاله، ط1، الجزائر، ص 207.
- 3 - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 152 وما بعدها، المسعودي، المصدر السابق، ص 84 - 85.
- 4 - أعني الدولة العثمانية، المسعودي، المصدر السابق، ص 85 - 90، وللتعريف بها يُنظر: مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2009، ص 13 - 17، عزيز سامح التري، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1409 هـ - 1989 م، ص 16 - 275.
- 5 - وقع الاختلاف في أصل هذه التسمية، وأحسن ما قيل أنها مشتقة من جانا بن يحي وهو أب هذا الجيل كله، لمزيد من التفصيل، يُنظر: عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مر، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000 م، ج 7، ص 3 - 11، محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 15 - 24.
- 6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 78 - 97.
- 7 - أبو زكرياء يحي بن خلدون، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400 - 1980، ج 1، ص 186.

بطون شتى متعددة¹ على غرار: بنو القاسم ومنهم حكام الدولة²، بنو ياتكتن، بنو وللو، مصووجة، بنو تومرت، بنو ورسطيف³، وأصل التسمية عائد إلى جدهم (عابد الوادي) الذي كان يتبتل بواد⁴. ويُسمون أيضاً ببني زيان نسبة إلى والد يغمراسن⁵ المؤسس الفعلي لدولتهم، والتي سيتغير اسمها من دولة بني عبد الواد، إلى الدولة الزيانية في سنة 760 هـ / 1359 م، وسينسب بنو عبد الواد أنفسهم إلى السليمانيين⁶ الأشراف، من خلال القاسم بن محمد، الذي وُلِّيَ تلمسان زمن الأدارسة⁷، وأنه نزل على قبيلتهم - أي بنو عبد الواد - فتزوج منها وخلف نسلًا منه حكام الدولة⁸، غير أن ابن خلدون - صاحب المقدمة -، ينفي هذا النسب مُستدلاً بقول يغمراسن الذي علّق على النسبة إلى آل البيت: (إذا كان هذا صحيحاً فينفعنا

1- لمزيد من التفصيل، يُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 78 - 80.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 186.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 97.

4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 186.

5- أختلف في كيفية ضبط اسمه، و معناه: كثير المرق أي كثير الجود، وهو المؤسس الفعلي للدولة، ولد في سنة 603 هـ / 1206 م، وتولى الحكم في سنة 633 هـ / 1236 م، للمزيد، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 105 - 108، محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح، محمود آغا بوعياذ، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 115، الهامش، 16، الآغا بن عوده المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح، يحيى بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، 2009، ج 1، ص 156.

6- وهم إحوة الأدارسة وينتسبون إلى سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. يُنظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة، ص 48، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 34، عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1414 هـ - 1994 م، مج 3، ج 5، ص ص 107 - 110.

7- وهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي فرّ من المشرق بعد بطش العباسيين بهم، وأسس دولة في بلاد المغرب ودخل تلمسان في سنة 173 هـ، ابن حزم، المصدر السابق، ص 49، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 23 - 24، الأنيس المطرب، ص ص 183 - 208، مجهول، مفاخر البربر، تح، عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 1، 2005، مقدمة التحقيق، ص 83 - 84، و ص 194 - 195، التنسي، مصدر، سابق، ص 109، ولمزيد التفصيل يُراجع: سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172 - 223 هـ / 788 - 835 م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1987 م، ص ص 59 - 106.

8- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 190-191، التنسي، المصدر السابق، ص 109.

عند الله وأما الدنيا فذللتناها بسيوفنا¹، لكن المفارقة العجيبة أن يحيى ابن خلدون² يثبت النسب النبوي لبني عبد الواد، وهو وإن كان ناقلاً كما يقول، لكنه ممن يوصل نسب القوم إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومعلوم أن هذا منتهى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن سلسلة النسب الشريف تبتدئ من: (محمد -صلى الله عليه وسلم- بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان).³

والصواب في قضية النسب بني عبد الواد أنه لا يثبت، لأن الغالب على كُتَّاب الدولة تملقهم لأولياء نعمتهم، لتحصل لهم الخطوة عندهم، لذلك لا نعجب من منهج التنسي في كتابه، الذي أُلِّفَ وضمَّنه أجلَّ الصفات وأعلاها لبني عبد الواد، وسكت عن كل هزيمة ومنقصة، وانتصر فيه بالمقابل لإثبات النسب النبوي، والاسم يدل على المضمون - كما يُقال - : (نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان)، وتدرج في استدلاله بالقارئ من درة إلى أخرى، فبدأ بالكلام عن العرب المضرية، ثم قريش، فبنو عبد مناف، ثم بنو هاشم، ومنهم أبو طالب وابنه علي، والحسن والحسين ولدا علي، ثم عبد الله الكامل، وجعل ملوك بني عبد الواد من الأدارسة، وبعد الحديث عنهم، ينطلق للتعريف بملوك بني عبد الواد، مما يوحي أن هذا التسلسل منطقي في نظره.

وعمل التنسي على إثبات النسب النبوي لولي نعمته، رغم الاضطراب والارتباك عند الحديث عن اختلاف النسابين في نهاية نسب بني عبد الواد بين عبد الله الكامل أو أخيه سليمان⁴. ومما لا شك أن

1- ابن خلدون، المقدمة، ص 132، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 97، التنسي، المصدر السابق، ص 110 - 111، و ص 115، و ص 125.

2- أخ عبد الرحمان المؤرخ والوزير والكاتب، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ثنايا البحث.
1 - محمد بن عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 3، 1410 هـ - 1990 م بيروت، ج 1، ص 11 - 15، صفى الرحمن المباركفوري، الرجيق المختوم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م، ص 31.

4- التنسي، المصدر السابق، م ت، ص 63 - 64، المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص 156.

الاتجاه الرسمي للدولة كان يقضي - في خضم الظروف المحيطة إقليمياً بها - بوجود إسناد النسب للحضرة النبوية، لأسباب سياسية محضة، ولم يكن لأحد من كُتّاب الدولة - بطبيعة الحال - أن يخالف ذلك.¹

لقد سجل التاريخ مساهمة بني عبد الواد الكبيرة في نصرته الفاتح عقبة بن نافع² في حملته على أرض المغرب سنة 62 هـ / 681-682 م، فأمدوه بألف من الفرسان في مواجهة أعدائه³ من البربر⁴، وجابوا صحراء المغرب الأوسط بحثاً عن المرعى والماء والكأ، وكانوا بين الفينة والأخرى ينتقلون إلى تل تلمسان للتزود والميرة.

لكن ذلك الوضع تغير في القرن 7 هـ / 13 م، إذ صار بنو عبد الواد إلى التل أجح منهم إلى الصحراء⁵، ويعود سبب ذلك لما لمسوه من الأمن والهدوء بعيداً عن الثورات والقتال التي أحدثتها الغزوة الهلالي⁶ المدمر مثلاً.¹

1- رغم ما كتبه ابن الخطيب من إثبات للنسب النبوي، لكن لا يعدو الأمر أن يدخل ضمن المجاملة، أو التملق أو الدبلوماسية بين دول الجوار، خاصة مع تولي ابن الخطيب لمناصب سامية في دولة بني الأحمر، التي أقامت علاقات وطيدة مع جارتها الزيانية. التنسي، المصدر السابق، م ت، ص ص 64 - 69، الجليلي، مرجع سابق، ج 2، 205.

2- بن عبد قيس من بني فهر أحد بطون قريش، قيل أنه ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعام واحد، وقيل غيره، كانت له جهود جبارة في فتح بلاد المغرب ونشر الإسلام والعربية والجهاد إلى استشهاده رضي الله عنه في 62 هـ / 682 م، وقيل 64 هـ / 684 م، محمد محمود القاضي، عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1419 هـ - 1999 م، ص ص 7 - 48، ثملة شهاب أحمد، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دراسة تحليلية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 1433 هـ - 2003 م، ص ص 68 - 123.

3 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص ص 19 - 30، مجهول، مفاخر البربر، ص 194، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 80 - 81.

4- مجهول، مفاخر البربر، ص 195 - 196، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 116 - 139، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 178 - 181، شنعة خديجة، اعتناق البربر للإسلام، إشراف: رابح لونيبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص الدين والمجتمع، (مرقونة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1432 - 1433 هـ / 2011 - 2012 م، ص ص 9 - 17.

5- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 198.

6 - هم من بطون عامر بن صعصعة، من صعيد مصر، قامت هذه القبائل بغزو مدمر لبلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 17 - 30، ويُنتظر: أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997، ج 2، ص ص 73 - 86، عمارة سماعيل، الآثار السياسية للهجرة الهلالية في المغربين الأدنى والأوسط من سنة 443 هـ / 543 هـ إلى سنة 1052 م - 1152 م، مذكرة ماجستير، (مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية،

لقد تهيأت الفرصة لبني عبد الواد أن يؤسسوا دولة بسيادة كاملة على أرض المغرب الأوسط، واستمرت تحكم لفترة تربو عن ثلاثة قرون (633 - 962 هـ / 1235 - 1554 م)، ويعود هذا التوفيق إلى عاملين رئيسيين، شابها إلى حد كبير ما حصل مع سابقهم على مسرح الأحداث من بني حفص.

فأما العامل الأول فيتمثل في حنكة بني عبد الواد - لا سيما مشيختهم وزعامتهم- وهم الذين انضموا إلى الموحدين، وانظموا في سلكهم بإخلاص واندفاع²، وصل حد مساندتهم لعبد المؤمن بن علي لما استنجد بهم في ظرف عصيب لرد أموال وغنائم سلبها بنو مرين يومئذ، في نحو خمسمائة من الفرسان في سنة 540 هـ / 1145 م ، واستطاع بنو عبد الواد كسرهم وقتل جندهم والرجوع بالمسلوب³. وأمام تلكم الخدمات الجليلة كافأ الموحدون بني عبد الواد، بإقطاعهم ضواحي المغرب الأوسط وهي عامة بلاد (بني يلومي وبني واملو)⁴، فترك بنو عبد الواد الصحراء وشظف العيش بها واستقروا بالتل أرض الخصب والمرعى فقويت عصبتهم واشتد ساعدتهم، ومن حينها بدأ التطلع إلى السيطرة على تلمسان والقيادة والزعامة يُجامل المشاعر ويجول بالخواطر.⁵

وكانت الحرب بين بني عبد الواد وبين بني مرين سجالاً، لا تهدأ حتى تنطلق شرارتها مرة بعد مرة، وستظل كذلك حتى بعد تأسيس الدولة، لدرجة عدم استقرار حدود دولة بني عبد الواد طوال فترة وجودها لضراوة النزاع مع جيران الشرق والغرب، وظلت الحدود بين مد وجزر، وكثيراً ما تقلصت لتتلخص في مدينة

2010 - 2011، راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1425 هـ - 2005 م، ص ص 29-54، و ص ص 151 - 180، و ص ص 97 - 214.

1- قدور منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر المحجرية 633 هـ - 1236 م / 962 هـ - 1554 م، مذكرة ماجستير، (مرقونة)، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعية، 1432 هـ - 1433 هـ / 2011 م - 2012 م، ص ص 14 - 15.

2- يحيى ابن خلدون، ج 1، ص 198، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 98.

3 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 189 - 190، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 98.

4- هم من أهل الطبقة الاولى لقبيلة زناتة، يُنظر لمزيد التفصيل، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 74 - 78.

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100، George Marçais, " Tlemcen Ville D'Art Et

تلمسان فقط.¹ وتُعد سنة 623 هـ / 1225م مفصلية ومهمة في تأسيس الدولة العبد وادية، إذ حدثت فتنة وتقاتل داخلي.²

وأما العامل الثاني غير الخفي، فهو ما أصاب الدولة الموحدية من ضعف ووهن وتفكك البنيان³، وفشا فيها الخلاف منذ عهد الناصر وبخاصة بعد الهزيمة في العقاب، تلك الهزيمة التي جعلت حدود الدولة الموحدية تتقلص بسرعة مخيفة، وهي التي كانت تمتد من طرابلس شرقاً إلى بلاد الاندلس غرباً⁴. ومع تصدع البنيان وتمزق الوحدة وظهور بني حفص الذين أعلنوا الانفصال والاستقلال، بادر بنو عبد الواد من جانبهم إلى الاستقلال أيضاً بالمغرب الأوسط بقيادة جابر بن يوسف بن محمد؛ حيث ظهر الخلاف فعلياً بين بني عبد الواد والموحدين في سنة 627 هـ / 1229 م، في زمن المأمون الموحد، ذلك أن الحسن بن حيون المعابدي من مشيخة الكومي، عامل وطن تلمسان، أغرى واليها أبا سعيد عثمان⁵ على الفتك ببني عبد الواد، وخوفه منهم ومن ازدياد نفوذهم في فترة ضعف الموحد، وانكشافهم أمام كل عدو، لاسيما بعد هزيمة العقاب أين صار شيوخ القبائل يتدخلون بشكل كبير في توجيه سياسة الدولة، بل وحتى تعيين الخلفاء⁶. فبادر الوالي الموحد - وكان مغفلاً ضعيف التدبير⁷ - واعتقل مشيخة بني عبد الواد في دار النارج من القصر القديم، وعبثاً حاول إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي أمير حامية تلمسان، التشفع لديه لإطلاقهم، ولكنه رفض وردّ شفاعته، ما أثار حفيظة الأمير الذي أنف من ذلك، فقام رفقة قومه إلى تحرير المعتقلين، وقتل الواشي الحسن، واعتقل الوالي الموحد، ثم عاد إبراهيم وخطر له أن يقوم ببعث الدولة المرابطية من جديد، فنادى بدعوة بني غانية المشتعلة يومئذ⁸، وفكر في التخلص من محزبيه بدس السم لهم في وليمة دعاهم إليها، غير أن الخبر بلغ مشيخة بني عبد الواد قبيل دخول البلد، فتوقفوا

1- منصورية، مرجع سابق، ص 13، الغنيمي، مرجع سابق، مج 3، ج 5، ص 109، 113.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 98 - 99، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 198 - 199.

3- التنسي، المصدر السابق، ص 110 - 111.

4- الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 - 962 هـ / 1236 - 1554 م)، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1425 - 1426 هـ / 2004 - 2005 م، ص 28 - 29.

5- أخو الخليفة المأمون حينها.

6- عمارة، مرجع سابق، ص 24 - 27، و ص 34 - 35.

7- ابن خلدون، المصدر السابق ج 7، ص 99.

8- المصدر السابق نفسه، ج 7، ص 99، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 199.

يأترون، (وإذا هو قد بلغه قدومهم، فخرج إليهم مسرعا ليدخلهم البلد، فما دبروا أحسن من القبض عليه، فأخذوه مع ثمانية من أصحابه، وشدوهم وثاقاً).¹

ودخل شيخ بني عبد الواد جابراً المدينة مبيعاً المأمون الموحد، (فحل دار إمرتها، وضبط أمورها واستقل بحكمها، إلا ما كان من ذكر المأمون على المنبر وفي الدرهم والدينار وما أشبه ذلك من المظاهرات، فكان هذا مبتدأ الدولة العبد وادية، ومطلع شمسها، وفاتحة فرقانها. والأرض لله يورثها من يشاء من عباده. والعاقبة للمتقين)². وأطاعته قبائل بني عبد الواد كلها، وبايعته مدن وحوضر المغرب الأوسط كلها، خلا مدينة ندرومة³ التي حاصرها سنة 629 هـ / 1232 م، وشدّد الخناق عليها، ولكن سهماً انطلق من على أسوارها قضى عليه⁴. فخلفه بعده ابنه الحسن خلال فترة قصيرة - ستة أشهر -، ثم تركها لعمه عثمان بن يوسف في سنة 630 هـ / 1233 م، ولكنه كان سيء السيرة فظاً غليظاً مع الرعية، فأخرجوه عن تلمسان وعزل في سنة 631 هـ / 1234 م.⁵ وتولى مكانه ابن عمه زيدان بن زيان⁶ - أو زكران أو زجدان⁷ -، (الذي كان شجاعاً صاحب رأي وحزم)⁸، لم يبايعه من بني عبد الواد إلا بنو مطهر⁹ حسداً وبغياً، واستعانوا ببني راشد¹⁰ فحاربوه، وقتل خارج تلمسان سنة 633 هـ / 1236 م.¹¹

وبمصرع زيدان انقطع نفوذ الموحديين في بلاد المغرب الأوسط، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ هذا القطر بتولي أخيه يغمراسن بن زيان وإعلانه قيام الدولة العبد وادية بصفة رسمية، (فوقع التسليم والرضى به

1- المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 199.

2- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 199، ابن خلدون، المصدر السابق ج 7، ص 99 - 100.

3- مدينة في طرف جبل تاجرا بأرض المغرب، وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الاسعار... الحميري، المصدر السابق، ص 576.

4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200، والقاتل هو يوسف المغافري، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100.

5- في شهر رجب، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

6- ابن ثابت بن محمد، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100، والهامش 2، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

8- الجليلي، مرجع سابق، ج 2، ص 206.

9- ينتمون الى قبيلة زناتة، وهم أبناء عمومة بني عبد الواد، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 84.

10 - من قبائل زناتة أيضا مواطنهم بالصحراء ثم استوطنوا الجبال شرق تلمسان، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 83.

11- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

وسائر القبائل، ودان له بالطاعة جميع الأمصار، وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله وكان له ذلك سلماً إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأيام. والملك لله يؤتية من يشاء¹.

وبويع يغمراسن في يوم الأحد 24 من ذي القعدة سنة 633 هـ / 31 جويلية 1236 م، وقيل: 17 جمادى الآخرة من سنة 637 هـ / 1239 - 1240 م.²

ومرت الدولة الزيانية تاريخياً، بأربعة مراحل منذ قيامها إلى سقوطها. فالمرحلة الأولى بين (633 هـ - 737 هـ / 1236 م - 1336 م)، وتبدأ من تولي يغمراسن الحكم في سنة 633 هـ / 1236 م، إلى استيلاء بني مرين على الدولة واحتلال عاصمتها تلمسان واخضاعها لنفوذهم في سنة 737 هـ / 1336 م.

وتعاقب على الحكم خلال هذه المرحلة خمسة سلاطين، أولهم المؤسس يغمراسن واستمر حكمه 48 عاماً من 633 إلى سنة 681 هـ / 1283 م، ثم ابنه عثمان³ من سنة 681 هـ إلى 703 / 1304 م، الذي فشل في المحافظة على إرث الوالد فضلاً عن التوسع، والحذر من بني مرين كما أوصاه والده بذلك⁴، ثم تولى السلطان أبو زيان محمد ابن عثمان⁵ إلى سنة 707 هـ / 1307 م، ليخلفه على العرش أخوه أبو حمو موسى الأول⁶ إلى غاية سنة 718 هـ / 1319 م، ثم خلفه ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن الأول⁷ إلى سنة

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 106، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 200، الجليلي، مرجع سابق، ج 2، ص 213.

3- ثاني ملوك الدولة، بويع في 681 هـ / 1283 م وتوفي في 703 هـ / 1304 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 122 - 130، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 208 - 210.

4 G. Marçais, Article Précédent, p38.

5 - ثالث ملوك الدولة، كان مولده في سنة 659 هـ / 1261 م، عايش الحصار المريني على العاصمة بتبعاته الخطيرة...، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 130، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 210 - 212.

6 - رابع ملوك الدولة، كان مولده في سنة 665 هـ / 1266 وتوفي في 718 هـ / 1317 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 131 - 142، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 212 - 215.

7 - خامس ملوك بني عبد الواد، ولد في سنة 692 هـ / 1292 م وقتله المرينيون في 737 هـ / 1337 م، اغتال أباه لتولي الحكم، وكان صاحب لهو ولذات، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 215 - 219، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 140 - 148.

737 هـ / 1336م، وهو الذي دبّر اغتياله، في حادثة مخزية ستتكرر ويكون لها انعكاساتها السلبية على مسار الدولة ومصيرها، ويُحتم سلاطين الدور الأول بأبي تاشفين العاق هذا.¹

وأهم مميزات المرحلة:

معرفة الدولة خلال هذه الفترة الطويلة بعد نشأتها، حدوداً وتنظيماً لشؤونها، واكتشافاً لجيرانها وأعدائها.

إذ عمل يغمراسن من الوهلة الأولى على مدّ رقعة دولته، هذا الإرث الذي فشل ابنه في المحافظة عليه، فضلاً عن مدّه كما أوصاه بذلك.² كما ارتقى يغمراسن بالدولة من البدواة، وأظهر شارة الملك والسلطان، واتخذ الوزراء والحجاب وانتقى القواد والكتّاب³، تاركاً لمن يخلفه عبء المحافظة على الدولة، اتجاه الأخطار التي توالى من خلال ما شنّه الجيران من هجومات وحملات عنيفة، لعل أشهرها: الاحتلال الحفصي لتلمسان، وإخضاعها لسيادتهم بدل الموحدين⁴، والمواجهات الضارية مع بني مرين التي انتهت بالحصار الطويل المرير، على العاصمة الزيانية تلمسان (698 - 706 هـ / 1298 - 1307م).⁵

وبسبب هذا الحصار المشدد تقلصت رقعة الدولة إلى مدينة تلمسان فقط، وهلك الحرث والنسل، وتسببت في مجاعة وفقر حتى أكل الناس القلط والجيف والكلاب والبغال والفران - وقيل - أشلاء الموتى، وغلت الأسعار بشكل رهيب، وبلغ الأمر حداً فكر فيه بنو عبد الواد قتل نساءهم خوفاً من تحولهم

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 105 - 154، الجيلاي، مرجع سابق، ج 2، ص ص 205 - 229.

2 - G. Marçais, Article Précédent, p38

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 106، التنسي، المصدر السابق، ص 115.

4- ما سبّب مهاجمة السعيد ليغمراسن، وانتهى الأمر بمصرع الموحد في يوم الثلاثاء 10 صفر سنة 646 هـ / 4 جوان 1248 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 106 - 107، الغنيمي، مرجع سابق، ج 5، ص ص 115 - 117، وص 122 - 123.

5- خالد بلعربي، الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه ونتائجه، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 14، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، وهران، شعبان 1431هـ/2010 م، ص ص 185 - 187، يُنظر: محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية وأثرية)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، تخصص، آثار إسلامية، (مرقونة)، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2006 / 2005، ص ص 66 - 89.

إلى سبايا بيد العدو، وبلغ من مات من أهل تلمسان مئة وعشرين ألفاً¹، فكادت الدولة الزيانية في هذه الفترة أن تُمحي من الخريطة السياسية للمغرب لولا - أمر الله - ثم حصانة مدينة تلمسان من جهة، والظروف التي مر بها الحكم المريني حيث اضطر المرينيون إلى فك هذا الحصار سنة 706 هـ / 1307 م والعودة إلى المغرب الأقصى².

كما عرفت المرحلة فترات صحو وقوة، جعلت حكام بني عبد الواد يعملون بجد على بناء الدولة من جديد، وتمكنوا من استعادة المناطق التي فقدوها، جراء محاصرة المرينيين الطويلة³، وبلغ من قوة بني عبد الواد يومئذ أن وصلت قواتهم إلى عاصمة بني حفص، بعد أن توغلت في أراضيها شرقاً⁴. وأمام ذلكم التوسع الكبير تحالف بنو حفص و بنو مرين على إسقاط الدولة، وهو ما تم لهم من خلال حصار أبي الحسن المريني⁵، وسيطرته على تلمسان خلال سنوات 735 - 737 هـ/1336 - 1337 م.

والمرحلة الثانية، (749 هـ-753 هـ/1348 م-1352 م)، وتبدأ من إعادة بعث الدولة على يد الأميرين الشقيقين أبي سعيد وأبي ثابت⁶، إلى الاحتلال المريني مجدداً سنة 753 هـ / 1352 م.

وأهم مميزات المرحلة:

قصر هذه المدة لأربع سنوات فقط 749 - 753 هـ بحيث توسطت فترتين من اندثار الدولة على يد بني مرين.⁷

وفي هذه الفترة استقلت الدولة فيها عن أي احتلال أو نفوذ، إذ كان السلطان العبد وادي أبو سعيد عثمان لا يخضع لأحد، بل دعا لنفسه (وانتزى على كرسيه واتخذ الآلة...)¹

1- يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 211، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 125 - 130، ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تج، هاني سلامة، مكتبة الدراسات التاريخية، ط1، 1421 هـ-2001 م، م ت، ص 28.

2 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 211، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 307 - 308.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 130 - 134.

4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 213 - 214.

5- سيأتي طرف من أخباره في موضعه إن شاء الله تعالى في موضعه.

6 - هما ابنا يحيى بن يغمراسن، توليا الحكم دفعة واحدة في سنة 749 هـ، وأسقط حكمهم بنو مرين في 753 هـ / 1352 م، يحيى، المصدر السابق، ج 1، ص ص 234 - 247، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 154 - 162.

7- الفترة الأولى لتسع سنين، والفترة الثانية لسبع.

يُضاف إلى ذلك أن هذا الفرع الذي حكم لا ينتهي نسبه إلى السلطان عثمان بن يغمراسن، بل إلى أخيه الأكبر أبي يعقوب يحيى بن يغمراسن، وبذلك ينتهي الفرعان إلى الأصل وهو المؤسس يغمراسن.²

تولى شقيقان من البيت العبد وادي الحكم دفعة واحدة، وهي سابقة في تاريخ الدولة، وانتهت المرحلة بمقتلهما على يد المرينيين واحتلالهم تلمسان سنة 753هـ / 1352م.³

ثم المرحلة الثالثة، (760هـ - 791هـ/1358م-1389م)، وتبدأ من تولي أبي حمو موسى الثاني⁴ الحكم إلى مقتله على يد ابنه أبي تاشفين⁵ العاق المتحالف مع بني مرين أعداء الدولة.⁶

وأهم مميزات المرحلة:

- بلوغ الدولة في هذه الفترة ذروة القوة والمجد والعلواء، والتنظيم والأدب والفكر والتعليم، إضافة للاستقلال السياسي للدولة عن أي نفوذ لفترة تربو عن الثلاثين عاماً، وصلت حد استغاثة أهل الأندلس به⁷، وقد بذل أبو حمو الثاني هذا جهوداً مضمينة ليجعل من دولته منارة للعلم، ومقصداً لأهل الفكر والفن،

- 1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 153 - 154.
- 2- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 34.
- 3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 161 - 162، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 235 - 247.
- 4- أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن، ولد بغرناطة في سنة 723 هـ / 1322 م، وإليه يعود الفضل في بعث الدولة بعد اندثارها في سنة 760 هـ / 1358 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 162 - 194، التنسي، المصدر السابق، ص 157 - 180.
- 5 - عبد الرحمن الثاني، مولده في سنة 752 هـ / 1351 م ووفاته في 795 هـ / 1392 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 186 - 196، التنسي، المصدر السابق، ص 184 - 203.
- 6- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزيري، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1982، ص 69 - 154، ويُنظر أيضاً، غربي محمد، أصول الفلسفة السياسية والأخلاقية في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي حمو موسى الزيري الثاني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التنظيم السياسي والإداري، (مرقونة)، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1423 هـ / 2002 م، ص 52 - 156.
- 7- يُنظر المراسلات التي وردت من بني الأحمر، وتكللت بإرسال أبي حمو الخليل والرجال والأموال والمؤمن. عطاء الله دهينة، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع 13، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، جانفي 1976م، ص 7 - 17، بوحسون عبد القادر الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وثقافية، (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، (مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة

لاسيما وقد كان شاعراً أديباً¹، ألف كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك (وتضمن القواعد التي ينبغي على الملوك مراعاتها في سياساتهم والخلال التي يحسن لهم التحلي بها)².

ولكن طموح أبي حمو للسمو بدولته - التي سماها بالزيرية - لم يُكتب له التوفيق، وتعرضت دولته مرات وكرات لهزات عنيفة بسبب الحروب مع الجيران، إلى جانب الاضطرابات الداخلية التي فُرضت عليه من أهل بيته وانتهت بمقتله على يد ابنه العاق بمساندة من المرينيين.³

ثم المرحلة الرابعة، (791 هـ - 962 هـ / 1389م - 1554م)، وتبدأ من مصرع أبي حمو الثاني على يد ولده العاق في سنة 791 هـ / 1389م، إلى السقوط النهائي للدولة الزيرية بصفة رسمية في سنة 962 هـ / 1554م.

وأهم مميزات المرحلة:

شكلت بداية نهاية الدولة الزيرية واندثارها بصفة نهائية، فمنذ تولي أبي تاشفين العاق الحكم تحت الوصاية المرينية⁴، (أصبحت سيادة الدولة بعد ذلك ناقصة، وتابعة للدولة المرينية حيناً، والدولة الحفصية حيناً آخر إلى سقوط الدولة النهائية)⁵، وتورط أفراد البيت الحاكم في الاقتتال الدامي الذي يبعث على

التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1433 هـ - 1434 هـ / 2012 م - 2013 م، ص ص 48 - 51.

1- يُنظر بلعدي سهيلة، شعر أبي حمو موسى الثاني الزيري (دراسة موضوعية وفنية)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، السنة الجامعية، 1428 هـ - 1429 هـ / 2007 م - 2008 م، ص ص 48 - 183.

2 - حاجيات، مرجع سابق، ص 189 - 190.

3 - يُنظر تفصيل ذلك كله: مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح، بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج 2، ص ص 12 - 388، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 162 - 194، التنسي، المصدر السابق، ص ص 157 - 180.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 195 - 196.

5- الدراجي، مرجع سابق، ص 35، عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم، الجزائر، 2007، ج 1، ص ص 66 - 74.

الاشتمزاز لاختيار الوازع الديني والأخلاق والقيم النابعة من الفطرة السليمة، فلم يعد بغريب ولا خافٍ أخبار المؤامرات والاعتقالات والثورات، وصلت إلى حد التولي لأيام أو شهور على أقصى حد.¹

وأضحت الدولة على شفا الاختيار خاصة مع بروز قوى جديدة على الساحة²، يتقد كل منها ناراً وشوقاً للسيطرة ومد النفوذ كالإسبان³ مثلاً، ورغم جهود بعض حكام الدولة الزيانية لإعادتها إلى سابق مجدها وقوتها⁴، إلا أن الفساد وخطر الداخل وأطماع الخارج كان قد بلغ مرحلة يصعب بل يستحيل علاجها.⁵

ج - دولة بني مرين (610 هـ - 869 هـ / 1213 - 1465 م):

يعود نسب بني مرين إلى الطبقة الثانية من قبيلة زناتة مشتركين في ذلك مع بني عبد الواد، فهم بنو: (ورتاجن بن ماحوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يخفت ابن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن

1 - حكم أبو زيان الثالث عدة أسابيع، وتولى أبو ثابت يوسف اربعين يوماً 795 هـ / 1393م ثم خلع، ثم تولى ابو الحجاج يوسف - المعروف بابن الزاوية - من سنة 795 هـ / 1393م الى سنة 796 هـ / 1394م ثم خلع وقتل... التنسي، المصدر السابق، ص 206 وما بعدها، الغنيمي، مرجع سابق، ج 5، ص 187، محمود بوعبيد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (9 هـ / 15 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ص ص 13 - 31.

2 - أحمد توفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530 - 1554 م، مجلة الأصالة، ع 26، ص ص 37 - 45.

3- يُراجع عن ذلك، عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، ط 1، نوفمبر 2002، ص ص 47 - 151، الغنيمي، مرجع سابق، ج 5، ص ص 186 - 191، عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، 2002، ص ص 88 - 89، F, Braudel, " Les Espagnols Et L'Afrique Du Nord De 1492 A 1577 ", Revue Africain, Alger, odfu, Volume 69, 1928, pp 211 - 351.

4 - كفترة السلطان أبي مالك التي شهدت استقلالاً مطلقاً، واستطاع في سنة 814 م / 1411م من انتزاع المناطق الشرقية من يد الحفصيين، واحتلال فاس عاصمة بني مرين، ونصب عليها حاكماً من قبله. التنسي، المصدر السابق، ص ص 236 - 241.

5- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج 1، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، 2007، ص ص 45 - 220، فيلالي، مرجع سابق، ج 1، ص ص 74 - 80، الغنيمي، مرجع سابق، ج 5، ص ص 187 - 193، يُراجع أيضاً: مولاي بلحميسي، نهاية دولة بني زيان، مجلة الأصالة، ع 26، ص ص 30 - 36.

سجيك بن واسين)¹. وقد وصفهم ابن خلدون بأنهم أكثر بطون هذه الطبقة عددا (وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة)². ويعتبر بنو مرين أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفهم نسبا³، إذ يُرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية⁴، وأنهم من ولد (بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان).⁵

وهنا تُطالعا مرة أخرى قضية ادعاء أو اصطناع النسب الشريف، من خلال محاولة بعض المؤرخين - لا سيما ممن خدم الدولة وسار في ركبها - أن يضفي على النسب المريني هالة من التكريم، فيرفعه إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁶، بل وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁷.

غير أن الغريب هو عدم ادعاء المرينيين النسب لأنفسهم ابتداء. بل كان موقف حكامهم وسلاطينهم يُفهم منه التشكك والريبة⁸، كما حصل في قصة أبي يعقوب المريني مثلا وهو محاصر لتلمسان، وقد جيء إليه بشجرة نسب تصل نسب المرينيين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه.

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 221، وهم إخوة مع بني عبد الواد في رزجيك بن واسين، المصدر السابق نفسه، ج 7، ص 97، علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، 1972، ص 15 - 16، ابن زرع، الأنيس المطرب، ص 278 - 279.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 79، ويُنظر الوصف المستفيض من ابن أبي زرع فيهم، الذخيرة، ص 13 - 14، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 278، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 110.

3 - ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 13 - 15، أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1362 هـ - 1962 م، ص 8، ابن مرزوق، المسند، ص 107 - 108.

4- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 279 - 281، ابن الاحمر، روضة، ص 8.

5 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 278 - 279، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 14 - 15.

6- هو رابع الخلفاء المهديين المرضيين وزوج فاطمة وابو الحسينين رضي الله عنهم جميعا واستشهد في سنة 40 هـ / 660م، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح، علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، ط 1، 1416 هـ - 1992م، مج 1، ص 1089 - 1133، برقم، 1855، ابن الأحمر، روضة، ص 8، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 109 - 110.

7- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 278 - 279، ابن الاحمر، روضة، ص 14 عند ذكر امارة عبد الحق بن الأمير محبو مثلا.

8- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 هـ / 1213 م) - (869 هـ - 1465 م)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 2، 1408 هـ - 1987 م، ص 4.

فلما أتم أبو يعقوب الاطلاع على الشجرة تلك قال لمن جاء بما: (أما هذا فقد شكرنا تهممك به وحمدنا لك مسعاك، وهذا شيء إن كان على ما قلته، فنرجو النفع به عند الله في العقبي، وإن كان غير ذلك، فلا خير لنا في الشك بما فيه مطعن علينا)¹. وحدث مرة أيضاً أن الفقيه المقرئ - الجد² - كان يحضر مجلس أبي عنان المريني، فإذا دخل نقيب الأشراف يومئذ قام له الجميع بما فيهم أبو عنان إلا المقرئ، ولما أنكر عليه النقيب يوماً - بمحضر السلطان المريني - قائلاً: (أيها الفقيه، مالك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله وأهل مجلسه إكراماً لجدي ولشرفي؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي؟ فنظر إليه المقرئ وقال: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته، ولا يرتاب فيه أحد، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمئة سنة، ولو علمنا شرفك قطعاً لأقمنا هذا من هنا، وأشار إلى السلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه، فسكت)³.

ولقد ناقش ابن خلدون مطولاً نسب زناة، فأتى بأراء المؤرخين المتعددة، ثم اكتفى برد أصل زناة والبربر الى الشام وفلسطين⁴. ثم بين كيف زَيَّن زناة نسابها الانتساب الى العرب من خلال مُضِر لتعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رادا ذلك⁵. بل إنه عقد فصلاً في كتابه يتحدث عن شيوع ادعاء النسب العربي في عهده بين القبائل بالشرح والمثال⁶.

1- ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 109 - 110. وهناك قصة أخرى عن المقرئ الجد أيضاً بحضور أبي عنان، يُراجع، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، مج 5، ص 282.

2- هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن علي القرشي المقرئ، وكنيته أبو عبد الله، قاضي الجماعة بفاس. مولده بتلمسان أيام أبي حمو موسى الزياني، ووفاته في فاس سنة 759 هـ، لمزيد التفصيل يُنظر للمزيد: لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مج 2، ص ص 191 - 226، المقرئ، المصدر السابق، مج 5، ص ص 203 - 241.

3- المقرئ، المصدر السابق، مج 5، ص 280 - 281، ويُنظر قصة أخرى تنفي النسب النبوي عن بني مرين، المصدر السابق نفسه، مج 5، ص 282.

4 - ابن خلدون المصدر السابق، ج 7، ص ص 1 - 9.

5- المصدر السابق نفسه، ج 7، ص 6.

6- ابن عميرة، مرجع سابق، ص 16، ويُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 6-7، المؤلف نفسه، المقدمة، ص 131 - 132.

وقبائل بني مرين كثيرة العدد منها: بنو عبد الحق، وبنو عسكر وبنو وطاس، وبنو الكاس، وبنو يابان، وبنو فودود، وبنو يرنيان¹. ولم يكن لبني مرين اقليم محدد للإقامة، بل كانوا كحال البدو الرحل (ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجنحون إليه..)². وتبعاً لذلك لم تتفق كلمة المؤرخين في تحديد أماكن إقامة قبائل بني مرين³. غير أن صاحب الحلل الموشية يورد معلومات عن منطلق و طريقة انتشارهم فيرى أن: (أصل بني مرين من حوز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قسّم الزمان وكان وطنهم (بنو مرين) ما بينها (تلمسان) وبين تاهرت من شرقيها).⁴

ومعنى هذا أن تلمسان مثلت المركز الرئيسي، الذي انتشرت منه قبائل بني مرين شرقاً و غرباً، (وأن المرحلة الاولى من انتشار القبائل المرينية كانت الى الشرق من تلمسان وفي اتجاه مدينة تاهرت، ثم تقدمت منها بعد ذلك نحو بلاد الزاب، وبلاد الجريد. وقد نزحت قبائل بني مرين بعد ذلك نحو الغرب، من هذه المواطن الى بلاد المغرب الاقصى...)⁵.

وأبرز الأسباب التي أدّت إلى تأسيس الدولة المرينية، العامل الاقتصادي، بسبب ما عاناه شعب بني مرين من المجاعات والجذب في الأراضي الصحراوية التي أقاموا بها، منذ أواسط القرن السادس الهجري، خاصة مع كثافة عددهم، وقلة مواردهم التي عجزوا معها عن أداء الأتاوات والضرائب الباهضة، التي فرضها الموحدون على عموم رعيتهم⁶، وكذا السبب السياسي، من خلال الهزيمة المنكرة في العقاب للموحدين، إذ

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 221 - 223، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 14 - 23، المؤلف نفسه، الأنيس المطرب، ص 279 - 280، ابن الاحمر، روضة، ص 11 - 12.
2- ابن خلدون، المقدمة، ص 142، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 25، المؤلف نفسه، الأنيس المطرب، ص 281 - 282.

3- ابن خلدون يرى أنها كانت بمجالات القفر من فيكيك الى سجلماسة في الجنوب، ومن فيكيك إلى ملوية في الشمال، وربما يتقدمون في ظعنهم شرقاً الى بلاد الزاب. ج 7، ص 221، في حين أن ابن مرزوق يذكر ان القوم تملكوا مساحات شاسعة من بلاد الجريد الى ناحية المغرب، فاشتمل ملكهم على بلاد الزاب وتيهرت وجهات تلمسان، المصدر السابق،، ص 109.

4- المصدر السابق، ص 186.

5- الحريري، مرجع سابق، ص 5، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 221، ابن الاحمر، روضة، ص 14.

6 - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420 هـ - 2000 م، ج 2، ص 10.

تُعد كأبرز سبب سياسي الذين تفككت عرى دولتهم بعدها أمام التحديات الداخلية والخارجية، سيما مع ظهور القوة الفتية لبني مرين، التي استعان بها الموحدون في الكثير من الخدمات المخزنية "الحكومية"، وكانوا يرسلونهم - زمن القوة- إلى الأندلس للجهاد¹، بالإضافة الى العامل القبلي، فلقد كان الموحدون على درجة كبيرة من الذكاء، إذ لم يكن يخاف عليهم تنافس بني مرين وبني عبد الواد منذ الآماد الطويلة -كما يقول ابن خلدون-، فعمدوا لما برزت قوة بني مرين الفتية واستطاعت السيطرة على أراضي الدولة، فاستجاشوا ببني عبد الواد عليهم غير مرة².

كل ذلك أدى إلى قيام تحالفٍ للمرينيين مع بعض القبائل ضد الموحدين لضربهم بهذا التحالف³، فلما حل الضعف واستشرى بدولة الموحدين وسنحت الفرصة، قام بنو مرين بإعلان دولتهم؛ فقد كانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب زمن الصيف، فيرعون به أنعامهم ويكتالون من ميرتهم ويرجعون إلى بلادهم اذا ما توسط فصل الخريف.

فلما كانت سنة 610 هـ / 1213 م⁴، دخلت طائفة منهم المغرب كعادتهم فوجده خاليا قد باد أهله ورجاله بعد غزوة العقاب، فبعثوا البريد إلى إخوانهم يخبرونهم بحال البلاد وخصوبة أرضها وسعتها فأتوها مسرعين⁵.

1 - نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني " 685 - 706 هـ / 1286 - 1306 م " دراسة سياسية و حضارية، رسالة من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425 هـ / نيسان 2004 م، ص 7، حركات، مرجع سابق، ج2، ص 10.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 111 - 115، و ص 282.

3 - حركات، مرجع سابق، ج 2، ص 11.

4- ابن خلدون، ابن أبي زرع، ابن الأحمر، ولم يخالف في ذلك الا ابن عذارى الذي جعلها في سنة 601هـ، المصدر السابق، ق م، ص 274، ويُنظر تعليق الحريري على ذلك، مرجع سابق، ص 8 - 9.

5- ابن ابي زرع، الانيس، ص 282، المؤلف نفسه، الذخيرة، ص 25 - 26، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح، جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج 3، ص 5.

وفي سنة 613 هـ / 1216م قرر بنو مرين التوسع غربا بعد تيقنهم من ضعف الموحدين، وعبثا حاول الموحدون وقف تمدد بني مرين بمواجهتهم، ف وقعت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة شنعاء للجيش الموحدي بعدما سُلبوا كل شيء حتى ملابسهم، فاضطروا إلى الاستتار بأوراق نبات يسمى المشغلة، فسميت المعركة والسنة كلها بمعركة المشغلة.¹

وعرف بنو مرين صراعا داخليا عنيفا بين أبناء العمومة الواحدة، بنو حمامة من جهة وهم أصحاب مشيخة بني مرين وبنو عسكرة. وانتهى هذا الصراع بحسم جانب بني حمامة عسكريا، وتولى أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن حمامة² الامارة، واستطاع الرقي بيبي مرين حتى صارت قوة يهاجمها الموحدون ويحسبون لها حسابها³. وله يعود الفضل في بعث دولة بني مرين، بعد تفاقم الاوضاع في دولة الموحدين، وانعكاساتها السلبية والخطيرة على حياة الناس.⁴

ومرت هذه الدولة بأربعة مراحل تاريخية؛ فالمرحلة الاولى، (614 هـ - 668هـ/1217 م - 1269 م)، وتبدأ هذه المرحلة من امارة أبي سعيد - بعد مقتل أبيه - سنة 614 هـ / 1217م، إلى انخيار دولة الموحدين واندثارها وسقوط عاصمتهم مراكش في سنة 668 هـ / 1269 م.⁵

وتعاقب على حكم بني مرين كل من أبي سعيد، ثم خلفه -بعد مقتله- أخوه أبو معرف محمد⁶ في سنة 637 هـ وقيل 638 هـ / 1240، وبعد مقتله أيضاً في سنة 642 هـ / 1244م خلفه أخوه أبو

1- ابن خلدون، ج7، ص 224 - 225، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 26 - 29، الناصري، مرجع سابق، ج 3، ص 6.

2- المشهور بين قومه بأردغال أي الأعور، استطاع توحيد بني مرين وقوية جانبهم. مات غيلة في 637 هـ / 1240م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 225 - 226، ابن الاحمر، روضة، ص 16، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 35 - 38.

3- الحري، مرجع سابق، ص12

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 225 - 226، ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص 288 - 289.

5- Lachachi Amina, Médersas Mérinides : Al Bou Inaniyya de Fès et Sidi Boumediene de Tlemcen, Etude comparative, Mémoire pour l'obtention du diplôme de magistère, Spécialité, Archéologie du Magreb Islamique, - Publié- Faculté des sciences humaines et sciences sociales, Département d' histire et d'archéologie, Filière d'archéologie, Abou Beker Belkaid, Tlemcen, Année universitaire, 2013 - 2014, pp 15 - 19.

6- لُقب بأبي ضربة، ودوخ بلاد المغرب، ومات في قتال الموحدين في 642 هـ / 1244م ، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 225 - 226، ابن الاحمر، روضة، ص 16 - 17، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 59 - 63.

يحي أبو بكر¹ الى غاية وفاته في سنة 656 هـ / 1258م، فتولى ابن أخيه عمر² قبل أن ينخلع، ويُبايع عمه أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق³ في 657 هـ / 1259 م.

وأهم مميزات المرحلة:

بروز قوة بني مرين الفتية إلى العلن، ودخولها الصراع الدموي مع مناوئها على أرض المغرب الاقصى، وتوسعها الكبير على حساب القبائل والموحدين⁴. هذا الصراع المرير والتجاذب كان في صالح المرينيين غالب الوقت، ولكن ذلك لم يمنع الهزيمة عنهم في أحيان كثيرة، كما حصل في سنة 642 هـ / 1244م.⁵

ومما ساعد بني مرين على إحكام توسعها، ظهور أمراء قادرين على ادارة الحكم بحنكة وسياسية، الى جانب العمل العسكري كما تجلّى ذلك في شخصية أبي يحيى أبي بكر، الذي اعترف بالتبعية لبني حفص لإضفاء الشرعية على أعماله من جهة، وليأمن جانبهم من جهة أخرى وتمكن من فتح المدن الكبرى.⁶

واصطدم المرينيون في طريق توسعهم كثيرا بالموحدين، الذين أعدوا لهم - مرة - جيشا كثيفا، مما دفعهم الى المهادنة وترك المواجهة، فدخل المرينيون - إلى حين - في الطاعة والمهادنة، وشاركوا في الحرب

1- خلف أخاه، نازل الموحدين وأتبعهم الى وفاته في 656هـ / 1257م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 227- 234، ابن الاحمر، روضة، ص 17، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 64 - 84.

2 - خلف أباه قبل أن ينخلع في 656هـ / 1257م، ثم مات غيلة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 234 - 235، ابن الاحمر، روضة، ص 17، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 84.

3- من أشهر سلاطين بني مرين وُلد في 607 هـ / 1211م، وحكم في 657 هـ / 1259 م، قضى على الموحدين، واكتسح عاصمتهم، وجدد الجهاد الى الاندلس، وهزم النصارى غير مرة، وتوفي في 685 هـ / 1285م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 235 - 278، ابن الاحمر، روضة، ص 17 - 20، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 85 - 163.

4 - يُنظر تفصيل ذلك عند: الحريري، مرجع سابق، ص 14 - 15.

5 - يُنظر تقديره جيش الموحدين عند: ابن أبي زرع، الذخيرة السنينة، ص 62، المؤلف نفسه، الأنيس، ص 290.

6- ابن خلدون، ج 7، ص 227 - 228، ونص رسالة المبايع من إنشاء ابن عميرة، يُنظر: أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، تح، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2014، ص 115، أحمد عزراوي، رسائل ابن عميرة الديوانية، (القرن السابع الهجري)، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة، 2008، ص ص 125 - 130، نضال، مرجع سابق، ص ص 10 - 11، الحريري، مرجع سابق، ص 17 - 36.

ضد يغمراسن، الذي رفض الاستسلام رغم هزيمته، بل واستطاع أن يقلب ميزان القتال لصالحه، وانتهت المعركة بهزيمة مدوية للموحدين قُتل فيها الخليفة وكبار معاونيه سنة 646 هـ / 1248 م.¹

وتُعد الفترة الممتدة من سنة 643 هـ / 1245 م إلى سنة 668 هـ / 1269 م، فترة حاسمة لبني مرين، إذ استولوا على أراضي واسعة، وهزموا يغمراسن وعجز عنهم المرتضى²، الذي هُزم في سنة 653 هـ / 1255 م، وانكسر أمامهم أبو دبوس³ في معركة " وادي غفو " الشهيرة التي شكلت (نقطة تحول بارزة في تاريخ دولة بني مرين إذ كانت هذه المعركة نهاية للدولة الموحدية وبداية لقيام دولة جديدة فتية هي الدولة المرينية حيث لم تقم للموحدين قائمة بعد هذه المعركة)⁴. ثم تمكن المرينيون من دخول العاصمة مراكش والاستيلاء عليها بصفة نهائية في يوم الأحد 9 محرم سنة 668 هـ / 1269 م، وبذلك طويت صفحة دولة الموحدين نهائياً، ويُعد السلطان يعقوب هو المؤسس الحقيقي للدولة المرينية.⁵

ثم المرحلة الثانية، (668 هـ - 759 هـ / 1269 م - 1358 م)، وتبدأ هذه المرحلة من استيلاء بني مرين على العاصمة مراكش في سنة 668 هـ / 1269 م، إلى غاية نهاية حكم أبي عنان فارس المتوكل⁶ في سنة 759 هـ / 1358 م.

وتعاقب على الحكم سبعة أمراء مرينيين، أولهم أبو يوسف من سنة 657 هـ / 1259 م، إلى وفاته سنة 685 هـ / 1286 م، فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف¹ سنة 685 هـ حتى مقتله في حصار

1 - ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص ص 384 - 387، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 114.

2- كان من أواخر حكام الموحدين، نُحِّلَ وقُتِلَ، وكان له حظ وافر من العلم والادب وبراعة الخط، ابن الخطيب، الحلل، ص 168-167، ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص 387 - 442.

3- آخر خلفاء الموحدين، كانت أيامه نكدة لكثرة المخالفين عليه، ومموته اندثرت الدولة الموحدية وحلقتها المرينية، ابن الخطيب، الحلل، ص 169-170.

4 - الحريري، مرجع سابق، ص 35.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 241 - 242، ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص 468، الحريري، مرجع سابق، ص ص 18 - 36.

6 - تولى عقب موت أبيه، وكان حكمه نذيراً بانحلال الدولة وسقوطها، اغتاله وزيره وهو في سكرات الموت، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 381 - 397، ابن الاحمر، روضة، ص ص 27 - 29، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 122 - 163.

تلمسان سنة 706 هـ / 1307، وتولى بعده أبو ثابت عامر²، لكنه توفي بعد مدة يسيرة وتحديدا في سنة 708 هـ / 1308 م، فتولى أخوه أبو الربيع سليمان³ لكنه توفي في فترة وجيزة أيضاً 710 هـ / 1310 م. ثم تولى أبو سعيد عثمان⁴ الحكم في سنة 710 هـ / 1310 م الى وفاته في سنة 731 هـ / 1331 م، فخلفه ابنه أبو الحسن علي⁵ من سنة 731 هـ / 1331 م الى سنة 752 هـ / 1351 م، وعقب وفاته حكم ابنه أبو عنان فارس المتوكل من سنة 752 هـ / 1351 م الى اغتياله في سنة 759 هـ / 1358 م.

وأهم مميزات المرحلة:

تُعد هذه المرحلة ذروة المجد الذي وصلت اليه دولة بني مرين، داخليا وخارجيا، فإن الاستيلاء على عاصمة الموحدين - كما مر - فتح الطريق واسعا أمام خلافة المرينيين للموحدين على إرثهم بكل ثقله. وقمع كل تمرد ومؤامرة خاصة وأن بني مرين لم تتلبس حركتهم السياسية بثوب ديني أو شعار قبلي أمام الجماهير، وإنما كان شعارهم المعلن (إقامة حكم سياسي يراعي مصلحة البلاد، ويحافظ عليها من مخاطر الانحرافات، ويبعث في المواطنين الشعور بالأمن على أنفسهم وأموالهم).⁶

ولقد كان العالم الاسلامي - لا سيما في مغرب وأندلسه - يتطلع الى قوة مغربية، تواجه الخطر المتفاقم للنصارى على أرض الاندلس، وتحمي البقية الباقية من أراضي المسلمين، ووقف نزيف المدن

-
- 1- هو أحد أشهر سلاطين بني مرين ، وأخباره معلومة مبثوثة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، 307 - 308، ابن الاحمر، روضة، ص 21.
 - 2 - كان أصغر قومه، إقداما وشجاعة وجراءة، تولى في فترة عصيبة من حكم المرينيين. يُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 30 - 314، ابن الاحمر، روضة، ص 22.
 - 3 - تولى عقب وفاة اخيه واستطاع بسط الامن في دولته ومع جيرانه الى حين، وكانت ايامه خير ايام، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 314 - 315، ابن الاحمر، روضة، ص 23.
 - 4- قام بإصلاحات داخلية وتعامل بحنكة مع الفتن من حوله، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 319 - 334، ابن الاحمر، روضة، ص 23 - 24.
 - 5 - حكم بني مرين وعُدت فترة حكمه من أزهى الفترات لولا نهايته المأساوية وهمه مع ابنه، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 334 - 380، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 92 - 479.
 - 6 - الحريري، مرجع سابق، ص 37، ويُنظر عبارة ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 110.

المخيف. وهو ما كان!، إذ جدد المرينيون بقيادة أبي يوسف يعقوب فريضة الجهاد، وعبروا بقواتهم مرات ومرات الى الاندلس.¹

وكان لأبي يوسف المريني الفضل - بعد الله تعالى - على الأندلسيين، بإنشاء مشيخة الغزاة التي تمثل ذروة التفاهم والتحالف المريني و النصرى². كما عمل المرينيون على اخضاع اخوان النسب بني عبد الواد دون هوادة، فحاصروا العاصمة تلمسان غير مرة، وتواصلت حملاتهم عليها³. كما شهدت المرحلة تشييد المدارس المرينية في تلمسان بعد السيطرة عليها.⁴

ثم المرحلة الثالثة، (759 هـ - 869 هـ / 1358 م - 1465 م)، وتبدأ من نهاية حكم أبي عنان غيلة في سنة 759 هـ / 1358 م إلى سقوط الدولة المرينية نهائيا في سنة 869 هـ / 1465 م .

1 - ابن الخطيب، الحلل، ص ص 175 - 177، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص ص 143 - 159، نضال، مرجع سابق، ص ص 15 - 64، والعبور الاول كان في 674 هـ / 1275 م، يُنظر، المقرئ، المصدر السابق، مج 4، ص 385.

2- هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة بين بني الأحمر وبني مرين 670 هـ - 783 هـ / 1271 م - 1381 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص، تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 2008 - 2009، ص ص 28 - 95، إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، العدو الاندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسبان (422 هـ - 867 هـ / 1030 م - 1462 م)، دراسة سياسية حضارية، بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1430 هـ، ص ص 197 - 237.

3 - هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص، تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2007 - 2008، ص ص 194 - 216، نضال، مرجع سابق، ص 42، الحريري، مرجع سابق، صفحات: 39 - 40، و ص ص 88 - 91، و ص ص 102 - 103، و ص ص 110 - 113، و ص ص 125 - 127، عبيد بوداود، (تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية)، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، جوان - ديسمبر 2005، ع 6 - 7، ص ص 203 - 211.

- لمزيد التفصيل يُراجع: بوخضار فايذة، مدارس المغرب الأوسط الزبانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل 4 شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية، (مرقونة)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2010 - 2011، ص Op.Cit,p42 -44 ، Lachachi ، ص ص 42 - 55،

تولى في هذه المرحلة ثلثة من الأمراء أولهم أبو زيان محمد بن أبي عنان¹ سنة 759 هـ، ثم عُزل ووُلي السعيد بالله أبو بكر بن أبي عنان، ثم أبو سالم ابراهيم بن أبي الحسن² في سنة 760 هـ / 1359 م. ثم تولى أبو عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن³ سنة 762 هـ / 1361 م، ثم عبد الحلیم بن أبي علي⁴ الحكم في سنة 763 هـ / 1362 م، ثم تولى - في ذات السنة - محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب⁵، ثم توالى على حكم الدولة زمن انحطاطها سلاطين ضعاف وجودهم كعدمهم⁶. إلى أن آل أمر الحكم في سنة 831 هـ / 1427 م إلى أبي محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني⁷ وهو آخر سلاطين بني مرين، وأطولهم مدة⁸؛ وفي عهده دخلت الدولة مرحلة السقوط النهائي والاحتضار، وسقطت فعليا في سنة 869

- 1- تولى عقب مقتل أبيه قبل أن يعزله الوزير القاتل بمؤامرة لتولي أخيه السعيد وهو طفل صغير، الذي قُتل بعدها غرقا في البحر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 396 وما بعدها، الحريري، مرجع سابق، ص ص 157 - 159.
- 2 - كان بالأندلس قبل أن يدخل الى بلاد المغرب طالبا العرش، لكنه سرعان ما اغتيل بمؤامرة، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 40 - 416، الحرير، مرجع سابق، ص ص 159 - 162.
- 3 - وسرعان ما عُزل بعد سنة من توليه، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 415 - 421، الحريري، مرجع سابق، ص 162 وما بعدها.
- 4- رغم مبايعة الكثير من بني مرين له، إلا أنه فشل في دخول العاصمة نظرا لقوة الوزير عمر بن عبد الله، ومات بالإسكندرية سنة 766 هـ / 1364 م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 415 - 421، الحريري، مرجع سابق، ص 162 وما بعدها.
- 5 - نصبه الوزير عمر حاكما بدلا عن الموسوس وليتخذة لعبة في تنفيذ مخططاته، ثم اغتاله في 768 هـ / 1366م، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 428 هـ، الحريري، مرجع سابق، ص ص 164 - 166.
- 6- تولى أبو فارس عبد العزيز في سنة 768 هـ / 1366م، ثم أبو زيان محمد سنة 774 هـ / 1372م، ثم تولى أبو العباس أحمد في 776 هـ / 1374م، ثم الحكم - موسى - بن أبي عنان في سنة 786 هـ / 1383م، ثم أبو زيان محمد سنة 788 هـ / 1385م، ثم أبو زيان محمد في السنة نفسها. ثم أبو العباس أحمد للمرة الثانية في 789 هـ / 1386 م، ثم ابو فارس عبد العزيز في 796 هـ / 1393م، ثم المستنصر بالله عامر سنة 799 هـ / 1396م، ثم عبد الله بن أحمد سنة 800 هـ / 1397م، ثم أبو سعيد عثمان الثاني سنة 801 هـ / 1398 م، ثم أخوه عبد الله (سيدي عبو)، وقيل بل ابنه عبد الحق في 823 هـ / 1420م. ، وقيل بل أخ آخر للسلطان المتوفي أبي سعيد. الحريري، مرجع سابق، ص ص 167 - 185.
- 7 - هو آخر سلاطين بني مرين، وأكثرهم محنة وبلاء، الحريري، مرجع سابق، ص ص 185 - 187.
- 8 - وَصَفَ السلاويُّ حال الدولة زمنه بالضعف الشديد والتداعي للانحلال وتسلط الوزراء والحجاب، ج4، ص95.

هـ / 1465 م¹، ثم انتقل الحكم الى وزراءهم الوطاسيين² -أبناء العمومة- التي انهارت دولتهم هي الاخرى في سنة 961هـ / 1553م.³

وأهم مميزات المرحلة:

دخلت الدولة في طور الانحلال الممهد للانهايار في ظل ظروف وعوامل تكاثفت وتضافرت لأجل ذلك ولعل من أبرزها:

كثرة المؤامرات السرية والعلنية، وتشتت البيت المريني بين المطالبين بالعرش، فبين محاصر وبين محاصر، وبين قاتل وبين مقاتل، وبين مستجيش بالنصارى.⁴

هذا دون أن تُغفل دور الكوارث والأوبئة التي أطاحت بكثير من عناصر قوتها الاقتصادية وسببت الجماعات الكبيرة كمجاعة 776 هـ / 1374 م⁵، وبصورة خاصة ومروعة الطاعون الذي ضرب الشرق والغرب، في مُنتصف القرن الثامن الهجري (846 هـ / 1442 م).⁶

وشكلت وفاة أبي عنان غيلة⁷، شكلت مرحلة جديدة وأخيرة في حياة الدولة المرينية، إذ انتقلت السلطة الفعلية من أيدي السلاطين إلى وزراءهم وحتى حُجابههم، الذين قوي نفوذهم وعظُمت شوكتهم، حتى صارت مقاليد الحكم لا تخرج عن ارادتهم، متخذين من السلاطين ألعوبة ودمى يجركونها من وراء الستار ومن أمامه⁸.

1- السلاوي، مرجع سابق، ج 4، ص 99 وما بعدها، الحري، مرجع سابق، ص ص 181 - 187.

2 - يُراجع عنهم: محمد عيسى الحري، الوطاسيون و دورهم السياسي في المغرب الأقصى، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ع 8، 1978، ص ص 91 - 114.

3- السلاوي، مرجع سابق، ج 4، ص ص 118 - 153.

4- حركات، مرجع سابق، ج 2، ص 48.

5- مزدور سمية، الجماعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 - 927 هـ / 1192 - 1520 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429 - 1430 هـ / 2008 - 2009 م، ص ص 129 - 134.

6- الحري، مرجع سابق، ص 181، ويُراجع وصف ابن خلدون له ، المقدمة، ص 94.

7- على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي المتسلط يومئذ.

8- الحري، مرجع سابق، ص 130 - 131.

التدخل الخارجي في سياسة الدولة أحيانا عدة، كما حصل من بني الأحمر (واتخذ تاريخ بلاد المغرب والأندلس في تلك الفترة من ضعف الدولة المرينية شكلاً جديداً، حيث أصبح بنو الأحمر يمسكون بكل خيوط المعتزك السياسي في المنطقة ويوجهون سياستها وفق إرادتهم..)¹.

تولي اليهود لبعض المناصب العليا كان له الأثر السلبي، وهم الذين عملوا بكل نفوذهم على توهين الدولة، بل وانقراضها، من خلال اشعال الثورات أو الاعانة عليها، بالإضافة الى التجسس لفائدة أعدائها²، الذين دخلوا مرحلة القوة والهيمنة - كالبرتغال مثلاً -³، وانتهت السياسة التوسعية المرينية، رغم كل الجهود والتضحيات والخسائر، وتقلصت رقعة الدولة إلى الحدود الأولى في المغرب الأقصى.⁴

د - دولة بني الأحمر (635 هـ - 897 هـ / 1238 - 1492 م):

إنّ المصادر التاريخية التي بين أيدينا، تُجمع على أصالة وعراقة البيت النُصري، إذ أن نسب بني الأحمر⁵ يرتقي إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه⁶؛ سيد قبيلة الخزرج⁷.

- 1 - المرجع السابق نفسه، ص 171، وص 173 وما بعدها وهو يعدد نماذج من هذه السياسات النصيرية في توجيه دفة الحكم المريني.
- 2- عطا علي محمد شحاته ريه، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 1999، ص ص 46 - 62، الناصري مرجع سابق، ج 4، ص 98.
- 3 - عن ظروف تأسيس مملكة البرتغال، يُراجع: النشار، مرجع سابق، ص ص 13 - 198، الناصري، ج 4، ص ص 98 - 143.
- 4 - للمزيد، يُنظر: حركات، مرجع سابق، ج 2، ص ص 65 - 68، الحريري، مرجع سابق، ص 157، وللمزيد، يُراجع: محمد المنوني، " تعريف بالدولة المرينية "، دعوة الحق، ع 3، ص 8، رمضان، 1384 هـ - جانفي 1965 م، ص 82، Brahim Jadla, " Le Magrebe de l' expedition mérinides au périple de Léon l'Africain ", Cahiers de recherches médiévales et humanistes, 21, 2011, pp 41-48.
- 5- ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 13، نفسه، للمحة، ص 21 - 22.
- 6- هو سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، بدري، عقبي، نقيب، سيد... يُنظر ابن حزم، المصدر السابق، ص 365 - 366.
- 7 - أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تح، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1407 هـ - 1987 م، مقدمة التحقيق، ص 6، و ص 78 وما بعدها ابن الخطيب، للمحة، ص 21، ابن حزم، المصدر السابق، ص 365 - 366، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1361 هـ - 1942 م، مج 1، ص ص 62 - 73، وعن حروب الاوس والخزرج، وعن التعريف بالخزرج ومنازلهم وأحوالهم، يُنظر: أبو زهري، مرجع سابق، ص ص 16 - 55، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص ص 341 - 355.

وأصل هذا البيت في الأندلس أرجونة أحد حصون قرطبة¹، كما اشتهر أعلامه أيضاً باسم بني نصر؛ وكان دخولهم إلى بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي لها، وتقلبوا في الوظائف خصوصاً قيادة الجند.²

لقد ساهمت مجموعة ظروف في تكوين مملكة بني الأحمر، وبروزها على مسرح الأحداث في الأندلس لفترة تربو عن القرنين والنصف، صحيح أنها كانت فترة مليئة بالحروب والمحن، ولكنها لم تخلُ من فترات نصر وقوة وعزة، إضافة إلى الموروث الحضاري الضخم في السياسة والأدب والعمارة، الذي نشأ في أحضان المملكة ورعاية حكامها، ثم عرف طريقه إلى مختلف الأصقاع المجاورة³. والملاحظ لدى التتبع والدراسة أن ظروف قيام هذه المملكة كانت متشابهة كثيراً بل ومشتركة مع بقية البلاطات محل الدراسة، فهي لا تختلف كثيراً في مجملتها - اللهم إلا ما كان من الخصوصية الأندلسية - ومن هذه الأسباب والعوامل:

التداعيات السلبية لهزيمة العقاب على واقع الأندلس ومستقبله يومئذ، ولعل أخطر تلكم التداعيات انشغال البيت الموحدى بفتن الكرسي، ومحاولة السيطرة على الحكم في مراكش بأي وسيلة كانت، وهو ما ألقى بظلاله بطبيعة الحال على الأندلس⁴، فتراخت قبضة الموحدين على ضبط شأن الأندلس وحماتها من التفكك أو الانهيار⁵ أمام ضربات النصارى، وفتن الثوار التي ظهرت تباعاً⁶. في وقت زادت فيه أطماع

-
- 1- قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها... الحميري، المصدر السابق، ص 456 - 459.
 - 2 - علي محمد حموده، تاريخ الأندلس السياسي والعمري والاجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة، 1957، ص 295.
 - 3 - يُنظر: أنخل جنثال بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955، الذي تحدث صاحبه فيه بإسهاب عن الحضارة الأندلسية، لا سيما في عهدها الأخير، عنان، ع4، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1416 هـ - 1997 م، ص 437 - 516.
 - 4- ومن الأمثلة على ذلك: شيوع الاغتيالات والانقلابات والمكر والدسائس، حتى وصل الأمر ذروته عندما استعان المأمون بقوات نصرانية، ونزل على شروطهم المذلة، وأخلى بلاد الأندلس في سنة 626 هـ / 1228 م، وهو ما تسبب في تماوي الحواضر الأندلسية بسرعة مخيفة، يُنظر لمزيد التفصيل: ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص 276 - 285، الذي يجعل تاريخ العبور في سنة 625 هـ، ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1، ص 411، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 340 - 341، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص 250-252، ابن الخطيب، الحلل، ص 124.
 - 5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 395 - 396.
 - 6 - كثورة البياسى، وابن مردنيش، وابن هود، وابن الأحمر، يُنظر: عمارة، مرجع سابق، ص 29 - 38.

الممالك النصرانية¹، التي توحدت كلمتهما - يومئذ - على حرب المسلمين وطردهم، واندفعت قواتها تستولي على الحواضر تباعا تارة بالحصار المنتهي بالتسليم وتارة بالعدو والحديعة، وتارة بالقتل والحرق. ولم يأت منتصف القرن السابع الهجري (13 م) حتى كانت حواضر الأندلس الشرقية والوسطى والغربية قد تساقطت بيد الممالك النصرانية².

وفي خضم تلك الأهوال التي اشتعلت بها أرض الأندلس، نجح ثائر واحد في اغتنام الفرصة وتحقيق الهدف بإقامة دولة أندلسية خالصة، تحمي ما ظل من أراضي الجزيرة على قلتها ولو إلى حين³. فظهر ابن الأحمر⁴ في سنة 629 هـ / 1231 م، وأخذ البيعة لنفسه، ثم ما لبثت دعوته، أن سرت في الجهات المجاورة لأرجونة⁵، ودخل في صراع مرير ومحموم مع منافسه - زميل الجهاد - ابن هود⁶ على حكم ما بقي من الأندلس⁷.

1 - بلغ عدد هذه الممالك خلال الفترة التي سبقت قيام دولة بني الأحمر خمسا، هي: قشتالة، ليون، أرغون، النافار، البرتغال، عنان، مرجع سابق، ع4، ص ص 84 - 93، أحمد توفيق محمد محاسنة، الحياة السياسية في دولة بني الأحمر من 629 هـ / 1232 م إلى 897 هـ / 1492 م، رسالة ماجستير، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، تموز، 1997، ص ص 17 - 19.

2 - يُنظر تفصيل ذلك: عمارة، مرجع سابق، ص ص 38 - 58، عنان، مرجع سابق، ع4، ص ص 20 - 21.

5 - الحجري، مرجع سابق، ص483، عنان، مرجع سابق، ع 4، ص ص 20 - 39.

4 هو أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي. يُنظر: ابن الخطيب، للمحة، ص 21 - 22، و ص ص 30 - 36.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 395 - 396.

6 - هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العليم بن أحمد المستعين بالله بن هود، أحد أحفاد بني هود الذين ملكوا سرقسطة في عهد ملوك الطوائف وكانت بداية ظهوره في التاسع من شهر رجب سنة 625هـ/1228م، استطاع أن يُسيطر على أكثر الأندلس، ورغم شجاعته، إلا أنه وُصف بقلة المبالاة والتسرع، تغلب عليه الخفة، وكثيرا ما كان يدخل المعارك قبل أن يكمل استعداداته، ونتيجة لذلك هزم في العديد منها، قتله وزيره ابن الرميمي غدرا في سنة 635 هـ / 1238 م. يُنظر لمزيد التفصيل: ابن عذارى، المصدر السابق، ق م، ص ص 276 - 288، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص 274 - 276، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص ص 128-132، عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مر، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000م، ج 4، ص ص 215 - 218، الحميري، المصدر السابق، ص 355.

7 - لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح، ليفي برونسسال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 292 - 293.

وعوض أن تتوحد جهود الزعامات الأندلسية لحماية لأرض الأندلس، راحت تتفرق وتتخذق، وتتقاتل طلبا للتوسع وطاعة المدن وجمع الأتباع، بل وتستعين بالنصارى على بعضها البعض مما ساهم في تواصل نزيف الأراضي الساقطة بيد النصارى.¹

والذي يهمننا أن ساكنة غرناطة خلعت طاعة ابن هود، بعد أن هاجم جماعة منهم واليه عليها وقتلوه، وبعثوا يُبايعون ابن الأحمر، الذي لى دعوتهم ودخل المدينة في أواخر رمضان سنة 635هـ/1238م.²

وهكذا تمكن ابن الأحمر من تأسيس مملكته وعاصمتها غرناطة، التي استقطبت المسلمين الفارين من جحيم الحملات النصرانية بين مقاتل ومفكر وصانع، ما دفع بعجلة الحضارة الى أقصى حدودها، بالإضافة إلى مما ميزها من حصانة طبيعية، ويُعد نسبي عن الممالك النصرانية، مع القرب من الضفة المغربية³، التي سيكون لها الدور الحاسم في إطالة عمر المملكة، التي مرت بأربعة مراحل تاريخية؛ فالمرحلة الاولى، (635 هـ - 733 هـ / 1238 م - 1333 م)، وتبدأ هذه المرحلة من تأسيس الدولة في غرناطة سنة 635 هـ / 1238 م إلى نهاية حكم محمد الرابع بمقتله.

وتعاقب على حكم بني الأحمر كل من المؤسس ابن الأحمر ثم خلفه ابنه محمد الفقيه⁴ في 671 هـ / 1272 م، ثم ابنه أبو عبد الله محمد الثالث⁵ - المخلوع - في 701 هـ / 1302 م، لكنه عُزل⁶ لمرض مُزمن أصاب عيونه أضعفه عن القيام بأعباء أمور الحكم والسياسة في 708 هـ / 1308 م. وخلفه أخوه

1 - عمد النصارى الى ضرب أحد الشخصيتين بالآخر من خلال اعانة أحد على آخر ، وعقد الهدن المؤقتة، التي تسمح لهم باقتطاع المزيد من الاراضي، فمثلا تحالف ابن الأحمر مع ملك قشتالة هو الذي مكّنه من احتلال قرطبة في سنة 633 هـ/1235م بعد حصار طويل وحناق، والتي كانت تحت سيطرة ابن هود - الذي خذلها -. يُنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص ص 217-219، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 275-276، ابن عذارى، المصدر السابق، قم، ص 303، ابن الأبار، التكملة، ص 147.

2 - ابن الخطيب، اللمحة، ص ص 30 - 37، 43، نفسه، الاحاطة، مج1، ص 141 - 142.

3 - يُنظر للمزيد: محاسنة، مرجع سابق، ص ص، 35 - 46، و ص ص 51 - 52.

4 - ثاني ملوك الدولة، وعظيمهم، بويغ بعد وفاة أبيه. ابن الخطيب، اللمحة، ص ص 37 - 39.

5 - ثالث الملوك وابن الفقيه، تعرض للعزل عن الحكم. ابن الخطيب، اللمحة، ص ص 47 - 50.

6 - ابن الخطيب، اللمحة، ص ص 48-55، نفسه، الاحاطة، مج1، ص 142، و ص 552 - 553.

نصر بن محمد¹، الذي تنازل عن الحكم الى أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر² في سنة 713 هـ / 1314 م، بعد ثورة الشعب عليه في أحداث يطول شرحها³؛ ثم خلفه بعد مقتله⁴ في سنة 725 هـ / 1325 م؛ ابنه أبو عبد الله محمد الرابع⁵ - وكان فتى يومها - الذي لقي نفس مصير والده⁶ في سنة 733 هـ / 1333 م وبه تم عقد السلاطين الأوائل⁷.

وأهم مميزات المرحلة:

الظروف الشاقة التي برزت لدى تأسيس الدولة في البداية، وما أعقبها من سعي حثيث للحفاظ عليها متماسكة، في غمرة الثورات وهجومات النصارى المركزة، وما تخلله من سقوط سريع ومروع لحواضر المسلمين تواليا لاسيما الكبرى، ما حتم على المؤسس وخلفائه من بعده مهادنة النصارى، بل! ومُصانعتهم مرة بعد مرة⁸، رغم ما كان لهذه السياسة من آثار وخيمة، فإن الممالك النصرانية كانت تقبل بالمهدنة والسلم، إن كانت في مصلحتها، فلا تقبل وقف القتال إلا بمقابل من أراضي، أو جزية أو خضوع، وإن كانت في زمن الانكسار والاختلال، سارعت لقبولها حتى تستقر ظروفها السياسية، فتعاود هجوماتها، وتنكث بالعهود والاتفاقيات.

- 1 - أمير الاندلس بعد أخيه وأبيه، يُكنى أبا الجيوش... ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 57 - 60.
- 2 - أمير المسلمين بالاندلس، يُكنى أبا الوليد... ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 65 - 77.
- 3 - وعلى رأسها مهادنته لفرناندو الرابع ملك قشتالة والتعهد بأداء الجزية له، ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 69 - 71، نفسه، الاحاطة، مج 1، ص 142.
- 4 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 77 وما بعدها، نفسه، الاحاطة، مج 1، ص 142، و ص ص 541 - 544.
- 5 - أمير المسلمين بالاندلس بعد أبيه، يُكنى أبا عبد الله. ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 77 - 89.
- 6 - ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 83 - 89.
- 7 - عرف حكم السلاطين الأوائل فترات طويلة مقارنة بمن خلفهم، أحمد، مرجع سابق، ص ص 59 - 60، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص ص 541 - 544.
- 8 - هادن ابن الاحمر قشتالة لتيقنه من عبثة مواجهتها، وخطر ذلك على سحق مملكته الناشئة، فرضي بأخف الضررين الضررين الى حين، عنان، مرجع سابق، ع4، ص 42 وما بعدها، وكذلك سار بنوه من بعده عند الضعف وانقطاع النصير.

فكان لابد من إيجاد الناصر والمغيث في تلکم الظروف العصبية، فاتخذ بنو الأحمر سياسة استصراخ الضفة المغربية - خصوصاً بني مرين - كلما شعروا بالتهديد¹، وتكرر عبور الجيوش المرينية لنجدة المسلمين. بل! وتترجم إلى ظهور منصب مشيخة الغزاة - كما تقدمت الإشارة إليه - في سنة 670 هـ / 1271م، بسبب التفاهات التي حصلت بين الطرفين لصد عدوان الممالك النصرانية المتربصة، فنزحت مجموعة من المجاهدين إلى الأندلس للإقامة بها، ليكونوا على أهبة الاستعداد مدافعة للنصارى، وتولاه قرابة السلطان المريني².

وعرفت العلاقات مع بني مرين فترات وحشة وثقرة، رغم كل الجهود التي بذلها المغاربة في نصرة إخوانهم في الدين؛ إذ أنّ البلاط النصري كان كثيراً ما يتوجس خيفة من الانتصارات التي كسروا بها النصارى مرات عدة؛ خوفاً أن يُقدموا على ضم المملكة الأندلسية إليهم³. وفي سبيل الحيلولة دون ذلك خطى بعض بني الأحمر، خطوات شاذة غير مفهومة، من خلال التحالف مع النصارى ضد بني مرين، ومحاولة اشغالهم بالفتن الداخلية في دولتهم⁴!

عرفت الدولة منذ قيامها صبغة الوراثة، غير أن الفضل يعود للفقهاء، الذي وضع الرسوم ألقاب خدمتها، ونظم دواوينها وجبايتها، وخلع عليها الصفة الملوكية الزاهية⁵.

وأدّى استبداد بعض الكتاب والوزراء⁶ إلى ظهور الفتن الداخلية، التي وصلت إلى الاغتيالات لبعض السلاطين، مما هدد سلامة المملكة النصرية وتماسكها؛ إذ أن روح التفرق والتنافس كانت قد تأصلت في النفوس، بشكل صعب معه جمع الكلمة في ظروف حساسة وخطيرة⁷؛ رغم ما شهدته هذه المرحلة من فترات قوة نصرية وانتصارات مدوية على النصارى كما حصل في سنة 718 هـ / 1318م.¹

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 250 - 287 وما بعدها، ص ص 329 - 349، ص 440، ابن أبي زرع، الذخيرة، ص 191.

2 - لمزيد التفصيل يُراجع: هلال، مرجع سابق، ص ص 46 - 105.

3 - كما حصل مع دولة المرابطين التي ضمت إليها كل ما كان يحكمه ملوك الطوائف.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 262 وما بعدها، عنان، مرجع سابق، ع 4، ص ص 102 - 113 وما بعدها.

5 - عنان، مرجع سابق، ع 4، ص ص 94-95، ويُنظر وصفه عند: ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 37 - 39، نفسه، الاحاطة، مج 1، ص 142.

6 - سيأتي الحديث عن ذلك في موضعه ان شاء الله.

7 - كفتنة أصهار المؤسس بني أشقيلولة الذين كان لهم الفضل في افتتاح ألمرية معقل ابن هود ووزيره ابن الرميمي من بعده، وهم أسرة من المولدين، انحازوا منذ بداية الصراع بين الأحمر وابن هود إلى ابن الأحمر، وعاون كبيرهم أبو الحسن بن أشقيلولة ابن الأحمر على خصمه، وتوثقت العلاقة بين الرجلين بالمصاهرة، بعدما تزوج أبو الحسن أخت ابن الأحمر، وعينه لحكم وادي آش ثم خلفه ابنه أبو اسحاق، وتمكن بنو أشقيلولة من الحكم وكانوا ساعد ابن الأحمر وعضداً له، لكن

ثم المرحلة الثانية، (733 هـ - 793 هـ / 1333 م - 1391 م) ، وتبدأ هذه المرحلة من تولي أبي الحجاج يوسف² - الأول - في سنة 733 هـ / 1333 م الى نهاية حكم ابنه محمد الغني بالله - الخامس - في سنة 793 هـ / 1391 م. وتعاقب على الحكم كل أبي الحجاج يوسف الأول - وكان فتي حينها -، الى مقتله في يوم عيد الفطر 755 هـ / 1354 م³؛ فخلفه ابنه محمد الغني بالله⁴ - الخامس -؛ ثم عُزل وجزاز الى بني مرين، وحكم أخوه أبو الوليد إسماعيل⁵ - الثاني - في 760 هـ / 1359 م، الذي اغتيل بعد سنة من حكمه.⁶ وانتهى الأمر آخرًا بعودة محمد الخامس⁷ ثانية في 763 هـ / 1362 م، واستمر إلى وفاته في 793 هـ / 1391 م.

وأهم مميزات المرحلة:

بدأت مخايل العصر الذهبي للدولة تلوخ، منذ تولي أبي الحجاج يوسف الأول؛ لتعيش أزهى عصورها. فرغم صغر سنه يومئذ؛ إلا أنه استطاع أن يرتقي بمملكته في العلياء؛ من خلال انجازاته المتعددة على

- 1 - ومن ذلك مثلاً هزيمة القشتاليين المنكرة على يد الاندلسيين في سنة 718 هـ / 1318 م، ابن الخطيب، اللوحة، ص 564 وما بعدها.
- 2 - أمير المسلمين بالأندلس، يُكنى أبا الحجاج. ابن الخطيب، اللوحة، ص 89 - 100.
- 3 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 97 وما بعدها.
- 4 - أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه وأخيه، عرفت الدولة في زمانه العصر الذهبي وبوفاته دخلت دور الانحطاط والفتن. ابن الخطيب، اللوحة، ص 100 - 114، و ص ص 117 - 119.
- 5 - أخو الغني بالله الذي تولى بعد خلعه. ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 114 - 117.
- 6 - بيد ابن عمه وصهره أبي سعيد محمد البرميخو.
- 7 - فإن البرميخو هذا استطاع إلحاق هزيمة قاسية بقشتالة وأسر 1200 من فرسانها، واقتيدوا الى غرناطة ما جعل الملك القشتالي يحقد عليه ويُراسل بني مرين يُشجعهم ويحثهم على الاطاحة بملكه وإعادة محمد إلى عرشه؛ ولما أيقن البرميخو ضياع العرش منه فر ملتجئاً إلى قشتالة التي أعدته انتقاماً لفرسانها، وأرسل برأسه الى محمد، يُنظر تفصيل ذلك كله: ابن الخطيب، اللوحة، ص ص 116 - 118، نفسه، الاحاطة، مج 2، ص ص 26 - 30، و مج 1، ص ص 524 - 531.

الصعيد السياسي والاقتصادي والفكري والحضاري¹. لم يمنع ذلك الرقي من أن تصاحبه انكسارات قاسية، خصوصا مع تربع النصارى المتحالفين، واستثمارهم كل فرصة لاحتلال المزيد من أراضي المسلمين؛ ورغم توثق العلاقة مع بني مرين عموما ونصرتهم العسكرية المتواصلة، إلا أن الكفة مالت لصالح النصارى، فحصلت الهزائم المتوالية أفقدت المسلمين مناطق ذات أهمية كبيرة².

كما انتشر الوباء الكبير الذي أهلك الأخضر واليابس في سنة 749 - 750 هـ / 1347 - 1348 م؛ هذا الوباء المدمر اجتاح سائر الأمم الإسلامية وحوض البحر الأبيض المتوسط، وذهب ضحيته كثير من سكان الاندلس، في مقدمتهم علماء وكبراء³.

عرفت هذه المرحلة نشوب أحد أشد الاضطرابات في عهد بني الأحمر؛ فقد شهدت ثلاثة انقلابات سياسية في فترة وجيزة بين عامي 760-763 هـ / 1359-1362 م⁴، أسفرت عن اغتيال ثلاثة من من سلاطين المرحلة مما يعكس طبيعة الأوضاع السياسية الداخلية المتعقبة، التي صارت يوما عن يوم تتجه بالاندلس نحو السقوط، خصوصا وأن المملكة ظلت دائما في حالة تربع وترقب بأعداء الخارج الذين لم يكونوا - بطبيعة الحال - في غفلة عنها، بل وكانوا طرفا مهما في تأجيج الصراعات الداخلية بتشجيع شخصية عن أخرى.

1 - فقد عقد المصالحات، ودعم اقتصاد الدولة من خلال تشجيع التجارة والمبادلات، وبنى المدرسة اليوسفية أو النصرية، وحصن المملكة ببناء الأسوار والتحصينات، وأقام المساجد والقصور السلطانية. يُراجع عن ذلك كله: ابن الخطيب، الملحمة، ص 96، نفسه، لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1397 هـ - 1977 م، مج4، ص ص 318 - 337، عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص ص 142 - 147.

2 - كمعركة طريف التي انهزم فيها المسلمون من الضفتين أمام تحالف النصارى في سنة 740 هـ / 1340 م للسيطرة على جبل طارق، وما أعقبه من سقوط قلعة يحصب فالجزيرة الخضراء في سنة 744 هـ / 1344 م، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص ص 224 - 226، ابن الخطيب، الملحمة، ص ص 92 - 97، نفسه، الاحاطة، مج4، ص 332 وما بعدها، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 346 وما بعدها.

3 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 493، عنان، مرجع سابق، ع4، ص 130 وما بعدها، وممن تحدث عن هذا الوباء ابن خاتمة الأنصاري، حيث وصف عصف الطاعون بـ((المرية))، في رسالة أسماها ((تحصيل غرض القاصد، في تفصيل المرض الوافد)). يُنظر: محمد حسن، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، 2002، ص 125 وما بعدها.

4 - محاسنة، مرجع سابق، ص 60، نورة بنت محمد بن عبد العزيز التوجيري، الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة، مجلة جامعة أم القرى، س 10، ع 15، 1427 هـ، ص ص 288 - 313.

عرفت الدولة منذ حكم محمد الخامس - خصوصا الفترة الثانية - نشاطا عسكريا وسياسيا وحضاريا¹ ناجحا على الصعيد الداخلي والخارجي؛ فاستطاع استرجاع بعض المدن السليبية، مما أنعش الآمال ورفع المعنويات؛ كما أنهى مشيخة الغزاة بصفة نهائية، وصار أمر المجاهدين والغزاة اليه مباشرة بعد قرن من ظهور المنصب. وصار الحاكم الفعلي للمغرب، وصاحب الكلمة العليا في بلاط بني مرين التهوي يومئذ².

كما تبادل المراسلات مع بلاط أبي حمو الزياني في سنة 767 هـ / 166م، تحذر من خطة نصرانية لاقتلاع المملكة الاسلامية وطلب العون، وساد الأمن والامان زمن حكم الغني بالله هذا!، وانشغلت قشتالة عن قتال المسلمين بجربها الداخلية، وغلب التهادن بين البلاطين... رغم المواجهات المتكررة أحيانا كما في سنة 767 هـ / 1366م، و769 هـ / 1367م، و771 / 1370م. وبوفاته دخلت المملكة طور الانحلال والسقوط³.

ثم المرحلة الثالثة، (793 هـ - 897 هـ / 1391 م - 1492 م)، تبدأ هذه المرحلة من وفاة السلطان محمد الخامس في سنة 793 هـ / 1391 م، الى سقوط غرناطة نهائيا بيد النصارى في 892 هـ / 1492 م.

حكم في هذه المرحلة الأخيرة من عمر دولة بني الأحمر أبو الحجاج يوسف⁴ - الثاني -؛ لكنه لم ينشب أن توفي في سنة 794 هـ / 1392م، ثم خلفه ابنه محمد⁵ مستأثرا بالسلطة مغرقا في الشدة والعنف والأطماع⁶، إلى وفاته في سنة 811 هـ / 1408م؛ فخلفه أخوه يوسف¹ - الثالث - الى غاية وفاته في

1 - فإنه واصل أعمال أبيه في التشييد والاصلاح والتعمير للقصور السلطانية كالمجموعة الثالثة في قصور الحمراء... يُنظر: السيد سالم، مرجع سابق، ص 147 وما بعدها.

2 - الحريري، مرجع سابق، ص 175.

3 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص ص 54 - 85، عطاء الله دهبينة، مقال سابق، ص ص 7 - 17، بوحسون، مرجع سابق، ص ص 48 - 51، عنان، مرجع سابق، ع4، ص ص 142 - 149.

4 - ثاني عشر ملوك بني لاهمر، وهو الابن الاكبر الغني بالله، ابن الخطيب، اللوحة، ص 103، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 228.

5 - ثالث عشر الملوك، سادس من حكم باسم محمد، وكان الاحق بالحكم منه أخوه يوسف الذي سجنه قبل أن يخلفه على حكم المملكة، ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص 228، شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس، مطبعة المنار، مصر، 1343 هـ - 1925 م، ص 166.

6 - عنان، مرجع سابق، ع4، ص 150

في سنة 820 هـ / 1417 م؛ ثم تُلة من السلاطين الصُّعاف² انتهت بتولي محمد أبي عبد الله³ في سنة 887 هـ / 1492 م الذي استسلم للنصارى.⁴

وأهم مميزات المرحلة:

دخول المملكة في انحلال سياسي خطير ومريع، انعكس بطبيعة الحال على المجال العسكري إذ شهدت حروبا متواصلة بين غرناطة وقشتالة، صبَّت أغلبها الطرف النصراني؛ وإن تخللتها فترات تهادن وصلاح.⁵

أغار المسلمون على أراضي النصارى، وحصلت الاشتباكات المتقطعة، التي مالت فيها الكفة كل مرة للطرف النصراني، وحصلت المناوشات والمصادمات مع النصارى، ثم عاد الطرفان الى التهادن.

كما ثار أهل جبل طارق، ودعوا لبني مرين - الذين كانت دولتهم في مرحلة التفكك والانحيار - الى احتلاله، لحمايته واياهم من غارات النصارى المتواصلة، لكن يوسف الثالث هزم المغاربة وأعوأهم.⁶

يتضح أن الملوك الأوائل لبني الاحمر حكموا فترات طويلة نسبيا مقارنة بالمتأخرين، الذين لم يتجاوز حكم بعضهم أشهراً، مما يدل على أن من وصل منهم الى العرش بنظام الوراثة لم يكن على قدر المسؤولية

1 - الملك الرابع عشر، أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تح، صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، 1410 هـ / 1989م، مقدمة التحقيق، ج 1، ص12، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال، مج 2، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 1، 1391 هـ / 1971 م، ص 283.

2 - فتوى الأيسر أبو عبد الله محمد - الثامن - 820 - 858 هـ / 1417 - 1454 م، وفي عهده وصلت الفتن والاضطرابات ذروتها، حتى أنه خُلع وعاد الى العرش خمس مرات!، وانتهت حياته غيلة...ومن تولى في عهده الحكم: محمد - التاسع - 831 - 833 هـ / 1428 - 1430 م، ثم أبو الحجاج يوسف - الرابع - ستة أشهر! 835 هـ - 1431 م، ثم يوسف بن محمد، وحكم بضعة أشهر من سنة 839 هـ / 1436 م... ثم سعد بن اسماعيل 858 - 868 هـ / 1454 - 1465 م، ثم أبو الحسن علي بن سعد 868 - 887 هـ / 1464 - 1482 م، ثم أبو عبد الله محمد - الحادي عشر - المعروف بالغالب بالله والملك الصغير 887 - 888 هـ / 1482 - 1483 م، ثم أبو عبد الله محمد - الثاني عشر - المعروف بالزغل 888 - 892 هـ / 1483 - 1486 م، ثم أخيراً أبو عبد الله محمد الحادي عشر مجددا الذي استسلم للنصارى، يُنظر، محاسنة، مرجع سابق، ص 58 - 59.

3 - آخر ملوك بني الاحمر وهو الحادي عشر في ترتيبهم، أرسلان، مرجع سابق، ص 258 - 259.

4 - عنان، مرجع سابق، ع4، ص ص 154 - 168، و ص ص 179 - 267.

5 - ابن عاصم، المصدر السابق، ج1، مقدمة التحقيق، ص 11 - 12، عنان، مرجع سابق، ع4، ص ص 152 - 153.

6 - عنان، مرجع سابق، ع4، ص 154.

المطلوبة، ما فتح المجال للطامعين في العرش من بني الأحمر أو غيرهم للثورة والتمرد، وكل ذلك كان له آثاره لوخيمة سياسياً وعسكرياً على واقع ومستقبل المملكة المهددة.¹

وعرفت هذه الفترة - الأخيرة - وانقساماً سياسياً عجل باختيارها²، واضطرابات خطيرة متواصلة ومُشددة، كالتى امتدت من سنة 822 هـ / 1419م إلى سنة 845 هـ / 1442م، إذ خُلع السلطان - محمد الايسر - بعد توليه في سنة 820 هـ / 1417م، ثم استعاد العرش، ثم خُلع، ثم استعاده عدة مرات كان بعضها يتم بترتيب من ملوك قشتالة³، وعائلة بني السراج⁴ العريقة في الوزارة والحكما ونفوذها، الذين أصبحوا طرفاً في مؤامرات ملوك بني الأحمر ضد بعضهم بعضاً.⁵

وشهدت هذه المرحلة سقوط جبل طارق في سنة 867 هـ / 1462م؛ وبسقوطه حال النصارى دون وصول أي امدادات أو نجدة من الضفة المغربية. بينما اشتعل البيت النصري بالفتن والثورات، ولم تُفلح - فيما يبدو - حوادث التاريخ الماضي، في إيقاظ ضمائر المتناحرين، ليكفوا عن غيهم، ويوجهوا جهودهم متوحدة لمقاتلة العدو الحقيقي، الذي عرف بيته النهضة والتفوق العسكري، بسبب الاستقرار السياسي، والذي تمخض عنه اتحاد قشتالة وأراغون؛ لتحقيق الحلم الكامن في القلوب وهو طرد المسلمين وتنصير الجزيرة مجدداً. فتوجهت اهتماماتهم وهممهم إلى صنع أو المشاركة، في إذكاء نار الفتن المتواصلة بين أفراد البيت النصري، وقيام الثورات تأييداً لأحد على آخر، في غياب الناصر يومئذ رغم بعض المحاولات

1 - يُنظر كلاماً رائعاً نفيساً للمقري في أن أسباب الخلاف هي التي مكنت للنصارى الظهور، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988م، مج 4، ص 508 وما بعدها، محاسنة، مرجع سابق، ص 59 - 60.

2 - انقسام المملكة بين أبي الحسن وبين أبي عبد الله الزغل وما أعقبه من تساقط المدن والحصون بيد النصارى الذين تفننوا في التلاعب بالشخصيتين وإذكاء نار الحروب والفتن بينهما. عنان، مرجع سابق، ع 4، ص 154 وما بعدها، محاسنة، مرجع سابق، ص 170 - 175.

3 - يُنظر المعاهدة التي انعقدت مع قشتالة لاعتلاء رمزي للعرش باسم الملك النصرائي!، محمد عبد الله عنان، وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري، صحيفة المعد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، اسبانيا، مج 2، ع 1 - 2، 1373 هـ - 1954م، ص 38 - 45 وما بعدها.

4 - عن أصل هذه الأسرة وعراقه نسبها وبزوغ أعلامها علماً وسياسة، يُراجع: سحر عبد العزيز سالم، مجلة المعهد المصري للبحوث والدراسات، مدريد، اسبانيا، مج 28، 1996، ص 7 - 32.

5 - ابن عاصم، المصدر السابق، ص 16 وما بعدها. ويُنظر لمزيد التفصيل، محاسنة، مرجع سابق، ص 157 - 164.

المختشمة¹. وكانت آخر حلقة في سلسلة هذه الفتن الصراع المدمر بين العمّ وابن أخيه²؛ الذي أدى آخر المطاف إلى تسليم مدينة غرناطة في 29 صفر 897 م / 2 يناير 1492 م.³

يتبين لنا فيما مر من الايراد والوصف الزّحم الكبير من الأحداث الذي صاحب الانهيار المدوي لدولة الموحدين في المغرب والأندلس، هذا الزّحم الذي تترجم بقيام ممالك وارثة للأرض والحكم والإقليم، ممالك اقتسمت الحقد والطموح ذاته، فأشعلت الأرض ناراً وحراباً، ولكن حضارة وعلماً أيضاً. ومن المؤسف حقاً أن الواقع المرير الذي عاشته هذه الدول المغربية، والتطاحن الذي كان بينها حال دون المحافظة على إرث الموحدين المترامي أو الزيادة عليه.

1 - محمد عبد الله عنان، موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها، وأمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموماً، مجلة الأصالة، ع 27، ص ص 105 - 111.

2 - أعني الزغل وابن أخيه أبي عبد الله بن أبي الحسن. يُنظر، عنان، مرجع سابق، ع4، ص 191 وما بعدها، أرسلان، مرجع سابق، ص 236 وما بعدها.

3 - عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 142، يُنظر تفاصيل استسلام غرناطة النهائي، وما تلاه من مآسي محاكم التفتيش والتقتيل والتتهجير عند: عنان، مرجع سابق، ع 4، ص ص 188 - 432، محاسنة، مرجع سابق، ص ص 165 - 222.

1 - ماهية الوظائف السلطانية وأهميتها

أ - الوزارة.

المفهوم اللغوي

التعريف الاصطلاحي

ب - الكتابة.

المفهوم اللغوي

التعريف الاصطلاحي

ج - الحجابة.

المفهوم اللغوي

التعريف الاصطلاحي

2 - تطور الوظائف السلطانية تاريخياً إلى القرن السابع الهجري 13 م

1- الوزارة

2 - الكتابة

3 - الحجابة

في هذا الفصل الثاني سأتناول الحديث عن الوظائف السلطانية من جهة التعريف والإصلاح، ثم الأهمية في ضمان استمرار الحكم واستقراره، قبل أن أفصل في أهم هذه الوظائف والخطط الملوكية، وتطورها من عصر النبوة إلى أحرىات الدولة الموحدة.

وليس غرضنا في ذلك الإحصاء الكُلِّي، فهذا مما لا يندرج في بحثنا، وإنما البُغية توضيح معالم هذه الوظائف السلطانية في بلاطات المسلمين، وكيف تحولت من جانب التنفيذ إلى التفويض والاستبداد؛ فيبين اختيار وتولية، وحكم وتسمية، وشروط واستبداد، وثورات تُحاك في أروقة القصور.

1 - ماهية الوظائف السلطانية وأهميتها:

نعني بها مجموعة المهام والمناصب والخطط، التي تكون في أعلى سُدة الحكم، إلى جانب الملك والسلطان، تعضده وتنفذ أوامره، وأزعم أنها لا تخرج عن ثلاثة، وقد تندرج تحتها، أو تُضم لها غيرها. وهذه الوظائف هي: الوزارة والحجابه والكتابة.

أهمية الوظائف السلطانية:

تمثل أهمية هذه الوظائف في كونها: **عصب الحكم في الدولة، ومركز نجاح القرار السياسي، واستمرار بقاء قوة البلاط.** فمعلوم أنّ السُلطة التي احتكرها ملوك وسلاطين ما بعد الموحدين، كان لا بد لهم فيها من أعوان وعيون، من وزراء وكُتّاب، وحُجّاب ومن دونهم، يُساعدونهم - في الوضع الطبيعي -، في رسم السياسة الصحيحة العامة لقصورهم، ويسهرون على تطبيقها، - وفي غير الوضع الطبيعي - ينفرد بعضهم وأقواهم خصوصاً بالحكم، ويستبدُّ بسلطانه، فبين إيجابية وسلبيات. وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: (اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً، فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه. وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده... وهو إما أن يستعين في ذلك بسيفه أو قلمه أو رأيه أو معارفه أو بحجابه عن الناس أن يزدحموا عليه، فيشغلوه عن النظر في مهماتهم)¹.

فأمّا الإيجابية فضمن استمرار وتماسك العرش والحكم، وأما السلبيات ففتح الباب أمام كل طامع، ومانع يروم الحكم والسُلطة، فتُبذل الأنفس الغالية والأموال النفيسة رخيصةً، ما أشعل المغرب والأندلس

1 - عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح، أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ/2007م، ص 225.

خلال فترة الدراسة نارا وحربا وأهوالا، فلا عجب أن ضَعُفت القوة وذهب البأس، وسيطر اليأس، في وقت أمنت الممالك النصرانية، واستعد ملوكها لإنزال الضربات الموجعة، وهم ذاتم الذين اهتموا إلى المشاركة، والتفنن في صناعة فتن العرش ومؤامرات البلاط، وإذكائها.

أ - الوزارة:

المفهوم اللغوي:

لقد ورد اشتقاق معنى الوزارة في اللغة من عدة أوجه:

1 - الوزر:

وهو الإثم والثقل أو العبء، والجمع أوزار، فإن الوزير هو الذي يحمل ثقل الملك ويُعينه برأيه، وقد استوزره، وحالته الوزرة والوزارة، والكسر أعلى¹، قال الله تعالى: (ووضعتنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك).²

وقيل لوزير السلطان وزير: لأنه يزُرُّ عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة أي يحمل عنه.... فيوازره ويحمل عنه ما حمله من الأثقال، ويلتجئ الأمير إلى رأيه وتدييره، فهو ملجأ له ومفزع³، وفي قصة السقيفة: نحن الأمراء وأنتم الوزراء.⁴

2 - الوزر:

1 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 1028، الفيروزابادي، المصدر السابق، ج 2، ص 152 - 153.

2 - سورة الشرح، الآية: 2 - 3.

3 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 4824، الفيروزابادي، المصدر السابق، ج 2، ص 152، أبو الحسن علي الماوردي، كتاب الأحكام السلطانية، اعتنى به، مئس أنعر، دط، بن، 1853 م - 1399 هـ، ص 38.

4 - صحيح البخاري، ج 3، ص 11، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص 55 - 56.

وهو الجبل المنيع الذي يُعْتَصَمُ به للنجاة من الهلاك، قال الله تعالى: (كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾).¹ أي لا ملجأ، وكذلك الوزير لاعتماد الخليفة على رأيه في أموره ويلتجئ إليه...² ومنه الوزير؛ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته.³ ومن المحاز: أوزار الحرب أي آلاتها وسلاحها، ومنه وضعت الحرب أوزارها كناية عن الانقضاء.⁴

3 - الأزر:

وهو الظهر، لأن الملك يقوى بوزيره على أعماله، كقوة البدن بظهره⁵، قال نبي الله موسى عليه السلام لرَبِّهِ بعد أن كلفه بدعوة فرعون: (وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿١٨﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿١٩﴾ إِشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٠﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٢١﴾)،⁶ وقال الله تعالى أيضاً: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٥﴾).⁷

وعبثاً حاول المستشرقون رد أصل الكلمة الى اللغة الفارسية القديمة (البهلوية)، للتشابه المتبادر بين لفظة "وزير" و"فشير"، معتمدين على أخبار تولي الكثير من الفرس المنصب المذكور في الدولة الاسلامية، نظرا لما تمتعوا به من النفوذ الكبير.⁸

1 - سورة: القيامة، الآية: 11.

2 - الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 4، 1430 هـ - 2009 م، ص 867 - 868، ابن منظور، المصدر السابق، ص 4823 - 4824.

3 - الماوردي، المصدر السابق، ص ص 30 - 33.

4 - الفيروزآبادي، المصدر السابق، ج 2، ص 152.

5 - الماوردي، المصدر السابق، ص 38، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، اشراف، شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425 هـ - 2004 م، ص 1028.

6 - سورة طه، الآية: 29، ابن منظور، المصدر السابق، ص 4824.

7 - سورة الفرقان، الآية: 35.

8 - يُنظر في ذلك: س. د. جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعر وتحق، عطية القوسي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ط 1، ص ص 79 - 108، صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، ص 229 - 230، عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، فبراير، 2008، ص 183.

المفهوم الاصطلاحي:

هي وظيفة إدارية يتولّاها رجل موثوق في دينه وعقله، ويشاوره الخليفة فيما يعنّ له من الأمور؛ ويكون له عوناً على الأمور، وظهيراً في السياسة، وملجأً عند النوازل، يُشير عليه، ويُؤازره، ويُعاونُه¹، ويقف معه للإصلاح وتقويم الأعمال، فهو بمثابة (المساعد الذي يحمل كثيراً من الأعباء عن الخليفة، ولا يتم ذلك إلا لوجود الثقة في الوزير من قبل الإمام رئيس الدولة).²

ولذلك احتلت الوزارة المرتبة الثانية في الترتيب الشكلي للوظائف السلطانية بعد الحاكم³، وربما تفوقت في ظروف كثيرة على الحاكم نفسه. (واهتم العلماء والكتّاب والأدباء والفقهاء بهذا المركز المرموق، فكتبوا عنه من نواحٍ متعددة: فقهية، ولغوية، وتاريخية، وأدبية وسياسية. وفي مكتبتنا العربية كُتِبَ برأسها عن الوزراء، وكتاب كامل عن وزير واحد. وهذا يتفق مع مكانة الوزارة وأهميتها، والأدوار التي قام بها بعض الوزراء في الحياة السياسية والفكرية الإسلامية والعربية)⁴. وقد يُطلق على الوزارة ألقاباً أخرى ذات صلة على غرار: الامارة والامامة وولاية الأمر والخلافة والسلطان والسلطة⁵. فلا غرابة إذن! أن توصف الوزارة بأنها أم الخطط السلطانية، والرتب المملوكية، لأن اسمها يدل على مطلق الاعانة، لأن الوزير هو مُعين الخليفة وساعده الأيمن في إدارة دفة الحكم في البلاد والقيام على اصلاح شؤون العباد. ونظراً لهذا الدور الكبير كانت كل الخطط ورتب الملك والسلطان إليها راجعة، بل وجُعِلت ثالث أشرف منازل الآدميين بعد النبوة والخلافة.⁶ وهي على نوعين، وزارة تنفيذ، ووزارة تفويض⁷:

- 1 - الماوردي، المصدر السابق، ص 33، أبو يعلى محمد الفراء، الأحكام السلطانية، تص وتبع، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1421 هـ - 2000 م، ص 29.
- 2 - عبد الرحمان الضحيان، النظم الاسلامية وحاجة البشرية إليها، دار المآثر، المدينة النبوية، السعودية، ط1، 1423 هـ - 2002 م، ص 143.
- 3 - أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شاب الجامعة، الاسكندرية، مصر، د ط، دت، ص 124.
- 4 - ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ك1، الحياة الدستورية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، ص 409.
- 5 - يُنظر تفصيل ذلك : محمد الزحيلي، الوزارة في الإسلام، تاريخها وأحكامها، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط1، 1418 هـ - 1998 م، ص ص 12 - 18.
- 6 - ابن خلدون، المقدمة، ص 226.
- 7 - يُنظر تعليق القاسمي على هذا التقسيم. المرجع السابق، ص 436 وما بعدها.

وزارة تنفيذ:

وهي أن يُعين الخليفة وزيراً، مهمته تنفيذ أوامره فقط، دون اجتهاد منه أو مبادرة، وهذا النوع يكون في حال قوة السلطان واستبداده على بطانته. ووزير التنفيذ وسط بين الإمام، (وبين الرعايا والولاة، يؤدي عنه ما أمر، وينفذ عنه ما ذكر، ويمضي ما حكم، ويجبر بتقليد الولاة، وتجهيز الجيوش، ويعرض عليه ما ورد من مهم، ويتجدد من حدث ملم، ليعمل فيه ما يؤمر به؛ فهو معين في تنفيذ الأمور، وليس بوال عليها، ولا متقلد لها؛ فإن شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص، وإن لم يشارك فيه كان باسم الوساطة والسفارة أشبه)¹. ولا يُشترط لتعيينه تقليد، أو عقد، أو صيغة معينة، وإنما يكفي فيها مجرد الإذن². نظراً لكونها أضعف حكماً، (وشروطها أقل، لأنَّ النظر فيها مقصوراً، على رأي الإمام وتدييره...)³. (ولذا فالمفهوم السياسي المعاصر لهذا المنصب، يُمكن تسميته بـ "وزير الوزارة"، أي أنه يؤدي مهام تنفيذية واضحة لجهة وزارية معينة⁴.

والشروط اللازم توفرها في وزير التنفيذ عامة كسائر ما يُطلب تحققه في أي موظف:

- 1 - الأمانة
- 2 - صدق اللهجة
- 3 - قلة الطمع
- 4 - الذكاء.
- 5 - سلامة صدره من أي عداوة أو شحنة مع الناس
- 6 - أن يُخبر الخليفة بما يؤديه
- 7 - أن لا يكون من أهل الأهواء.⁵

وزارة تفويض:

- 1 - الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 25-26.
- 2 - أبو زيد شلبي، الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1433 هـ - 2012م، ص 90.
- 3 - الماوردي، المصدر السابق، ص 29.
- 4 - الضحيان، المرجع السابق، ص 144-145.
- 5 - الماوردي، المصدر السابق، ص 30، ويُنظر تعليقات القاسمي عليها، المرجع السابق، ص 446 وما بعدها.

و هي: (أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضائها على اجتهاده).¹ فالوزير هنا ذو ولاية عامة، وليس مجرد وسيط. وهذا النوع من أهم مراكز الدولة في الاسلام، لأنَّ على عاتق متوليه²، (مسؤوليات كثيرة وصلاحيات، كما يتحمل جميع شؤون الدولة بعد رئيس الدولة، لأنه يُعتبر في المفهوم السياسي المعاصر بمثابة رئيس الوزراء)³. ويُشترط في تقليد هذه الوزارة، ما يشترط في الإمامة إلا النسب وحده، وهو شرط فيه خلاف في الإمامة نفسها⁴، وبقية الشروط هي:

1 - الحرية

2 - الإسلام

3 - العلم بالأحكام الشرعية

4 - معرفة أمور الحرب والخراج.⁵

ولا يكفي في تعيين الوزير مجرد الإذن، (بل لا تنعقد إلا بعقد وصيغة معينة؛ فهي ولاية تفتقر إلى عقد، والعقود لا تصح إلا بالقول الصريح؛ فتكون بلفظ يشتمل على شرطين:

أحدهما: عموم النظر والثاني: النيابة، فان اقتصر على عموم النظر دون النيابة، فكان بولاية العهد أخص، فلم تنعقد به الوزارة، وإن اقتصر بع على النيابة، فقد أجم ما استتابه فيه من عموم وخصوص، أو تنفيذ وتفويض؛ فلم تنعقد به الوزارة، وإذا اجتمعت بينهما انعقدت).⁶

ويختص وزير التفويض بسلطات واسعة وصلاحيات كبيرة، فله:

1 - تعيين الحكام

2 - النظر في المظالم

3 - تولي أمر الجهاد.¹

1 - الماورددي، المصدر السابق، ص25.

2 - شلي، المصدر السابق، ص90.

3 - الضحيان، المرجع السابق، ص 145.

4 - شلي، المرجع السابق، ص90.

5 - الماورددي، المصدر السابق، ص 25.

6 - شلي، المرجع السابق، ص 90 - 91.

وبهذه الثلاثة الأنفة الذكر، يتساوى الوزير فيها مع الخليفة، ولا يُستثنى من ذلك إلا ثلاثة أشياء:

- 1 - للإمام أن يعهد بولاية العهد إلى من يرى، وليس ذلك للوزير.
 - 2 - للإمام أن يستعفي الأمة من الإمامة، وليس ذلك للوزير
 - 3 - للإمام أن يعزل من قلده الوزير، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام.²
- فيختصُّ الإمام بمطالعة ما أمضاه وزيره، وما أنفذه من ولاية وتقليد، لئلا يصير بالاستبداد كالإمام. ويختص أيضاً يتصفح أفعال الوزير، وتدييره الأمور، ليُقر منها ما وافق الصواب، ويستدرك ما خالفه.³

الفرق بين الوزارتين:

- 1 - وزارة التفويض عامة في البلاد، ووزارة التنفيذ خاصة بوزارة معينة.
- 2 - وزارة التفويض تحتاج إلى عقد ولاية، أما التنفيذ فلا عقد ولاية عند التولية
- 3 - تدخل الأمور السياسية في منصب التفويض أكثر مما هي في التنفيذ
- 4 - وزير التفويض لا يعزل إلا بقرار عزل، أما التنفيذ فيعزل بترك العمل.⁴
- 5 - يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم، والنظر في المظالم، وليس ذلك لوزير التنفيذ
- 6 - وزير التفويض يتمتع بصلاحيات تسيير الجيوش للدفاع عن البلاد، وليس ذلك للوزير التنفيذ
- 7 - يجوز لوزير التفويض التصرف في المال العام، من جهة الانفاق، وليس ذلك لوزير التنفيذ
- 8 - يجوز لوزير التفويض تعيين الولاة الأمراء على المناطق، وليس ذلك لوزير التنفيذ.⁵

تعدد الوزراء:

- 1 - عبد الحميد حسين حمودة، الحضارة العربية الإسلامية و تأثيرها العالمي، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2014، ص 45.
- 2 - شلبي، المرجع السابق، ص 90 - 91، الضحيان، المرجع السابق، ص 144.
- 3 - شلبي، المرجع السابق، ص 91.
- 4 - يُراجع: الضحيان، المرجع السابق، ص 145.
- 5 - الماوردى، المصدر السابق، ص 27.

يجوز للخليفة تعيين وزير تنفيذ على اجتماع وانفراد¹، في حين أنه لا يجوز له تقليد وزير تفويض على الاجتماع، وذلك بسبب عموم ولايتهما، وهذا مثل عدم جواز تقليد إمامين؛ لأنهما ربما تعارضا في الحل والعقد. والتقليد والعزل². ويجوز للخليفة تقليد وزيرين، واحد للتفويض، وآخر للتنفيذ. فيكون وزير التفويض مطلق التصرف، ووزير التنفيذ مقصوراً على تنفيذ ما وردت به أوامر الخليفة.³

وخلاصة الكلام؛ أنّ منصب الوزارة قد عرف اهتماما من العلماء بالبحث والتفصيل في قسميه، (فوزارة التفويض أوسع وأشمل، أمّا التنفيذ فجهة عمل تنفيذي).⁴

ب - الكتابة:

المفهوم اللغوي:

الكتابة مشتقة من: (كتب الشيء يكتبه كُتِباً و كِتَاباً و كِتَابَةً، و كَتَبَهُ: حَطَّهُ... والكتاب اسم لما كُتِبَ مجموعاً؛ والكتاب مصدر؛ والكتابة لمن تكون له صناعة، مثل الصياغة والخياطة.... ويُقال: اكتب فلان أي سأله أن يكتب له. واستكتبه الشيء أي سأله أن يكتب له... والكتاب الصحيفة والدواء⁵ .. ورجل كاتب، والجمع كُتّاب وكتبة، وحرفته الكتابة.. والغالب على من كان يعرف الكتابة، أن عنده العلم والمعرفة... واستكتبه: أمره أن يكتب له، أو اتخذ كاتباً.... ويُقال: كتبتُ الكتاب لأنه يجمع حرفاً إلى حرف).⁶

1 - شلي، المرجع السابق، ص 91.

2 - القاسمي، المرجع السابق، ص 448 - 449، شلي، المرجع السابق، ص 91.

3 - الماوردي، المصدر السابق، ص 30 وما بعدها.

4 - الضحيان، المرجع السابق، ص 146.

5 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 3817.

6 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 3818.

وعُرِّفتْ أُنْها: (رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية)¹، وأُنْها: (مصدر ما كتب، وهو الخط والمجاء، والكتاب مصدر كالكتابة، ومعلم الكتابة هو الذي يقوم بتعليم الخط والمجاء)². فهي عملية تنطلق برسم الحرف وإجادة ماهرة للخط وكتابة الكلمات بالطريقة التي تُتيسر على القارئ بناءً على معنى صحيح ومتناسق سلامةً وتركيباً؛ للتعبير عما يجوش في النفس، فلا مناص إذناً! أن تحتاج إلى رؤية و تدريب حتى يتم إتقانها على الوجه المطلوب فتؤدي الغرض المورود...³

لقد مثَّل ظهور الكتابة نقطة تحول جوهري في حياة الإنسانية⁴؛ إذ بها نزلت الكتب والصحف من الله تعالى عن أنبيائه ومُرْسَلِيه - عليهم الصلاة والسلام - هداية للخلق وإقراراً للحق⁵؛ فانتقلت بها العلوم والآداب المتعددة، وتبادل الأفكار والثقافات بين الحضارات⁶، فكانت الكتابة:

(من عداد الصناعات الإنسانية... وهو صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان، وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدَّى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتُقتضى الحاجات وقد

1 - ابن خلدون، المقدمة، ص 386.

2 - هدى محمد السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، 1429هـ/2008م، ص117.

3 - للمزيد عن ذلك، يُراجع: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح، علي محمد البحراوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، 1371 - 1952، دار احياء الكتب العربية، ص 55 وما بعدها، سلام خياط، إقرأ، صناعة الكتابة وأسرار اللغة، شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، كانون الثاني، يناير، 1999، ص ص 11 - 277، السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، قر و تع، يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص ص 13 - 650، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، علي بوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م - 1424 هـ، ج7، ص ص 13 - 160.

4 - سليمان بن عبد الرحمان بن محمد الذيب، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، 1427 هـ / 2006 م، الدار العربية للموسوعات، د ط، د ت، ص ص 27 - 129.

5 - النويري، المصدر السابق، ج 7، ص ص 3 - 5، ويُنظر في فضل الكتابة: أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، د ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر 1340هـ- 1922 م، ص ص 35 - 45.

6 - عبد رب الحسن حسن خلف، الكتابة ومكانتها الحضارية عند العرب، مجلة كلية الآداب، ع، 97، ص ص 3 - 25، يوهانس فريدريش، تاريخ الكتابة، تر، سليمان أحمد الضاهر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، ص ص 9 - 280، محمود سليمان ياقوت، فن الكتابة الصحيحة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص ص 26 - 34.

دفعت مؤونة المباشرة لها، ويُطلَّعُ بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبه من علومهم وأخبارهم؛ فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع، وخروجها من الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم).¹

المفهوم الاصطلاحي:

وأما **سُلْطَانِيَا** فالكتابة وظيفة سامية يُعنى بها: كُتَابٌ مهرة يقومون بكتابة السجلات، والجيش، وتحرير الرسائل وأوامر الملك، وسائر ما يصدر عنه من المخاطبات الداخلية والخارجية². وهذا الذي يهم بحثنا هو الكتابة كخطة ووظيفة سلطانية³، أو كما سماها ابن خلدون صناعة الكتابة⁴؛ وهي التي تُعنى بشؤون الدولة. حتى وُصفت بكونها: (أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة)⁵.

وللكتابة أصلان وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها، هما كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال.⁶ فُعَلِمَ إذن صبغتها السلطانية، و أنها الخطة والصَّنعة، التي تضمن استمرار مخاطبات السلطان لرعيته وجنده وجيرانه، كما عبر عن ذلك ابن خلدون: (وإما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان وتنفيذه، الأوامر فيمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب).⁷

ج - الحجابة:

المفهوم اللغوي:

يعود الاشتقاق اللغوي للفظ الحجابة إلى **السُّتْر** و**المنع**: (حجب. الحجاب: السُّتْر... وحجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب... والحجاب: البواب، صفة غالبية، وجمعه حجابة وحُجَاب، وخطته الحجابة... وحجبه: أي منعه عن الدخول... وكل

1 - ابن خلدون، مقدمة، ص 386.

2 - المصدر السابق نفسه، ص 206.

3 - يُنظر عن أقسام الكتابة: النويري، المصدر السابق، ج 7، ص 6.

4 - ابن خلدون، مقدمة، ص 386 وما بعدها.

5 - القلقشندي، المصدر السابق، ج 1، ص 37.

6 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 52.

7 - يُنظر كلام ابن خلدون، المقدمة، ص 226.

شيء منع شيئاً فقد حجبه كما تحجب الاخوة الأمم عن فريضتها..¹، و(حجبه حجبا وحجابا ستره كحجبه وقد احتجب وتحجب والحاجب البواب... حجة وحجاب وخطته الحجابة...)².

* الحجابة في القرآن الكريم:

قال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَأْذِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٦﴾)³. مما جاء في تفسيرها: (...والحجاب ههنا: هو الساتر، وقال: مستورا. وكان وكان غيره من أهل العربية يقول: معنى ذلك: حجبا مستورا عن العباد فلا يرونه... وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن الله سترنا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم).⁴

وقال أيضاً: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿٤٧﴾).⁵

جاء أنه: (يُكشَف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية...)⁶.

وقال تعالى أيضاً إخباراً عن ما بين أهل النار والجنة من الحواجز: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَتَادَوُاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٨﴾).⁷ جاء أن الحجاب هنا هو: (حاجز، أي سور).⁸

وقال تعالى حكاية عن المشركين المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم: (وَقَالُوا فَلَوْلَنَّا فِي

أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِجْءَ آذَانِنَا وَقَفْرٍ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٤٩﴾).¹

1 - ابن منظور، المصدر السابق، ص 777.

2 - الفيروزآبادي، المصدر السابق، ج 1، ص 52.

3 - سورة: الاسراء: الآية: 45.

4 - الطبري، المصدر السابق، ج 14، ص 607.

5 - سورة: المطففون: الآية: 15.

6 - الطبري، المصدر السابق، ج 24، ص 205.

7 - سورة: الأعراف: الآية: 46.

8 - الطبري، المصدر السابق، ج 10، ص 208.

جاء في تفسيرها: (يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا يجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضاً...)².

* الحجابة في السنة النبوية:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من ولاد الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وقره)³.

المفهوم الاصطلاحي:

الحجابة منصب سلطاني؛ متوليه - الحاجب - مسؤول عن حجب السلطان عن العامة، والقيام على بابه⁴، فيمنع الازدحام والفوضى، حتى يُؤدَّن لهم⁵. ويحول دون اغتيال السلطان على حين غفلة⁶، وهذا ما أكسب هذه الوظيفة الأهمية البالغة مع مرور الوقت⁷، نظراً لثُرب القائم بها من الخليفة والسلطان، بينما يتكلف هو بالإشراف على (تنظيم برنامج استقبال الوفود، وتوجيههم حسب الطريقة للدخول...)⁸. واشترط⁹ في متولي الحجابة:

- 1 - أن يكون محل ثقة عند الحاكم أو الخليفة
- 2 - أن يكون ذا بسطة في العلم والعقل والجسم
- 3 - الإلمام التام بأصول العلاقات العامة، وآداب المعاملات الانسانية
- 4 - الاتصاف بقدر من الذكاء، والفطنة لانزال الناس منازلهم، وحفظ أسمائهم¹.

- 1 - سورة: فصلت: الآية: 5.
- 2 - الطبري، المصدر السابق، ج 20، ص 377.
- 3 - الألباني، السلسلة الصحيحة، ج 2، ص 205.
- 4 - ابن خلدون، المقدمة، ص ص 227 - 229.
- 5 - ظافر القاسمي، ج 2، ص 414، ويُنظر للتفصيل: القلقشندي، ج 5، ص 449، ويُنظر النويري، المصدر السابق، ج 6، ص 82 وما بعدها.
- 6 - كما وقع مع عمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنه. المصدر السابق نفسه، ج 6، ص 227.
- 7 - مع التنبيه أن المنصب لما انتقل الى الأندلس صار بمنزلة رئاسة الوزراء، وعرف التنافس المحموم طريقه إليه. يُنظر: آمنة محمود عودة الديابات، الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316 - 423 هـ / 928 - 1030 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ، (مرقونة)، جامعة مؤتة، كلية الآداب، الأردن، 1999 - 2000، ص 53 وما بعدها.
- 8 - الضحيان، المرجع السابق، ص 150.
- 9 - يُلاحظ استمرار متطلبات الوظيفة بين الماضي والحاضر، فهذه الشروط وإن كانت تندرج في المصطلح السياسي المعاصر، لكنها تعمُّ حال متولِّي المنصب.

2 - تطور الوظائف السلطانية إلى القرن السابع الهجري (13 م):

عرف الناس الوظائف السلطانية، منذ أن عُرف نظام الجماعة، الخاضع للفرد، المتشارك في القواسم المشتركة من: رقعة وانتماء وعرق، وتوجه سياسي.

1- الوزارة:

لقد عُرف منصب الوزارة منذ فجر تاريخ الانسانية، إذ كان لزاما وجوده مع وجود الجماعة والحاكم الذي احتاج دوما لمن يعاونه، فعرفه قدماء المصريين، والفينيقيين والسوريين واليونان والرومان و الفرس.²

ولم يخل حديث النبي صلى الله عليه وسلم من لفظ وزير، من مثل: قوله صلى الله عليه وسلم: (من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا؛ جعل له وزيرا صالحا؛ إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه)³، بل واختصَّ أبا بكر الصديق - بدرجة أكبر - وعمر الفاروق رضي الله عنهما، بالصُّحبة والقرب والمشاورة أكثر من غيرها من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم⁴.

وُروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير؛ فكان يُشاوره في جميع أموره، وكان أول من أسلم من الرجال، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقدم عليه أحداً⁵. فكان بعض العرب ممن عرفوا لقب الوزير قبل

1 - الضحيان، المرجع السابق، ص 150.

2- حسن ابراهيم حسن، علي ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص 113،

اسماعيل البدوي، الوزارة في الدولة الاسلامية، د ط، د ت، ص: 6 - 7.

3- يُنظر، أبو عبد الرحمان أحمد النسائي، تعل، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 1، دت، ص: 648، برقم، 2404، الألباني، الصحيحة، ص 321 - 322 برقم 1787.

4- يُنظر بعضا من النصوص الواردة فيهما خصوصا: صحيح البخاري، ج 3، ص ص 6 - 18، الألباني، الصحيحة، ص 612، برقم 3333، وص 613، برقم، 3337 - 3338، و ص 615، برقم، 3344، وص 616، برقم، 3353، وص 619، برقم، 3372، وص 620، برقم، 3377، وص 621، برقم، 3381، وص 633، برقم، 3435، وص 639، برقم، 3468 - 3469، وص 644، برقم، 3500، السيوطي، المصدر السابق، ص: 43 - 50، أبو عبد الله محمد الحاكم، المستدرك على الصحيحين في الحديث، ط 1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، 1341 هـ، ج 3، ص 70 - 90.

5- السيوطي، المصدر السابق، ص 50.

الاسلام في العجم (كسرى وقيصر والنجاشي)؛ يُسمون أبا بكر وزير النبي صلى الله عليه وسلم¹. وكذلك سار الأمر مع عمر بعد تولي أبي بكر، وعلي وعثمان مع عمر رضي الله عنهم².

وعرف مفهوم الوزارة كمنصب تطورا مع العهد الراشدي فما بعده؛ إذ (أصبح له أنظمة وشروط، وأصبح على الخليفة أن يختار الوزير المناسب للوظيفة المناسبة التي تخدم المصلحة العامة للأمة)³.

وسار بنو أمية⁴ على ذلك أيضاً، فقربوا ذوي الرؤى واستشاروهم⁵، لا سيما مع الامتداد الشاسع لحدود الدولة⁶، وتحول الحكم الى الملكية الوراثية. غير أنهم لم يُخلوهم بلقب الوزارة⁷ بصفة رسمية رغم قيامهم بأعبائها⁸. ومع توجه الأمويين الى المركزية تدريجياً صارت الحاجة مُلحة أكثر لاتخاذ الكتاب، لمعاونة الخليفة في مؤشر الى ظهور منصب الوزارة رسمياً مستقبلاً في دولة بني العباس⁹.

1- ابن خلدون، المقدمة، ص 198.

2- لمزيد التفصيل، يُنظر، محمد عبد الحي الكتاني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية، تح، عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ج1، ص 88 - 89، محمد سهيل طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط 2، 1432 هـ - 2011م، ص 13 - 384، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 230، الزحيلي، المرجع السابق، ص 24.

3 - الضحيان، المرجع السابق، ص 143.

4 - ثاني خلافة في تاريخ الإسلام، وأكبر دولة في تاريخ الإسلام، وواحدة من أكبر الدُول الحاكمة في التاريخ، امتدَّ حكمها في الفترة: (41 - 132 هـ / 662 - 750 م).

5- يُنظر عن تاريخهم، علي محمد الصلابي، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـ - 2008 م، مج1، ص ص 159 - 193، حمدي شاهين، الدولة الأموية المفتري عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001، ص ص 259 - 280، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الاسلامي في العصر الأموي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 1429 هـ - 2008م، ص ص 463 - 478، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 230، الزحيلي، المرجع السابق، ص 25 - 26.

6- التي امتدت من الصين الى جبال البرانس في الأندلس المسلوب.

7 - العبادي، المرجع السابق، ص 125.

8- يُستثنى من هذا شخص واحدة فقط على الاقل، وهو زياد ابن أبيه، إذ لُقّب بالوزير زمن معاوية رضي الله عنه، يُراجع عن ذلك، عبد الشافي، المرجع السابق، ص ص 468 - 470، القاسمي، المرجع السابق، ص ص 416 - 420.

9- صبحي الصالح، المرجع السابق، ص: 230، عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، فبراير 2008، ص 184.

ولما انتصرت جيوش العباسيين¹ ظهر منصب الوزير رسمياً، وتمهدت قواعده وتقررت قوانينه²، بعدما نُقلت نظم الحكم الى الدولة الجديدة عن الفرس³، لاسيما وقد قامت على أعناق الخراسانيين ودُعاهم⁴. فكان عمل الوزراء في البداية لا يخرج عن نطاق نفوذ الخلفاء، الذين كانت السلطة الفعلية بأيديهم، وكثيراً ما دفع الوزراء حياتهم ثمناً لسوء تقلب مزاج الخليفة أو تصادم في الصلاحيات، دون أن تغفل رغبة الوزراء - أو بعضهم على الأقل - في السيطرة على الجهاز الاداري وتوسيع دائرة نفوذهم⁵.

غير أن الوضع عرف تغييراً جذرياً مع مرور الوقت، إذ ارتفع شأن الوزير⁶ حتى صار ساعد الخليفة الأيمن، يقضي باسمه في جميع شؤون الدولة، ويحكم نيابة عنه، فكان له الصلاحية في تنصيب العمال وصرفهم، والاشراف على جمع الضرائب، والقيام على موارد الدولة ومصارفها⁷، يُضاف الى ذلك اشرافه المباشر على ديوان الرسائل، بحيث اجتمع في شخص الوزير السلطة المدنية والحربية أو كما تُعرف بخطتي

1 - ثالث خلافة إسلامية في التاريخ الاسلامي، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من درهم ويستفردوا بالخلافة، (132 - 922هـ / 750 - 1517).

2 - القاسمي، المرجع السابق، ص 421 - 422، الدوري، المرجع السابق، ص 185.

3- يُراجع، محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، الدولة العباسية، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط6، 1421هـ - 2000م، ج 1، ص ص 5 - 213، محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط7، 1430هـ - 2009 م، ص ص 18 - 46 علي ابراهيم، المرجع السابق، ص: 114.

4- وأشهرهم أبو سلمة الخلال، الذي دُعي بوزير آل محمد. القاسمي يُفصل في ذلك جيداً: المرجع السابق، ص 427 وما بعدها.

5- يُنظر مثلاً قضية مصرع الخلال على يد أبي العباس، ورفض خالد البرمكي التسمي بالوزير خوفاً على نفسه من مصير سالفه، ومقتل أبي الجهم بالسّم، و أبي أيوب المورياتي، والربيع بن يونس، يُراجع: الدوري، المرجع السابق، ص ص 187 - 190، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص ص 231 - 232، علي ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 116 - 119.

6- فأشتهرت أسرة البرامكة زمن هارون الرشيد مثلاً، حتى قال الخليفة ليحي بن خالد البرمكي: (قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض الأمور على ما ترى وارتفع شأنهم حتى غلبوا على مفاصل الدولة زمن هارون..)، يُنظر، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 188، قويدر بشار، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، أطروحة ماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1985 - 1986، ص ص 47 - 304.

7 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 114.

السيف والقلم الى جانب وظيفته الأصلية¹، وذلك راجع لتمتع المتولي بثقافة وكبيرة، ومؤهلات علمية جليلة.²

وكثيراً ما ألفت الظروف السياسية المتقلبة في الدولة العباسية، بظلالها على منصب الوزارة ضعفاً وقوة³، بل وبُطلاناً⁴ وعُرفت وزارتا التنفيذ والتفويض⁵، وتولاها الموالي وأهل الذمة⁶.

وتقلص نفوذ الوزراء بتقلص نفوذ الخلفاء في أخريات الدولة، (حتى استبد العمال في الأعمال، واستقلوا بالسلطان؛ فأصبحت الوزارة كالخلافة اسماً بلا مسمى، فأسقطوها، وأبدلوا بها إمرة الأمراء، ومنح الخلفاء العباسيون لأمراء الدول المستقلة عنهم، والخارجة عن نفوذهم لقب أمير الأمراء)⁷.

وفي عهد الدولة الفاطمية⁸، تعاضم نفوذ الخلفاء الفاطميين الأوائل¹، على حساب الوزراء الذين لا يقومون إلا بدور المنفذين²، أي تنفيذ أوامر الخليفة، وعدم التصرف في شؤون الدولة من تلقاء أنفسهم، قبل

1- يُنظر وصف ابن خلدون، المقدمة، ص 207.

2 - الدوري، المرجع السابق، ص 192.

3 - خصوصاً لما زاد نفوذ العنصر التركي في الدولة، وصار قادراً على التدخل في صلاحيات التعيين، كما حصل زمن المستعين بالله؛ إذ أبعده الأتراك وزيره أحمد بن الخطيب، وأسندوها إلى أحد قادتهم. يُنظر بقية التفاصيل: حمودة، المرجع السابق، ص 47.

4- لما استولى بنو بويه على بغداد في سنة 334 هـ / 956م، تم إبطال منصب الوزارة ودمجه ضمن صلاحيات تولاها كاتب الأمير البويهى، ثم صارت الوزارة ذات طابع عسكري، وتطورت الوظيفة، حتى صار يتولأها النصارى، صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 233 - 234.

5- وقد تقدم الكلام عن مفهومهما والفروق بينهما.

6- يُنظر عن حكم تولية أهل الذمة الولايات: محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي، كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة، تح، عبد الله إبراهيم بن علي الطريقي، شبكة الألوكة، د ط، دت، ص 10 وما بعدها، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة، تح، يوسف بن أحمد البكري وغيره، رمادي للنشر - الدمام، السعودية، ط1، 1997 - 1418، ص 1379 وما بعدها.

7 - يُراجع كلام مهم عن ذلك عند: سليمان ولد خسال، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء نظام سياسي بين سنة (633 هـ - 922 هـ)، أطروحة ماجستير في أصول الفقه، (مرقونة)، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، ص ص 123 - 125.

8 - هي إحدى دُول الخِلافة الإسلاميَّة، التي كانت رافضية اسماعيلية، قامت في بلاد المغرب ثم انتقلت إلى مصر (296-566 هـ / 909 - 1171م). يُراجع عن ذلك: عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1411 هـ - 1991م، ص 38 وما بعدها.

أن يتغير الوضع؛ على أن أهم ما يُميز منصب الوزارة في العصر الفاطمي هو أن الكثير من الوزراء كانوا من أرباب السيوف والقلم، و إلى جانب تولّي أهل الذمة.³

غير أن الوضع اختلف جذريا في العصر الثاني للدولة، وهو الذي شهد حكاما ضعافا، لم يعد بمقدورهم مواجهة النفوذ المتزايد لوزرائهم، حتى عُرف هذا العصر بعصر الوزراء العظام، ومن أشهر وزراء هذا العصر بدر الجمالي⁴، وهو الذي غيّر في معالم خطة الوزارة، وحوّلها إلى التفويض، واستبدّ على الخليفة الفاطمي، واستأثر هو بكل السلطات. وصار أمر الحرب والسلم، وضبط الميزانية وتعيين الموظفين إليه⁵. وسرعان ما تفجرت جملة من الصراعات عجلت بسقوط الدولة⁶. إذ كان الصراع بين الوزراء مرتبطاً بسقوط الخلافة الفاطمية، وظهور الدولة الأيوبية⁷، على يد وزير الفاطميين صلاح الدين.⁸

وفي العصر المملوكي⁹، ظلت الوزارة قائمة¹⁰، إلا أنه وُضع الى جانب الوزير نائبٌ حال غيابه¹¹، كما ظهر منصب آخر هو (ناظر الخاصة)، الذي قضى على الوزارة في النهاية، وفي ذلك يقول ابن

- 1 - العبادي، المرجع السابق، ص 129.
- 2 - فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 441.
- 3 - كالوزير يعقوب بن كلس، وهو أول من خُوطب منهم بالوزارة. القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 483.
- 4 - والي عكا. وهو من أرباب السيوف. المصدر السابق نفسه، ج3، ص 483.
- 5 - عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 49.
- 6 - علي حسن، المرجع السابق، ص 133 - 135.
- 7 - هي دولة إسلامية نشأت في مصر، على أنقاض الفاطميين، وشملت الشام والحجاز واليمن والنوبة وبعض أجزاء المغرب العربي. (569 - 650 هـ / 1174 - 1252 م). يُراجع عن تاريخها: وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ، ص 9 وما بعدها.
- 8 - آخر وزراء الفاطميين، من أرباب السيوف. القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 483.
- 9 - دولة إسلامية قامت في مصر خلال أواخر العصر العباسي الثالث، بعد سقوط الدولة الأيوبية، وامتدّت حُدودها لاحقاً لتشمل الشّام والحجاز. (647 - 923 هـ / 1250 - 1517 م). يُراجع عن تاريخها: وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ - 1995م، ص 13 وما بعدها.
- 10 - حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 135.
- 11 - عبد الحميد حسين حمودة، المرجع السابق، ص 49.

خلدون: (جاءت دولة الترك بمصر فأروا أن الوزارة قد ابتذلت بترفع أولئك عنها فصارت مرؤوسة ناقصة، فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة..)¹.

وأما بلاد المغرب، (فإنَّ الدول الإسلامية الأولى² التي قامت هناك، لم يظهر فيها لقب وزير)³، إلا إلا في عهد الدولة الأغلبية⁴، حيث اتخذ بعض أمراءها وزراء في دولتهم، مثل الأغلبن بن عبد الله، الذي وُزِّر لأخيه زيادة الله الأول بن الأغلبن، ونصر بن حمزة، وزير أبي العباس محمد بن الأغلبن⁵، وقد كان نفوذ الوزراء ضعيفاً، (حتى كاد لقب الوزير عندهم أن يكون تشريفياً)⁶.

ولما جاءت دولة المرابطين⁷، أعادوا المنصب الوزير مكانته وتميزه؛ فهو الشخص الذي يخصه الحاكم الحاكم بالقرى والزلفى. وكلف الوزير بكتابة الوثائق والمراسيم، بالإضافة إلى دوره الأساسي في الحروب وقيادة العساكر بعد الحاكم.⁸

ووجد صنفان من الوزراء:

وزراء عسكريون: من قادة الجيش، وهم من قرابة السلطان عادة، أو من قبائل متونة وصنهاجة، التي قامت على أكتافهما دولة المرابطين.¹

1- ابن خلدون المصدر السابق، ص: 298.

2 - الأدارسة والرسطيون والمدرايون وبنو غبيد.

3 - العبادي، المرجع السابق، ص 139.

4 - دولة مغربية حكمت منطقة المغرب العربي. (184 - 296 هـ / 800 - 909 م). يُنظر: محمد الطالبي، الدولة الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184 296 هـ 800 909 م، تعر، المنجي الصيادي، مرا، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1405 هـ - 1985م،

5 - يُراجع عن ذلك: ج. ف. ب. هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر، أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980، ص 35 - 36.

6 - العبادي، المرجع السابق، ص 139 - 140.

7 - دولة إسلامية مغربية، قامت على أساس دعوة إصلاحية، وعلى أكتاف قبيلة صنهاجة. (448 - 541 هـ / 1056 - 1147 م). يُراجع عن تاريخها: سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1405 هـ - 1985م، ص 9 وما بعدها.

8 - مغنية غرداين، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين، دراسة مقارنة (ق 5 - 7 هـ / 11 - 13 م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، السنة الجامعية، 1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016 م، ص 168 وما بعدها.

ووزراء كُتاب: وهم الفقهاء²، كما انقسم الوزراء حسب إقامتهم، إلى مركزيين، يُقيمون في عاصمة الدولة مراكش، ووزراء إقليميون، يتبعون للأمرء المحليين على المناطق.³

وفي دولة الموحدين، شغل المنصب السادة من بني عبد المؤمن، أو من أشياخ الموحدين، الذين كانت تجمعهم علاقة القرى أو النسب بالبيت الحاكم، وكان من مهام الوزير: الإشراف على تنفيذ الإجراءات العسكرية، ومحاربة الثوار، والإشراف على الدواوين المالية.⁴

وأرسل الموحدون عقب قيام دولتهم على أنقاض المرابطين مؤسسات جديدة للحكم، عوضت منصب الوزارة، الي اضمحل شأنه، وتمثلت في المجالس التي استُحدثت في بدايات الدولة، على غرار: مجلس العشرين، ومجلس الخمسين. وكانت تتألف من كبار الشخصيات الذين كانوا يجتمعون برئاسة الخليفة للبحث في المسائل الهامة للدولة، أو البت في القضايا الملحة، وهو ما أضعف منصب الوزارة⁵ رغم أهميته؛ إذ شغله عدد من أبناء الخلفاء وإخوتهم من بني عبد المؤمن، الذين كانوا يُعرفون بالسادة، وكان اختصاصات الوزير تنفيذية بحتة، بالإضافة إلى ضمّه لخطي الكتابة والحجابه، والنظر في الحساب والأشغال.⁶

وأما في الأندلس؛ فاختلف الوضع في الأندلس زمن بني أمية ومن خَلَقَهُمْ، إذ كان يُطلق على من يتولى شؤون الوزارة اسم حاجب تارة، واسم وزير أو ذي الوزارتين تارة أخرى.⁷ والظاهر أن معناها

-
- 1 - العبادي، المرجع السابق، ص 152.
 - 2 - ارتفعت مكانة العلماء والفقهاء لدى السلطة السياسية، فاعتمد المرابطون بشكل كبير على آرائهم ومشورتهم مما جعل العصر المرابطي يُعرف بعصر سيطرة الفقهاء. يُنظر للمزيد: أنور محمود زناقي، دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال عصر المرابطين، دورية كان، س7، ع25، دار ناشري، الكويت، يونيو 2014، ص ص 16 - 29.
 - 3 - حمودة، المرجع سابق، ص 50.
 - 4 - عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، ص ص 154 - 158.
 - 5- زعرور إبراهيم محمود، أحمد علي سليمان، مظاهر الحضارة العربية في الإسلام في العصور الوسطى دمشق، منشورات جامعة دمشق، د.ط، 2006م، ص258.
 - 6 - العبادي، المرجع السابق، ص 157 - 158.
 - 7- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج 3، العصر العباسي الثاني في المشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجليل، بيروت، ط 15، 1422هـ- 2001 م، ص: 269.

(مُطابق لمعناها في أيامنا هذه، أي أن يستقل الوزير بمرفق من مرافق الدولة)¹. وبعبارة أخرى (كان وزيراً ممتازاً يتقاضى راتبين، وكان يحل محل الحاجب في غيابه أو عند شغور هذا المنصب)².

ويعود الفضل في إيجاد نظام الوزارة إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط³، وصار في تنظيمه مشابهاً لدرجة كبيرة للمفهوم المعاصر أي: الحكومة ومجلس الوزراء، لكل وزير اختصاصه المنوط به تحت رئاسة وإشراف الخليفة في البداية، قبل أن يتطور الأمر وارتقاء الحاجب - القائم بشؤون الوزارة - إلى الرئاسة فعلياً.⁴

وإلى ذلك أشار ابن خلدون بقوله: (وأما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وافردوا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً، وجعل لهم بيت يجلسون فيه⁵، وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له، وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم، ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم، وخصوه باسم الحاجب، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم، فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب، حتى صار ملوك الطوائف يتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب)⁶، بينما مُنح مرتبة الوزير إلى الطبقة الوسطى في المجتمع يومئذ.⁷

وعليه فقد مرت الوزارة كمنصب سلطاني بالعديد من التحولات والتقلبات، وتداخل الصلاحيات مع غيرها من الخطط، والتي جعلت للمنصب مكانته السامية في نظام الحكم. (على أن الأخطر في كل هذا هو تولي الوزارة وهي ثاني أخطر وظيفة بعد الخليفة أو الملك، من قبل أهل الكتاب من أهل الذمة...)⁸.

2 - التطور التاريخي لمنصب الكتابة الى القرن السابع الهجري (13 م):

- 1 - القاسمي، المرجع السابق، ص 450.
- 2 - أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تق، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1997م، ص 175.
- 3 - وهو أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم، رابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس. (176هـ-238هـ، 792-852م)، 852م)، يُنظر: فوز سهيل نزال، الأمير الأموي عبد الرحمان بن الحكم (الأوسط)، دراسة في نثره وشعره، مجلة دراسات، مج 38، ع2، س2011، الجامعة الأردنية، ص ص 412 - 424.
- 4 - العبادي، المرجع السابق، ص ص 143 - 146.
- 5 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 137.
- 6 - ابن خلدون، المقدمة، ص 229.
- 7 - العبادي، المرجع السابق، ص 151.
- 8 - ولد خسال، المرجع السابق، ص 126.

تعود أسباب ظهور وظيفة الكاتب الى الأثر البالغ لاتساع رقعة الدولة الاسلامية، إذ كان لا بد للخليفة من موظفين ذوي مقدرة وحنكة، يُساعدونه في الادارة والتسيير، وتبين عجز الوزير عن القيام منفردا بجمع ما عُهد إليه من السلطات والمسؤوليات؛ فظهر منصب الكاتب الذي صار من أكبر أعوان الخليفة.¹

فَعُرِفَ مصطلح الكتابة منذ بداية العهد النبوي²، وإن لم يرق إلى صفة المنصب السلطاني. وانتخب النبي صلى الله عليه وسلم نيفا وثلاثين³، من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم، للقيام بأعباء الكتابة بين يديه، خصوصا مع اتساع رقعة الدولة، وما نشأ عن ذلك من الحاجة الملحة إلى تدوين الوحي⁴، ومُخاطبة الجمهور الداخلي والخارجي⁵، في السلم والحرب، والدعوة والسياسة.⁶

ولم يكن بغريب أن تتولى هذه الثلثة الخيرة - مع مرور الوقت - مختلف الوظائف بين الخلافة والامارة والوزارة والكتابة والقضاء والحسبة، نظرا للمقدرة السياسية والبراعة الأدبية، خصوصا لما نشأت خطة الكتابة باستحداث ديوان الانشاء لأول مرة زمن الفاروق رضي الله عنهم. وإن كان الباحث يحتفظ برأي آخر مفاده أن أصل الديوان نشأ زمن دولة المصطفى صلى الله عليه وسلم، بسبب ظروف تأسيس الدولة وتوسعها، وظروف تدوين الوحي و الحكم والدعوة والجهاد والتسيير⁷؛ ومما يدعم هذا الرأي أن عدد الكتب المكتب والمواثيق في العهد النبوي بلغت المائتين وستة وأربعين كتابا (246).⁸

- 1 - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 236، علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 139.
- 2 - الضحيان، المرجع السابق، ص 149.
- 3 - منهم علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم. يُراجع لمزيد التفصيل والاستفادة: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، 1995م، ص 118 - 119.
- 4 - الضحيان، المرجع السابق، ص 147.
- 5 - يُنظر مخاطباته صلى الله عليه وسلم لملوك العالم: محمد حميد الله الحيدر ابادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط6، 1407 هـ - 1987 م، ص ص 75 - 368، علي حافظ بن سالم الوادعي، فقه الدعوة في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، كلية الدعوة، جامعة طيبة، السعودية، العام الجامعي، 1425 - 1426هـ، ص ص 24 - 144. محمد أمين شاکر حلواني، عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم، دار القلم، دمشق، سوريا، د ت، ص 95 وما بعدها.
- 6 - الضحيان، المرجع السابق، ص 148.
- 7 - محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1371 هـ - 1952م، ص ص 155 - 164.
- 8 - أحمد السيد دراج، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية، دعوة الحق، د ط، مكة، 1400 هـ - 1980 م، ص 16، الوادعي، المرجع السابق، ص ص 24 - 144.

فلما جاء زمن الفاروق رضي الله عنه ظهرت مؤسسة الدواوين، لحاجة العرب إلى التنظيم العسكري والإداري والمالي لدولتهم.¹ والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعُمَّال. واللفظ فارسي مُعَرَّب، وفي تسميته ديواناً وجهان²:

أحدهما:

أنَّ كِسْرَى اطلع ذات يوم على كُتَاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم، كأنهم يُحَادِثُونَ؛ فقال: ديوانه - أي مجانين - فسمى موضعهم بذلك، ثم نُقِلَ هذا الاسم إلى كُتَاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحساب.

والثاني:

أنَّ الديوان بالفارسية اسم الشياطين. فسمى الكُتَاب باسمهم لحدقهم بالأمر، ووقوفهم على الجلي منها والخفي، وجمعهم لما شد وتفرق، ثم سُمِّي مكان جلوسهم باسمهم فقيل: ديوان³، وعلى هذا التعريف، فإنَّ اسم الديوان كُتَاب الرسائل، ومكان جلوسهم بباب السلطان. وقد تفرَّد هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الأعمال، وقد يفرد كل صنف منها بناظر على حسب مصطلح الدولة.⁴ ولم يُعْرَف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا خلافة الصّدِّيق رضي الله عنه ديوان بمفهومه كوظيفة لإحصاء الأموال وضبط العطاء. فلما كان زمن عمر رضي الله عنه كثُرَت الأموال الواردة من البلاد المفتوحة، مع رغبة الفاروق رضي الله عنه في تنظيم توزيعها.⁵

واختلف الناس في سبب وضعه له؛ فقال قوم:

سببه (أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه، قدم عليه من البحرين، ومعه مال. فلقي عمر. فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة ألف درهم؛ فقال عمر: أتدري ما تقول؟ قال: نعم. مائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم. فقال عمر: أطيب هو؟ قال: لا أدري!. فصعد عمر المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير؛ فإن شئتم

1 - الدوري، المرجع السابق، ص 161.

2 - شلي، المرجع السابق، ص 99.

3 - الماوردي، المصدر السابق، ص 259 وما بعدها.

4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 232.

5 - الدوري، المرجع السابق، ص 162.

كِلْنَاهُ لَكُمْ كَيْلًا، وَإِنْ شِئْتُمْ نَعُدُّ عِدًّا؛ فِقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْأَعَاجِمَ يُدَوِّنُونَ دِيْوَانًا لَهُمْ. قَالَ: دَوَّنُوا الدَّوَاوِينَ).¹

وقال آخرون:² بل (لَمَّا أَمَرَ عَمْرَ الْفَيْزِيَّ أَنْ يَحْضُرَهُ وَقَدْ بَعَثَ بَعْثًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ: هَذَا الْبَعْثُ قَدْ أُعْطِيَ أَهْلَهُ الْأَمْوَالَ، فَإِنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، وَأَخْلَجَ بِمَكَانِهِ، مَا يُدْرِي صَاحِبَهُ؛ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالْدِيْوَانِ، وَفَسَّرَهُ لَهُ وَشَرَحَهُ. فَوَضَعَ عَمْرَ الدِّيْوَانَ).³

وقال جماعة: بل سببه مال أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين، فاستكثروه، وتعبوا في قسمه، فسموا إلى إحصاء الأموال، وضبط العطاء والحقوق، فأشير على عمر بالديوان، وقيل أنه فعل ملوك الشام يدونون، فقبل عمر.⁴

ولعل هذه الرواية الأخيرة أوضح في سبب التدوين؛⁵ إذ (لم يكن للأموال المقبوضة والمقسومة ديوان جامع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه، بل كان يقسم المال شيئًا فشيئًا؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كثرت المال، واتسعت البلاد، وكثرت الناس، فجعل ديوان العطاء للمقاتلة وغيرهم).⁶

ولما استقر رأي عمر على تدوين الدواوين استخدم الكتاب، وأمرهم أن بترتيب الطبقات وضبط العطاء، فقدموا قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار،⁷ وما بعدها الأقرب فالأقرب، ثم روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق، التقدم في الشجاعة والبلاء في الجهاد.⁸

وفرض العطاء للناس جميعا حتى للأطفال، فقد أمر رضي الله عنه مناديه: (لا تعجلوا أولادكم بالفطام، فإنه يفرض لكل مولود في الإسلام..).⁹

ومن هذا يتبين أن هذا الديوان (كُتِبَ بادئ بدء بالعربية، كما أنه كان يضم الجند وأهل الأعطيات حتى الأطفال، وتلك هي الحادثة الأولى في تاريخ العالم، حيث اضطلعت الحكومة بمسئولية إطعام سكان

1 - أبو عبد الله محمد الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتّاب، المكتبة العربية، بغداد، العراق، ط1، 1357 هـ - 1938م، ص 11.

2 - شلي، المرجع السابق، ص 100.

3 - الجهشيارى، المصدر السابق، ص 11.

4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 232.

5 - شلي، المرجع السابق، ص 100 - 101.

6 - تقي الدين أحمد ابن تيمية، السياسة الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، 1418هـ، ص 35.

7 - الدوري، المرجع السابق، ص 165.

8 - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 84.

9 - أبو يعلى محمد، المصدر السابق، ص 239.

الدولة وكسوتهم). وبقي ديوان الخراج والجبايات بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل: ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية، وكتاب الدواوين من أهل الذمة من الفريقين.¹

ثم تعددت الدواوين في عهد الدولة الأموية، وصارت خمسة دواوين رئيسية وهي:

- 1 - ديوان الجند
- 2 - ديوان الخراج
- 3 - ديوان الرسائل
- 4 - ديوان الخاتم
- 5 - ديوان البريد.²

فأما ديوان الجند فهو الذي يحصر جند كل إمارة وأعطياتهم³، وكل ما يختص بهم؛ فهو يُشبه ديوان وزارة الحربية. وهذا الديوان منذ وضع كان بالعربية. وكان ديوان الخراج ينتظم جميع حساب الدولة من دخل وخرج؛ فهو يُشبه ديوان وزارة المالية.⁴

وأما ديوان الرسائل، ويقوم بتحرير رسائل الخليفة وأوامره⁵ إلى الأمراء والعمال، والإشراف على ما يرد منهم من رسائل في الإمارات المختلفة، وكان بالعربية طبعاً.⁶

وديوان الخاتم، هو الديوان الذي كان يقوم بأنظمة الدولة، فإذا صدر توقيع من الخليفة بأمر من الأمور أحضر التوقيع إلى ذلك الديوان، وأثبتت نسخته فيه، وحزم بخيط، وختم بشمع، مخافة التزوير، وختم بختم ذلك الديوان، وهو يشبه قلم الأرشيف أو السجلات.⁷

وكان الذي حمل معاوية على اختراع هذا الديوان، (أنه أحال عمر بن الزبير على زياد ابن أبيه أمير العراق بمائة ألف درهم؛ فمضى عمر، وقرأ الكتاب، وكانت تواقيعهم تصدر غير محتومة فجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زياد حسابه إلى معاوية، أنكر عليه ذلك، وقال: ما أحلته إلا بمائة ألف، وطلب بها عمر، وحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبد الله، واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم، وولاه عبید الله بن أوس الغساني؛ فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يدري أحد ما فيها، ولا يتمكن أحد من تغييرها)⁸. وكان ديوان الخاتم

1 - شلي، المرجع السابق، ص 101.

2 - شلي، المرجع السابق، ص 101 - 102.

3 - الدوري، المرجع السابق، ص 169.

4 - شلي، المرجع السابق، ص 102.

5 - الدوري، المرجع السابق، ص 170.

6 - شلي، المرجع السابق، ص 102.

7 - الدوري، المرجع السابق، ص 169، شلي، المرجع السابق، ص 102.

8 - الجهشياري، المصدر السابق، ص 15 وما بعدها.

من أكبر الدواوين منذ أن أنشأه معاوية إلى أواسط دولة بني العباس؛ فأسقط لتحول الأعمال إلى الي الوزراء والسلاطين.¹

على أن ختم الرسائل كان معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم²، فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر فقبل له: إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون محتوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقش فيه (محمد رسول الله) وتختّم به أبو بكر، وعمر، وعثمان، ثم سقط من يده في بئر أريس³. وكان لديوان البريد أهمية عظيمة للدولة كما سيتبين لاحقاً.⁴

وكان كاتب الرسائل الأرفع بين زملائه مكانةً، نظراً لاطلاعه على أمور الدولة وأسرارها، وهو ما حثّم على الأمويين اختياره من خاصتهم ومقربيهم عُمر دولتهم⁵، وارتف شأن الكاتب في الدولة، حتى ليُمكننا عد الوزير خلفاً للكاتب الأموي في أواخر عصر بني أمية.⁶

ولعل أهمّ ما يمكن تسجيله كحدث تاريخي مهم بانعكاساته هو تعريب الدواوين من الفارسية والقبطية والرومية⁷؛ إذ لمّا (ولي عبد الملك بن مروان ، فلما كانت سنة 81 هـ، أمر بنقله، وذلك أن رجلاً

1 - شلي، المرجع السابق، ص 102.

2 - المرجع السابق نفسه، ص 103.

3 - يُنظر التعليقات على ذلك: بدر الدين العيني ، عمدة القاري

شرح صحيح البخاري، تص، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، 2001 - 1421، ج2، ص 54 وما

بعدها.

4 - شلي، المرجع السابق، ص 103.

5 - ابن خلدون، المقدمة، ص 205 - 206، ومن أشهر كتبهم يومئذ: زياد بن أبيه كاتب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وسالم كاتب هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب كاتب مروان بن محمد وهو صاحب الوصية المشهورة للكُتاب. صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 237.

6 - المرجع السابق نفسه، ص 230.

7 - زين العابدين موسى الجعفر، الكتابة الرسمية في صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة آداب البصرة، العدد، 56، السنة 2011، العراق، ص 203.

من كُتَّاب الروم احتاج أن يكتب شيئاً فلم يجد ماء فبال في الدواة، فبلغ ذلك عبد الملك، فأدَّبه، وأمر سليمان بنقل الديوان، فسأله أن يُعيَّنه بخراج الأردن سنة، ففعل ذلك وولاه الأردن، فلم تنقض السنة، حتى فرغ من نقله، وأتى به عبد الملك، فدعا بسرحدون كاتبه، فعرض عليه فعَمَّه، وخرج من عنده كئيباً، فلقية قوم من كُتَّاب الروم، فقال لهم: اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم).¹

وأما ديوان العراق فإنَّ (الحجاج أمر كاتبه صالح بن عبد الرحمان، وكان يكتب بالعربية والفارسية²، أن ينقله إلى العربية ففعل؛ وكان ذلك سنة 78 هـ، فشق الأمر على الفرس، وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل، فأبى عليهم؛ فرغم لذلك كتابهم، وكان عبد الحميد بن يحيى الكاتب يقول: لله در صالح ما أعظم منته على الكُتَّاب. ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة إلى الوزير الذي كان له النظر فيه، كما كان شأن بني برمك، وبني سهل بن توجت، وغيرهم من وزراء الدولة).³

وأما ديوان مصر فقد (نُقل إلى العربية سنة 78 هـ. في إمارة عبد الله بن عبد الملك على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك فصرف عبد الله انتناش القبطي، وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص).⁴

وكان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين: السياسية والأدبية، فمن الناحية السياسية أصبحت لغة الدواوين هي اللغة العربية، مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة والمسلمين من غير العرب، بعد أن انتقلت مناصب هؤلاء إلى أيدي المسلمين العرب. ومن الناحية الأدبية أصبحت اللغة العربية لغة التدوين؛ فنقل إليها كثير من الاصطلاحات لفارسية والرومية، وابتدأت تظهر طبقة الكُتَّاب منذ ذلك الوقت.⁵

وبلغت الدولة العباسية شأواً عظيماً من الحضارة، وتعددت مصالحتها؛ فاستحدثت خلفاؤها الكثير من الدواوين التي لم تكن موجودة من قبل، ولكن استدعتها حاجة الدولة وتطورها⁶. وقُدِّم للكتابة ذوو النسب الرفيع و الباع في العلم والثقافة، إذ فرضت الظروف نفسها في تكوين شخصية الكاتب، الذي كثيراً ما استحوذت صلاحياته على منصب الوزير، بالإضافة إلى مهمته الرئيسية وهي: كتابة الرسائل الرسمية

1 - أبو العباس أحمد البلاذري، فتوح البلدان، تح، عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1407 هـ - 1987م، ص 371 - 372.

2 - ابن خلدون، المقدمة، ص 233.

3 - ابن خلدون، المقدمة، ص 233.

4 - شلي، المرجع السابق، ص 105.

5 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 174.

6 - شلي، المرجع السابق، ص 105.

والسياسية الداخلية والخارجية، ونشر المراسيم والقرارات والبلاغات والتراتب الادارية¹. ما يعني قُربه الشديد من مركز القرار السياسي، وهو ما حَتَّم عليه التمتع بالدهاء وقوة الشخصية والنفوذ، إضافة الى المؤهلات العلمية.²

وصار هذا الموظف المهم يُسمى بالوزير تارة³، وتارة الكاتب⁴، ودخل في صلاحياته: (إذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الملك بعد اعتمادها من الملك، ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية وختمها بخاتمه)⁵. ونظراً لكون الكاتب ترجمان الدولة⁶، ولسان حالها مع محيطها، فقد كان اختياره يقوم على أساس البلاغة واللغة والنسب الرفيع.⁷

ومن أهمّ هذه الدواوين التي استحدثتها بنو العباس أو توسعوا فيها:

1 - ديوان الزمام

2 - ديوان الأكرية

3 - ديوان الأحداث والشرطة

4 - ديوان البريد.

وديوان الزمام هو أن الدواوين تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، وهو من أعظم النظم التي أدخلها الخليفة المهدي، وهو يُشبه ديوان المحاسبة اليوم.⁸

وديوان الأكرية كان يُشرف على القنوات، والترع والجسور، وشئون الري، فهو يُشبه وزارة الأشغال في زماننا.⁹

1 - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 237.

2 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 125.

3 - القاسمي، المرجع السابق، ص 432.

4 - صبحي، المرجع السابق، ص 231.

5 - صبحي، المرجع السابق، ص 237.

6 - من أشهر الكتاب في العصر العباسي هو يحيى بن خالد بن برمك والفضل والحسن ابنا سهل وأحمد بن يوسف في عهد المأمون، ومحمد بن عبد الملك الزيات، والحسن بن وهب، وأحمد بن المدبر زمن المعتصم والوائق. صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 237.

7 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 141 وما بعدها.

8 - شليبي، المرجع السابق، ص 105.

9 - المرجع السابق نفسه، ص 105.

وديون الأحداث والشرطة، كان عمله خاصاً بالأحداث التي تقع في الدولة، وواجب الشرطة نحو هذه الأحداث؛ فهو قريب الشبه من وزارة الداخلية في أيامنا.¹

كذلك كانت هناك إدارات خاصة للمحافظة على مصالح غير المسلمين، ويُدعى رئيسها كاتب الجهاز.

ومن ثمَّ يتبين أنَّ النظام الإداري في أيام العباسيين من حيث توزيعه للعمل يُعادل إلى حد كبير النظم الحديثة.²

وكان الكُتَّاب خلال العصر العباسي الأول عرضة للعزل لمجرد رغبة الخليفة، وتغير الوضع مع مرور الوقت فصارت للوزير جميع السلطات، حتى الإشراف على الدواوين.³ أما العصر العباسي الثاني فشهد اضمحلال الكتابة، بسبب تدخلات الأتراك وبنو بويه.⁴

وفي العصر الفاطمي لم يكن هناك اختلاف في الوظيفة بين الوزير والكاتب وصاحب الوساطة⁵، وصاحب الوساطة هو الكاتب يقوم بعمل الوزير إذا ما استغنى عنه الملك وكان يسمى أحياناً صاحب الوساطة.⁶ وكان اعتماد الدولة في دورها المغربي على الصقالبة (على رأس أهم الدواوين المدنية والعسكرية..).⁷

وفي عهد المماليك، أضحى الكاتب من عليية موظفي القصر، (وتغير هذا اللقب إلى كاتب السر⁸)، وهذا المنصب كان يقوم بكتابة وردِّ الرسائل الإقليمية والدولية، فهو تقريباً بمثابة وزير الخارجية اليوم.⁹

1 - شلبي، المرجع السابق، ص 105.

2 - علي ابراهيم، المرجع السابق، ص 176.

3 - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 232 - 233.

4 - زين العابدين، المقال السابق، ص 203.

5 - ولد خسال، المرجع السابق، ص 167.

6 - القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 561.

7 - دشاوي، المرجع السابق، ص 439.

8 - في أيام المنصور قلاوون. ولد خسال، المرجع السابق، ص 167.

9 - زين العابدين، المقال السابق، ص 228.

ويبدو أن تسمية كاتب لم يكن مرغوباً فيها في عهد الأغالبة، وإن اتخذوا موظفاً يعمل عمله، في أواخر دولتهم¹؛ إذ (لم يكن على حد علمنا، ثمة موظف يعرف بالكاتب مجرداً فحسب، بل إن الكلمة لم تستعمل في الاسماء المركبة ككاتب العلامة وكاتب السر. كما كان الحال في الدول الأخرى).²

وكان كُتّاب المرابطين أندلسيين بدون استثناء³، وكان العديد منهم قد ولي الوزارة لدى ملوك الطوائف، على غرار الوزيرين: ابن عبدون⁴، وابن القصيرة⁵.

ولا يرد اسم كاتب واحد من البربر بين أسماء كتاب المرابطين. كما واتخذ المرابطون نُواباً لهم على المغرب والأندلس، وكان هؤلاء النواب يتخذون بطانةً كأمر المسلمين، ومن بينهم الكُتّاب، الذين أبرزهم: محمد بن أبي الخصال⁶، وأبي بكر بن الصائغ⁷. وقد علا شأن الكاتب نظراً لأنه مثّل (همزة الوصل بين أمير المسلمين وعُماله وولاته على مختلف أقاليم ومدن المغرب والأندلس من جهة، وبينه وبين مختلف القوى المحيطة بدولته من ناحية أخرى).⁸

واتخذ الموحدون من يكتب لهم، منذ قيام دولتهم⁹؛ وكانت اختصاصاتهم تنفيذية بحتة، بالإضافة إلى ضمّهم لخطتي الكتابة والحجابه، والنظر في الحساب والأشغال¹⁰، ومن كُتّاب هذه الفترة أبو الربيع سليمان الحضرمي، الذي كان يكتب الرسائل عن إذن الامام المهدي¹¹، وشاركه في الكتابة ملول بن

1 - حمودة، المرجع السابق، ص 55.

2 - هوبكنز، المرجع السابق، ص 49.

3 - هوبكنز، المرجع السابق، ص 50، ويُراجع أسباب ذلك عند: حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1997، الاسكندرية، مصر، ص 271 وما بعدها.

4 - يُنظر: بالثياء، المرجع السابق، ص 118 - 122.

5 - يُراجع طرف من أخباره: ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 516 وما بعدها.

6 - خصّهُ ابن الخطيب بترجمة مطولة، عدّد فيها مناقبه وأوليته في الكتابة. الاحاطة، ج 2، ص 388 وما بعدها.

7 - العباس بن ابراهيم السملاي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مرا، عبد الوهاب بن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، ط 2، 1413 هـ - 1993، ج 1، ص 204.

8 - حمدي، المرجع السابق، ص 271.

9 - حمودة، المرجع السابق، ص 55.

10 - العبادي، المرجع السابق، ص 157 - 158.

11 - هوبكنز، المرجع السابق، ص 51.

ابراهيم الصنهاجي¹. وكان أشهر وأقدم كُتّابهم أبو جعفر بن عطية²، الذي استحوذ على خيال الكتاب ببلوغه منزلة الحظوة عند عبد المؤمن بن علي وبنهايته المفجعة³.

وفي عهد الأمويين بالأندلس، ارتفعت منزلة الكتابة في مؤسسات الحكم، حتى صارت تاليةً لمنصب الوزارة⁴، واستُخدمت كوسيلة لتبليغ السلطة، وإصلاح الأوضاع. واشتهر أعلام في المنصب، وتوارثتها ذريّاتهم من بعدهم، نظراً للدور الذي أدّته هذه الأسر في تثبيت دعائم الحكم الأموي⁵؛ على غرار: الكاتب الوزير حامد الزجّالي⁶، وعبد الملك بن يزيد⁷.

وكانت الكتابة على ضربين:

1 - كاتب الرسائل، ويُعرف متولّيها بالكاتب، ويُشترط فيه، البلاغة والبراعة الأدبية.

2 - كاتب الإمام، ويُعرف بكاتب الجهبذة، ويُشترط فيه ألا يكون من أهل الذمّة⁸.

3 - الحجابة:

لم يُعرف نظام الحجابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وصدراً من زمن أصحابه رضي الله عنهم، كوظيفة معقدة المهام والتنظيم، ذات علاقة بأهبة ومراسيم الملوك⁹. بل وحدّر المصطفى عليه الصلاة

1 - الذي كان يعرف الكتابة بالسريانية والرموزيات... أي أنه كان ساحراً من نوع ما. هوبكنز، المرجع السابق نفسه، ص51.

2 - ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص 194، وص 238.

3 - هوبكنز، المرجع السابق، ص51.

4 - حمودة، المرجع السابق، ص55.

5 - رزقي عبد الرحمان، النظم الإسلامية في الأندلس، الكتابة نموذجاً 316 - 422 هـ / 929 - 1031م، أطروحة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية، 1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 م، ص 56 وما بعدها.

6 - يُنظر طرف من أخباره عند: ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص 94.

7 - يُراجع طرفٌ من أخباره عند: ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 2، ص 373 - 374.

8 - حمودة، المرجع السابق، ص 55 - 56.

9 - ولد خصال، المرجع السابق، ص 148.

والسلام المتولي على الناس، من الاحتجاب عنهم دفعاً لحاجاتهم: (من ولادة الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم، وخلفتهم وفقدهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقده)¹.

غير أنّ النبي عليه الصلاة والسلام، وبعده أصحابه²، كانوا قد يتخذون في مواقف من يحجب أبوابهم أحياناً³. كما في قصة استئذان عمر رضي الله عنه للدخول عليه صلى الله عليه وسلم، في قضية طلاقه لأزواجه من عدمها: (...فقلت لغلام أسود: استأذنْ لعمر، قال: فدخل الغلام، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكرت لك له، فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجده، فجئت، فقلت للغلام: استأذنْ لعمر، فدخل ثم رجع، قال: قد ذكرت لك له، فصمت، فلما وليت منصرفاً إذا الغلام يدعوني يقول: قد أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم...)⁴.

1 - أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح، شعيب الأرنؤوط، ج4، دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، ط خ، 2009 م / 1430 هـ، باب ما يلزم الإمام من أمر الرعية، ص 569، برقم، 2948.

2 - من ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع...). كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً. ص 1558، برقم 6245.

ص 1559، برقم 6245.

3 - الضحيان، المرجع السابق، ص 150.

4 - علاء الدين علي بن بلبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان -

تح، شعيب الأرنؤوط، مج 9، ك الحج، وك النكاح، باب معاشره

الزوجين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414 هـ -

1993م، ص 494.

واستدعت المصلحة الملحة لاحقاً اتخاذ الحجابة، كمنصب نظامي¹ مرافق للأمير أو الملك لاعتبارات أمنية وخوفاً من الاغتيال، ولذلك أقدم معاوية رضي الله عنه بمجرد توليه الحكم، على اتخاذ الحجاب (كارها ومضطراً بعد حادثة الخوارج مع علي وعمرو بن العاص خوفاً ممن ازدحام الناس على بابهِ الذي قد يذهب بحياته).²

واشترط في الحاجب:

- 1- المعرفة بأوقات محجوبه و موعد انبساطه و تجمع الناس منه ، وأن يكون وجهه عنواناً ، ولا يغضب بغضب من غضبٍ ولا برضى من رضى.
 - 2- صحة الرأي ليضع الأمور مواضعها.
 - 3-الرأفة.
 - 4-النزاهة.
 - 5-حسن الإبانة عن توصيل ما يلقي إليه، وتبليغ التوقيع عليه.
 - 6-بسط الوجه مع هيئة الجانب.
 - 7-سلامة الجوارح، من الآفات القادحة في اختياره لتلك المنزلة.³
- واستمر تقديم الحجاب في الدولة العباسية، وعلا شأن المنصب⁴، وكان الحاجب مقرباً من الخليفة، ممّا أهّله إلى تبوأ منصب الوزارة⁵. (فضلاً عن ذلك كان للحاجب في هذه الحقبة حضور المناظرات الفقهية واخذ البيعة والمشاركة أو الإشراف على فتح الخزائن بعد إذن الخليفة والمشاركة مع الجيش عند الحروب ضد الروم والإشراف على ديوان الرسائل هذه المهام كانت تحت سيطرة الخليفة أي كانت الخلافة في أوج قوتها

1 - توفيق سلطان اليزبكي، نظام الحجابة في النظم العربية الإسلامية: دراسة مقارنة 41 - 447 هـ / 661 - 1055م، مجلة آداب الرافدين، ع 22، 1991م، العراق، ص 312 وما بعدها.

2 - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 238.

3 - يُراجع للمزيد: سهيل أحمد أبو لبدة، تطور جهاز الشرطة في صدر الإسلام والعهد الأموي، (1 هـ - 132 هـ / 622 - 750 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ، (مرقونة)، قسم التاريخ والآثار، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية - غزة، 1432 هـ - 2011م، ص 173 وما بعدها.

4 - اليزبكي، المقال السابق، ص 315.

5 - مثلما حصل للحاجب الربيع بن يونس زمن الخليفة المنصور. يُراجع ذلك من ترجمته: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1401 هـ - 1981م، ج7، ص 335 - 336.

لكن بعد إن ضعفت الخلافة وتدخل الأتراك والبويهيون نرى مهام الحاجب قد تجاوزت حتى سلطة الخليفة ونفوذها).¹

وعرفت الدولة اتخاذ الحاجب الثاني؛ فصار بين الناس وبين الخليفة حاجزان: (عبارة عن دارين إحداهما يُقال لها دار الخاصة، والأخرى دار العامة. وكان الخليفة يُقابل كل طائفة بحسب حالاتها وظروفها في مكان معيّن في إحدى هاتين الدارين، تبعاً لإرادة الحُجّاب على أبوابها).²

ومع انحدار الدول في الانحطاط، استحدثت الحاجب الثالث، ليحجب السلطان عن الناس حجبا عاما تاماً... (ومن هنا علت مرتبة الحاجب بتعاقب الأيام، حتى أضحى مستشار الخليفة في جميع الشؤون المهمة، وفي مختلف اتجاهات الدولة ومرافقها الحيوية. وقد استطاع الأقوياء من الحُجّاب أن يُضعفوا من قوة الوزراء عند الخلفاء، إذ كانوا يستبدون بالأمر ويجولون دون تنفيذ أي قرار لا يوافقون عليه برضى واختيار...).³

وكان لقب الحجب في الدولة الأغلبية شرفياً، ليس له من السلطة والنفوذ ما يُحوّله لعب أي دور سياسي.⁴ ومن بين من تولى المنصب عسكريون، على غرار: محمد ابن قرهب⁵، والحسن ابن ناقد، وأبو المقارح حسن بن نافذ.⁶

ولم تُغفل الدولة الفاطمية منصب الحجابة منذ قيامها، وأغلب من تولّاها كانوا من قادة الحملات الحربية البرية والبحرية، ومن أبرزهم: أبو أحمد جعفر بن عبيد، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماسي. كما ارتقى الصقالبة في المراتب الحكومية في العهد الفاطمي، حتى شغلوا الحجابة، واشتهر منهم ثُجبة معتبرة، على غرار: كأبي الفضل جعفر بن علي، وأبي الحسن طيب بن إسماعيل المعروف بالخادن.⁷

1 - يُراجع للمزيد: ضياء يوسف معروف، الحجابة في الدولة العباسية حتى نهاية العصر البويهي، مجلة آداب البصرة - كلية الآداب - جامعة البصرة - العراق، ع53، 2010م، ص 155 وما بعدها.

2 - صبحي الصالح، المرجع السابق، ص 239.

3 - المرجع السابق نفسه، ص 239.

4 - هوبكنز، المرجع السابق، ص 53.

5 - النويري، المصدر السابق، ج24، ص71.

6 - ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 140.

7 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 159.

واتخذ المرابطون الحاجب، وضمُّوا صلاحياته للكُتَّاب والوزراء، نظراً للبساطة التي ميزت الدولة، خصوصاً بداياتها، واقتصرت مهمة الحاجب على تنظيم الدخول على الأمير، على أنَّ ذات المنصب سيُعرف استقلالية في الممارسة مع تطور الدولة الحضاري.¹

واتخذ الموحدون حُجاباً، اعتُبروا بمنزلة الوزير الأول، أو الموظف السامي ذي القدر والهيبة، وقيل: بل رئيس الخاصة الملكية؛ وعموماً وفقد كان غالبيتهم من العبيد أو الموالي.²

وعُرف في فترة الخلافة الأموية بالأندلس، (نوعٌ من الحجابة مماثلاً لنظام الحجابة الذي كان سائداً في المشرق، وهو حجابة السلطان عن العامة، وغلق بابهِ دونهم، أو فتحه على قدره في مواقيته)³. ولم يكن نشوؤه مصادفة بل كانت له جذورٌ تاريخية عميقة ترجع في أصولها إلى النظم الإسلامية في المشرق، (فلما قامت الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمان، الداخِل سنة 138 هـ / 755م، عمل على نقل النظم والرسوم العربية الإسلامية التي كانت مُتبعةً في المشرق ومنها نظام الحجابة)⁴.

وارتفعت منزلة الحاجب الأندلسي، وتعددت مهامه وصلاحياته⁵ (فكان الحاجب بالأندلس يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بين الخليفة والوزراء ومن دونه...وبذلك أصبح الحاجب في الأندلس يفوق في مركزه الوزير في المشرق من حيث المكانة والنفوذ، ولا يُسمح بمقابلة الخليفة إلا بواسطة الحاجب)⁶.

ولعظم المكانة والنفوذ والأعمال الجليلة التي قام بها بعض الحجاب والوزراء في الدولة بالأندلس، فقد كادت وظيفتا الحجابة والوزارة تصبِحان وراثيتين في بعض الأسر⁷، ومنذ أن دبَّ الضعف بالدولة الأموية، (أخذ نفوذ الحاجب يقوى شيئاً فشيئاً، حتى استبد بكل أمور المملكة دون الخليفة، وصار اختصاصه يشمل

1 - أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، تاريخ الوزارة في الأندلس (138-897 هـ / 755-1492 م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 169 - 170.

2 - هوبكنز، المرجع السابق، ص 56 - 58.

3 - أماني عادل عطا السليحات، الحجابة في الأندلس ودورها الوظيفي، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م، ص 34.

4 - اليوزيكي، المقال السابق، ص 319.

5 - آمنة محمود عودة الذيابات، الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2000م، ص 59 وما بعدها.

6 - اليوزيكي، المقال السابق، ص 320 وما بعدها.

7 - كأسرة المغيث الرومي وابنه شهيد، وبنو أبي عبده، وبنو حدير، وبنو عامر... اليوزيكي، المقال السابق، ص 322.

الشؤون المدنية والعسكرية¹ . ومن أبرز الحُجَّاب الأقوياء في الأندلس: جعفر بن عثمان المصحفي²، ثم المنصور بن أبي عامر، وأبناؤه من بعده، وهذه الأسرة هي التي كان لها شرف خلافة الأمويين بعد انهيارهم³ ردها من الزمن.⁴

وحرص ملوك الطوائف في الأندلس، على حمل لقب الحاجب، إلى جنب استخدام الألقاب التشريفية⁵ الفارغة المدلول، في ظلّ الانحطاط السياسي ؛ مثل: ذي الوزارتين، وذي الرياستين، وذي المجدين، المجدين، مُضافة إليها (ألقاب الملك والسلطنة والخلافة).⁶

وهكذا! تبين بعد العرض المتقدم المسار الطويل الذي مرت به الوظائف السلطانية الثلاث: الوزارة والكتابة والحجابه، وكيف أنّها شكلت للحكم عضداً وركناً شديداً؛ لولا أنّها تحولت عن مسار التنفيذ إلى القهر والاستبداد والتفويض. وكيف أنّه حصل تداخل بين صلاحياتها حسب طبيعة المكان والزمان والمتولين.

- 1 - العبادي، المرجع السابق، ص 149.
- 2 - يُنظر: وهراي قدور، رسوم وتقاليد تعيين الحُجَّاب بالأندلس في العهد الأموي (138 - 422 هـ - 756 - 1031م)، مجلة الحوار المتوسطي، ع7، ديسمبر 2014م، جامعة بلعباس، ص ص 117 - 131.
- 3 - يُراجع عن ذلك: يوسف أحمد بن ياسين، نهاية الخلافة الأموية في الأندلس قراءة في المجريات والأسباب، 414 - 422 هـ / 1023 - 1031 م، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 38 ، ع 1، 2011م، الأردن، ص 112 وما بعدها.
- 4 - علي أحمد عبد الله القحطاني، الدولة العامرية في الأندلس، دراسة سياسية وحضارية (368 - 399 هـ / 978 - 1009 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية، 1401 هـ - 1981 م، ص 17 وما بعدها.
- 5 - السامرائي، المرجع السابق، ص 168.
- 6 - العبادي، المرجع السابق، ص 151.

الفصل الثالث: الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى التاسع الهجري)
13 - 15م).

1 - الوظائف السلطانية في الدولة الحفصية.

2 - الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية.

3 - الوظائف السلطانية في الدولة المرينية.

4 - الوظائف السلطانية في الدولة النصرية.

أ - الوزارة.

مواصفات اختيار الوزير.

مهام الوزير.

ب - الحجابة.

مواصفات اختيار الحاجب.

مهام الحاجب.

ج - الكتابة.

مواصفات اختيار الكاتب.

مهام الكاتب.

لقد عرف القرن السابع الهجري (13 م) أحداثا سياسية خطيرة، يأتي على رأسها تضعف دولة الموحدين؛ بينما ارتفع شأن أعوانهم وعمالهم، لدرجة أنهم استطاعوا المساهمة والاستفادة من سقوط دولتهم، فقاموا بتأسيس دولهم الخاصة، وعمدوا إلى بناء نُظُمهم الخاصة في الحكم، وإن كانت تتقاطع تشابها مع الموحدين. حيث الوزير ساعد السلطان، فالحاجب، فالكاتب، مع تداخل كبير في الصلاحيات، نظراً لظروف الزمان والحكم؛ وارتفاع شأن الموظفين، فبين تنفيذ، ثم تفويض فاستبداد.

1 - الوظائف السلطانية في الدولة الحفصية:

أ - الوزارة:

ظَلَّت الوزارة ثانية الأهمية بعد مشيخة الموحدين؛ فلما كانت الدولة الحفصية شُعبَةً من دولة الموحدين¹، لم يكن بغريب أن تتطابق أنظمتها، وتقاليدها السياسية الموروثة². فاستمرت مشيخة قبائل الموحدين، في أداء دور سياسي بالغ الأهمية³، وهم الذين على أكتافهم، قامت الدولة، مثل: هرغحه⁴، وهنتاتة⁵، وأهل تينمال، وجنفيسة، وهسكورة، وهم جميعاً من المصامدة⁶.

وكان شيخ الموحدين منعوتاً رسمياً بالشيخ المُعظم، كأنه نائب، ورئيسٌ للوزراء في الدولة⁷، ووزيراً أكبر، يأتي مباشرة بعد السلطان، فيُعوض غيابه في مختلف المناسبات، لا سيما عندما يتعد عن عاصمته⁸، وكان مُعيناً من السلطان⁹ مدى الحياة، وكان من صلاحياته تويي عرض الموحدين وأموالهم. وتقدم الرأي والمشورة¹⁰.

بل وقد يُكلف الشيخ (بأسمى الخطط الحكومية مثل وزارة الجند أو الحجابة...)¹¹، وأما الوزير، فإن كان من غير الموحدين¹²، فليس له في الغالب (كثير أمر ولا وضع ولا لسائر الوظائف إلا الأسماء

-
- 1 - العبادي، المرجع السابق، ص 179.
 - 2 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 1، ص ص 49 - 54، المطوي، المرجع السابق، ص ص 17 - 151.
 - 3 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 48.
 - 4 - التي ينتمي إليها ابن تومرت.
 - 5 - قبيلة الحفصيين. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 115.
 - 6 - العبادي، المرجع السابق، ص 182.
 - 7 - المراكشي، المصدر السابق، ص 423، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص ص 360 - 364.
 - 8 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 54.
 - 9 - حظي الوالي الحفصي - قبل الاستقلال - بشخص قوي النفوذ، يقوم بشبه دور الوزير الأكبر، مثل: ابن نخيل في مدة ولاية عبد الواحد، ولكنه لم يكن يحمل سوى لقب متواضع خال من كل النعوت، ألا وهو الكاتب. العبادي، المرجع السابق، ص 182 - 183.
 - 10 - ابن خلدون، المقدمة، ص 230.
 - 11 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 49.
 - 12 - حتى أنه يُؤمر بالوقوف في المجلس الذي يكون فيه السلطان وثلاثة من شيوخ الموحدين جلوساً. الفلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 144.

1. وانحصرت الوزارة حسب طبيعة المهام، في ثلاثة أصناف واختصاصات، وهم على التوالي، حسب أهميتهم: وزيرٌ للجند، ووزيرٌ للأشغال²، ووزيرٌ للفضل³.

وغير بعيد أن يكون هو المنفذ الذي ذكره ليون الافريقي لما وصف أعوان السلطان: (ويأتي بعد الملك الشخص الذي يحتل أعلى مرتبة ويسمى المنفذ، وهو كنائب الملك في حكم المملكة، يعرض على الملك جميع القضايا الإدارية التي أنجزها، ويعين الموظفين في مناصبهم بموافقة الملك، ويطلع على جميع التفاصيل المتعلقة بمؤلاء الموظفين، وعلى النفقات العسكرية).⁴

مواصفات اختيار الوزير:

القربة القبلية، إذ كان أشياخ القبائل الموحدية، يُعاونون السلطان الحفصي في الحكم، في صورة (مجالس العشرة والخمسين التي كانت تحيط بالسلطان وتكون مشورته، وكان يرأسهم واحد منهم يُسمى بشيخ الموحدين أو الشيخ المعظم، لسمو مكانته وارتفاع شأنه، وهو وزير الرأي والمشورة عند السلطان)⁵، وفي حالة العكس، وهي حالة استثنائية، (كان لا يجلس مع أولئك الشيوخ أثناء الجلسات السلطانية، ولكنه كان يقف بجانبهم)⁶، كخبر عائلة بني أبي هلال الهنتائية⁷، زمن المستنصر الحفصي، وشيخ الدولة محمد المزدوري⁸، الذي أخذ البيعة للسلطان

الحفصي أبي يحيى اللحياني.⁹

الثقة والكفاءة. ولا أدلّ على ذلك، من استعانة الحفصيين، بالعنصر الاندلسي المهاجر¹، في إدارة الدولة، معتمدين على الكفاءة لدى نخبتهم المهاجرة²، كابن الابار³ وابن عميرة⁴، وغيرهم.⁵

1 - شهاب الدين ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010، ج4، ص 77.

2 - المعروف بصاحب الأشغال أو وزير الأشغال (المختص بالحسبان ، ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج وحساب ، ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط). ابن خلدون، المقدمة، ص 241.

3 - العمري، المصدر السابق، ج4، ص71.

4 - الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تح، محمد الحجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص78.

5 - العبادي، المرجع السابق، ص 182 - 183.

6 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 54.

7 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 434.

8 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 475.

9 - العبادي، المرجع السابق، ص 183.

مهام الوزير:

التكليف بمهام خطيرة كوزارة الجند أو خطة الحجابة أو هما معاً⁶، كخبر شيخ الدولة أبي سعيد عثمان بن محمد الهنتاتي المعروف بالعود الرطب⁷، هذا ولم يقل نفوذ شيوخ الموحدين (إلا في عهد الواثق، فقد تضاءل دورهم العسكري بالفعل)⁸. واستطاعوا استرجاع مكانتهم زمن أبي بكر (بصورة محسوسة، من خلال ارتقاء أحد ذويهم، وهو ابن تافراجين⁹، إلى المباشرة الفعلية لشؤون الدولة)¹⁰، كما ويُشرف على موكب التنصيب للسلطان الجديد، لا سيما بالنسبة إلى البيعة الخاصة (أحد كبار رجال الدولة من أقرباء السلطان، أو شيخ الموحدين، أو أحد الوزراء من ذوي النفوذ القوي...)¹¹.

الإشراف - كذلك - على كافة شؤون الجند والحروب، والمعدات والتجهيزات القتالية، بل والطعام المعد للجند من ناحية كمّته ونوعه¹²، ومرافقة السلطان في صلاة الجمعة، فيتقدم (بين يديه في ساباط، يخرج هناك للجامع، عليه باب مُذهب سلطاني، والوزير لا يخرج معه من هذا الباب، بل يسبق فيفتح الباب، ويخرج السلطان منه وحده)¹³.

- 1 - عمارة محمد، المرجع السابق، ص ص 64 - 97.
- 2 - عزرودي، المقال السابق، ص ص 50 - 52.
- 3 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 116.
- 4 - (الأديب الكاتب المجيد...رئيس الأدباء، وكبير العلماء، وعلامة عصره المتفنن...) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 122 - 123.
- 5 - العبادي، المرجع السابق، ص 184.
- 6 - العبادي، المرجع السابق، ص 183.
- 7 - يُنظر الخبر عنه وعن مهلكه: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 430 وما بعدها، الزركشي، المصدر السابق، ص 26.
- 8 - سبطي، المرجع السابق، ص ص 78 - 79.
- 9 - ابن الخطيب، اللحمحة، ص 115.
- 10 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص ص 48 - 51.
- 11 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 19.
- 12 - العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 81.
- 13 - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 70.

ومن أهمية المنصب أن وزير الجند كان أول من يستدعيه السلطان الحفصي لتقديم تقاريره عن الجيش.¹

الإبلاغ الشفهي لأوامر السلطان في مجلسه (فإذا أمر السلطان بأمر بلغه وزير الجند لآخر واقف وراءه وبلغه الآخر لآخر إلى أن يسمع الأمر السلطاني من خارج الباب وينقله أناس عن أناس).²
الاضطلاع بإنفاذ الأوامر التي لا يُحتاج فيها لتوقيع السلطان، فيُدوّن اسمه. وتُسمى علامة صُغرى³، وهذا (طوال القرن الأول من العهد الحفصي تقريباً، كان وزير الجند هو الذي يقوم بصفتها تلك وفي الواقع، بدور رئيس الحكومة الحقيقي).⁴

الإشراف على نفقات الدولة، ومداخيها، (فينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج، ويحاسب ويستخلص الأموال ويعاقب على التفريط)⁵، وهو الذي صار معروفاً بالأمين، (الذي يستلم المال من الجبّاة، ويدفعه إلى أصحاب بيت المال).⁶

وقفات عن الاستبداد وصراع النفوذ:

عرفت العلاقة بين السلطان وأعوانه، تجاذبات حسب أحوال الملك والمتملك؛ (فاختلقت العلاقة بين السلاطين الحفصيين ووزرائهم، من حين إلى آخر، ومن سلطان إلى آخر، وذلك حسب قوة السلطان وضعفه، فقد تكون علاقة تعظيم واحترام وطاعة أو قد تكون علاقة مشينة يصبغها الغدر والخيانة والتمرد...).⁷

وقد اشتهرت أخبار أبي زكريا المؤسس، وسيطرته على الوزراء⁸، حتى كانوا يخشون سطوته، لأنه كان يعمل على إصلاح أحوالهم، وعزل المفسدين منهم، على غرار نقبضه على وزيره ميمون بن موسى⁹ بسبب ثرائه الفاحش، واستصفى أمواله ونفاه، واستبدله بأبي يحيى ابن أبي العلاء ابن جامع¹⁰. وكالأخبار التي

¹ - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 81.

² - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 68.

³ - القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، ص 148، الزركشي، المصدر السابق، ص 33.

⁴ - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 54.

⁵ - ابن خلدون، المقدمة، ص 241.

⁶ - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

⁷ - محمد محمد أحمد إسماعيل، الوزارة في أفريقيا في عهد الدولة الحفصية، ط 1، 2016، ص 65.

⁸ - يُنظر وصف ابن قنفل له ولدولته، المصدر السابق، ص 112-113.

⁹ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 382.

¹⁰ - الزركشي، المصدر السابق، ص 25-26.

صاحبت تمكن المهاجرين الأندلسيين في عهد المستنصر، من الإمساك بزمام الحكم¹، ومزاحمة الموحدين²، بمباركة سلطانية³، غير أنّ الوزير محمد بن أبي مهدي الهنتاتي⁴، حاول أن يستحوذ على السلطان، وسعى لفرض الوصاية عليه، واقصائه من الحكم، والقضاء على العنصر الوافد، لكن الثورة فشلت وانتهت بمذابح في صفوف قرابة السلطان وبموافقته⁵.

وكخبير الوزير سعيد بن أبي الحسين الأندلسي⁶، الذي كان ذا حظوة عند المستنصر، فكان وزيره ومستشاره الخاص⁷، واستمر في نفوذه حتى بعد وفاة المستنصر، بمبايعة ابنه يحيى الوائق⁸، والسيطرة عليه، حتى تدخل يحيى بن عبد الملك الغافقي، المعروف بابن الحبير الأندلسي⁹، وتمكن من كسب ود السلطان الجديد، وإيغار صدره على وزيره ووزير أبيه، فأمر بسجنه، ثم قتله ومصادرة أمواله¹⁰. وتحول السلطان الى لعبة بيد ابن الحبير، الذي صار هو الحاكم الفعلي للمملكة¹¹.

وقد بلغ من تحكم ابن الحبير بالوائق، ما لم يبلغه أحدٌ قبله، فأذّلّ الموحدين¹²، وجعل أخاه إدريس على أشغال بجاية¹³، ولم يستطع تخليص الموحدين منه إلا السلطان أبو إسحاق إبراهيم، حيث تمكن من خلع الوائق، وقتل ابن الحبير الأندلسي¹⁴.

ويُعد تولي أبي العباس أحمد - الثاني -، في سنة 772 هـ / 1371 م¹ الحكم، نقطة تحول في تاريخ استبداد الوزراء والحجّاب، إذ استطاع أن يتخلص من الوزراء المستبدين، وأعاد الهدوء

- 1 - محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، الأصالة، ع 26، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، ص 60 وما بعدها.
- 2 - عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص 791.
- 3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 432.
- 4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 402 وما بعدها.
- 5 - المطوي، المرجع السابق، ص 176 - 177.
- 6 - يُنظر وصف ابن قنفذ له بالتقدم والكفاءة، والذكاء، مع شدة البأس... المصدر السابق، ص 133.
- 7 - سبطي، المرجع السابق، ص 71، إسماعيل، المرجع السابق، ص 79 - 80.
- 8 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 134.
- 9 - أو الحبير، ويُنظر وصفه عند ابن قنفذ بالعجلة والاستبداد... المصدر السابق، ص 134 - 137، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص 74 وما بعدها.
- 10 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 135.
- 11 - سبطي، المرجع السابق، ص 71.
- 12 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 134 - 135.
- 13 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 434 - 435.
- 14 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 135 - 143، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 555 - 556.

والطمأنينة². وتمكن هذا السلطان الحفصي من إقصاء كل وزير مستبد، كاعتقاله ابن تافراجين - الابن -، وسجنه حتى مات 778 هـ / 1376 - 1377³. ولما تولى أبو فارس ابن أبي العباس (سيطر على وزرائه وجعلهم موضع تنفيذ لقراراته، حيث رتب أحوال البلاد، وأعطى الأموال، وأخذ بالشدّة والحزم في دولته، وجعل كل وزير على خطته التي تتناسب معه ويصلح لها، فاستقامت الأمور على أحسن وجه)⁴. واستمرت حالة السيطرة السلطانية على الوزراء، وحرمانهم من أيّ استبداد بالحكم، في ظلّ توالي سلاطين عظماء للدولة الحفصية، كانت لهم القوة الكافية على مقاليد السلطة؛ فأصبح وزراءهم وزراء تنفيذ⁵، حتى دخلت الدولة آخر مراحل عمرها وانهارت.⁶

وخلاصة القول!:

أنّ طبيعة العلاقة بين الوزير والسلطان، (كانت قائمة على قوة السلطان، فالسلاطين الأقوياء، رضخ لهم الوزراء، وقاموا بتنفيذ سياستهم، على أكمل وجه، وكان السلاطين العظماء، ييطشون بكل وزير، يحاول أن يخلع ثوب الطاعة والولاء، فكانت نهايتهم القتل وتصفية أموالهم، وعلى العكس من السلاطين

1 - شهدت المرحلة التي سبقت توليه الحكم، أحداث عنف وضعق وتقاتل وتفكك الوحدة السياسية والترايبية للملكة، واستبداد الوزراء والحجاب: فخلفه تولى أبو محمد عبد الله بن أبي حفص في سنة 694 هـ / 1295م، الى مقتله في سنة 694 هـ / 1295 م، ثم أبو البقاء خالد في 709هـ/1310 المقتال في 711هـ/1312م بيد أبي يحيى زكريا بن اللحياني، ثم خلعه أبو بكر بن أبي زكريا، ثم تولى الحكم أبو ضربة من سنة 717 - 718هـ/1317 - 1318م، ثم خلعه أبو بكر بن أبي زكريا الى وفاته في 747هـ/1346م فخلفه ابنه أبو حفص عمر، ليخلعه أخوه أبو العباس أحمد، قبل أن يتمكن عمر من قتله واستعادة الحكم... ثم تولى أبو العباس الفضل لكن وزيره خلعه وقتله في 751هـ/1350م منصبا مكانه ابا اسحاق ابراهيم الصبي، ثم ابنه أبو البقاء خالد، الذي توفي غريقا. يُنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 433 - 554، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص ص 143 - 178، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص ص 83 - 109.

2 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 177 وما بعدها، الزركشي، المصدر السابق، ص 106 وما بعدها.

3 - ابن الشماخ، المصدر السابق، ص 110.

4 - إسماعيل، المرجع السابق، ص 83.

5 - إسماعيل، المرجع السابق، ص 84.

6 - مرحلة القوة التي بدأت بحكم أبي العباس أحمد - الثاني - في سنة 772 هـ / 1371 م، مروراً بالسلطان أبي فارس عبد العزيز، من سنة 796 هـ / 1394م، الى سنة 837 هـ / 1433م، وأبي عبد الله المنتصر، إلى وفاته في سنة 838 هـ / 1435 م، وانتهاء بحكم أبي عمرو عثمان إلى وفاته في سنة 893 هـ / 1488م. ابن الشماخ، المصدر السابق، ص ص 108 - 133، الزركشي، المصدر السابق، ص ص 167 - 168، المسعودي، المصدر السابق، ص

الضعاف، أو السلاطين الصغار الصبية، حيث استبد الوزراء بالسلاطين، وأصبح السلاطين العوبة في يد الوزراء، وصارت كل أمور الدولة في يد الوزراء والحجاب، وسيطروا على أموال البلاد، وتحكموا في العباد وبلغت الدولة في عهدهم أشد الانحطاط).¹

ب - الحجابة:

اتخذ بنو حفص - في البداية - قهرماناً قائماً بباب السلطان، يُنفذ أوامره ورغباته، ويحرص على توفير متطلبات حياة القصر²، لا سيما مع اتساع رقعة الدولة ملكه، وكثرة من في القصر من المرتزقة³. وهو ما يحتاج فيه السلطان لشخصية قريبة منه وأمينه آمنة. واستمر الأمر على ذلك، وعرفت صلاحيات هذا الحاجب القهرمان تطوراً، عندما أُضيف (إليه كتابة العلامة على السجلات، إذا اتفق أنه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوا غيره)⁴. والحقيقة أن الملامح الحقيقية لمهمة الحاجب، بدأت تلوح في زمن المستنصر، حين أضاف إلى حاجبه **أبي القاسم بن الشيخ**⁵، (مهمة استقبال الرعية وإدخالهم عليه)⁶، وإن كُنَّا لا نعارض فكرة استجلاب الوظيفة من الاندلس، وارتباط ظهور الوظيفة بمفهومها المتكامل، بفترة حكم أبي اسحاق ابراهيم الأول⁷، الذي عاش حيناً بالاندلس قبل وصوله إلى العرش، (فإننا لا نخشى الخطأ إذا ما نسبنا ذلك التجديد إلى التأثير الأندلسي...)⁸. عرفت الحجابة كوظيفة سياسة، تطوراً نوعياً مع مرور الوقت، (فصار متوليها رئيساً للوزراء، وحلَّ محل وزير الجند، وشيخ الموحدين من حيث الاختصاص، أو بمعنى آخر صار شيخ الموحدين يلقب بالحجاب)⁹.

مواصفات اختيار الحاجب:

- 1 - إسماعيل، المرجع السابق، ص 67، ص 78.
- 2 - يصفه ابن خلدون بأنه: (بمثابة قهرمان خاص بداره ينظر في أحواله ويجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والإصطبلات وغيرها...). المقدمة، ص 241 - 242.
- 3 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 57.
- 4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 241 - 242.
- 5 - وهو تلميذ الكاتب الأندلسي الشهير ابن عميرة.
- 6 - سبطي، المرجع السابق، ص 84.
- 7 - فهذه الوظيفة لم تظهر في الفترة الفاصلة بين عهد أبي زكرياء وعهد الواثق.
- 8 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 54.
- 9 - العبادي، المرجع السابق، ص 194.

الثقة العمياء، والولاء التام للسلطان. كخبير الحاجب ابن غمير، زمن السلطان أبي بكر وتفانيه في خدمة الدولة. والتمتع بالخبرة العسكرية، والمهارة الادارية والتفاني في خدمة الدولة¹، كخبير حجابة العليج ظافر الكبير²، زمن السلطان أبي بكر.

مهام الحاجب:

الاشراف على شؤون القصر الداخلية، (يجريها على قدرها وترتيبها، من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرها)³، وحصر الذخيرة، وتوفير الموارد المالية لتغطية نفقات القصر من خلال الجباية.⁴

وصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرتب كلهم. ثم جُمع له في آخر الدولة السيف والحرب، ثم الرأي والمشورة⁵، كخبير ابن تافراكين، الذي خرج في حملة عسكرية⁶ في سنة 753 هـ /1352م؛ حيث انهزم الحاجب.

وصار للحاجب زمن الاستبداد العلامة، فيرسم للكاتب إمضاء كتابه، ذلك بخط يصنعه، ويتخير له من صيغ الإنفاذ ما شاء، فيأتمر الكاتب له، ويضع العلامة المعتادة. وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائماً على نفسه، فيرسم الأمر للكاتب ليضع علامته.⁷

من صور استبداد الحاجب:

ارتفع شأن الحجابة وتمويلها في الدولة، حتى وصلت درجة الاستبداد على السلاطين حال الضعف، فتحكم الحُجَّاب سياسة الدولة الداخلية والخارجية، وبالقصر وساكنه، وجزوا عليها ويلات الحروب، وشرورو الانقسام، وآثام اراقه الدماء، وهو ما وضحه ابن خلدون في وصفه للوظيفة: (واستمر الأمر على ذلك، وحجب السلطان نفسه عن الناس... ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر

1 - المطوي، المرجع السابق، ص 336.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 462.

3 - ابن خلدون، المقدمة، ص 230

4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 230

5 - ابن خلدون، المقدمة، ص 231.

6 - لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 64 - 65.

7 - ابن خلدون، المقدمة، ص 235.

منهم...).¹ وإنَّ تتبعاً لأخبار الدولة، يُعطينا وقفات وأمثلة سريعة ودقيقة، عن حال الحجابة وتحويلها إلى منصب خطير الشأن:

دفع الحاجب ابن سيد الناس² حياته نتيجة للسَّعَايات، بعد أن رُشح أبو فارس عبد العزيز لولاية العهد، وكان قبلُ حاجبه الأمين³، فحسدته بطانة والده أبي اسحاق السلطان، وأرادوا التعجيل بالفتك به، قبل تولي عبد العزيز؛ فأغروا السلطان بابنه وحاجبه⁴!، فاعتذر السلطان لابنه، بينما فتك بالحاجب البريء 669 هـ / 1271 م⁵. وتظاهر الوالد بالحزن، لحزن ولده على مقتل حاجبه، مُدعيّاً أنه كان يسعى لقلب نظام الحكم، ولازال يسترضيه حتى عقد له على بجاية أميراً مستقلاً عليها، فسافر عبد العزيز رفقة حاجبه الجديد محمد بن أبي الحسن بن خلدون⁶. ولما حصلت فتنة الدعوي، واستولى على مقاليد الدولة، عيّن في خطة الحجابة أبا القاسم أحمد بن الشيخ⁷. وبعد قضائه على ثورة الدعوي في 683 هـ / 1284م، سلك عمر الحفصي، سياسة التسامح وعدم الانتقام، ممن كان في سلك الدعوي، فعفا عن الفقيه أبي القاسم بن الشيخ، حاجب الدعوي، الذي اختفى خوفاً من التنكيل به، وأرسل السلطان له على لسان الوسيط يقول أن: (حاجتنا إليه أعظم من حاجته إلينا...)، فعفا عنه، ولازم أبو القاسم خدمته عشر سنين⁸.

- 1 - ابن خلدون، المقدمة، ص 231.
- 2 - يُنظر تعريفاً بأصل هذا البيت، وأنه من اشبيلية، هاجر أعلامه فيمن هاجروا بعد توالي سقوط المدن الاندلسية... عمارة محمد، المرجع السابق، ص 75 وما بعدها.
- 3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 437.
- 4 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 138.
- 5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 438.
- 6 - جد عبد الرحمان. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 438.
- 7 - أصله من دانية بالأندلس، قدم بجاية في 626 هـ / 1229 م، ووفاته 694 هـ / 1295م. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 444 - 455.
- 8 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 146.

ولما تولى السلطان أبو عصيدة على بلاط تونس¹، عمل صاحب بجاية أبي البقاء خالد²، على الإصلاح، ولمَّ شمل المملكة، رغم السعاعات في تونس، التي ظلَّت تُحرض بني مرين، على احتلال بجاية، بينما تمسك أبو البقاء خالد بالإصلاح، وعمل على التقارب مع أبي يعقوب المريني لإضعاف شوكة تونس³، وتهيأت بذلك الظروف لمحاولة أخرى للإصلاح⁴، (وكان الذي قاد هذه المحاولة الثانية كبير حُجَّاب أبي البقاء خالد، وصاحب النفوذ الكبير في الدولة، الكاتب الحاجب ابن أبي جبي⁵، الذي كان مُهتما كثيرا، بتسوية الخلاف بين تونس وبجاية، فتولَّى مباشرة الموضوع بنفسه. وعندما وصل العاصمة اهتزت له الدولة، وتُلقي بما يجب له ولمرسله من البر والتقدير، وأنزله شيخ الموحدين ومدبر الدولة ابن اللحياني بداره مبالغة في تكريمه..⁶، وتكررت مأساة سفارة الغبريني، (ذلك أن حاشية أبي البقاء خالد، انتهزت غياب كبير حجابيه ابن أبي جبي، فدبرت مؤامرة ضده، زحزحت ثقة أبي البقاء خالد، بما لفقوه حوله من تأمر مع صاحب تونس ضده، وأنه سوف يعمل على تمكينه من بجاية وقسنطينة...⁷. وصدَّق خالد أخبار بطانته (فاستراب منه وشك في أمره، وتنكر له بعد عودته من تونس. وخاف ابن أبي جبي أن يكون مآله مآل أبي العباس الغبريني، فطلب من أبي البقاء خالد أن يسمح له بالرحلة لأداء فريضة الحج، فسمح له، وخرج من بجاية على أنه ذاهب إلى الحج، إلا أنه بقي في تونس⁸ عدة سنوات، قبل أن يتوجه فعلاً إلى المشرق...⁹.

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 456.

2 - ابن قنفذ المصدر السابق، ص 156.

3 - المطوي، المرجع السابق، ص 295.

4 - الأولى للقاضي الغبريني، الذي قتلته الدسائس والمؤامرات وهو في مهمة سلام. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 462.

5 - وهو من جالية الأندلس. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 452 - 453.

6 - المطوي، المرجع السابق، ص 295، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 463.

7 - المطوي، المرجع السابق، ص 296، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 463.

8 - انتقاض ابن ابي جبي، أدى لانتقاض صهره عامل قسنطينة مبايعة تونس، وخروج خالد في حملة لمحاصرته في 704 هـ / 1304 - 1305، وهم بفك الحصار، لولا خيانة احد قوادها وهو أبو الحسن بن عثمان من مشيخة الموحدين المعروف بابن موزة وحصل الاقتحام واعتقل الصهر وقتل وُصِّلب... ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 463 - 465.

9 - المطوي، المرجع السابق، ص 296، المطوي، المرجع السابق، ص 295، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 463.

ولما حصلت ثورة الكعوب¹ المفسدين في تونس 705 / 1306، تصدت حكومة أبي عصيدة لذلك، ولم تهدأ حركة الفوضى والعصيان، وضاق الشعب ذرعا بهم، وبحكومة أبي عصيدة العاجزة عن ردعهم، وبلغ الأمر ذروته في سنة 708 هـ / 1309، (فقاموا بمظاهرات صاحبة، وهاجموا القصبية محاولين افتتاحها للفتك بالحاجب ابن الدباغ²، لأنهم يحملونه مسؤولية تلك الاضطرابات والفوضى التي عمت البلاد. إلا أن أبا عصيدة تدخل في الامر، وسكّن من غضب العامة، وأنقذ حاجبه ابن الدباغ من هلاك محقق...)³.

ولما توفي السلطان أبا عصيدة في 709 هـ / 1309م، أدّى الحاجب ابن الدباغ، دورا كبيرا في إفساد صلح بجاية وتونس، فنقض شروط الصلح⁴، ولم يُبايع أبا البقاء خالد، واختار أبا بكر بن عبد الرحمان⁵ خلفا لأبي عصيدة، فبُويع، وأقر ابن الدباغ في منصب الحجابة، وعلى كتب العلامة. (ولم يطل الوقت حتى استفحل التنافس بين الحاجب ابن الدباغ وبين الوزير ابن أزرقان، بينما أصبحت جيوش أبي البقاء خالد قرب العاصمة)⁶.

وعين السلطان أبو البقاء خالد، عقب توحيد المملكة، أخاه أبا بكر على قسنطينة، بإيعاز من حاجبه ابن غمر⁷، وكان هذا الحاجب (يُضمر العداء والغدر بمولاه أبي البقاء متى سنحت له الفرصة)⁸؛ إذ سبق اتفاه السري مع أبي بكر، على الثورة والمعونة، على أن يصير حاجبا له، في حال نجاحه في الاستيلاء على الحكم، ولم يزل يُجرّضه على العصيان والثورة حتى أعلنها في 711 هـ / 1311م، وبادر خالد بمقاتلة أخيه المهّدّد لوحدة المملكة، ووكّل قيادة الحملة الى العلج ظافر الكبير، فسار الثائر الى بجاية لاحتلالها لكنه فشل.⁹

- 1 - يُنظر الخبر عنهم: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 459 - 460.
- 2 - من جالية الأندلس، وتحديدًا اشبيلية، قدم أبوه تونس، وولد بها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 456 - 457.
- 3 - المطوي، المرجع السابق، ص 300.
- 4 - الشروط التي كانت تقضي أن من مات أولاً، من خالد أو أبي عصيدة قبل الآخر، دخل ملكه في ملك صاحبه. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 467.
- 5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 469.
- 6 - المطوي، المرجع السابق، ص 307.
- 7 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 471.
- 8 - المطوي، المرجع السابق، ص 314.
- 9 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 471 وما بعدها.

وتولّى ابن غمر حاجب أبي بكر، التحريض السري لابن اللحياني - الثائر الآخر -، على غزو تونس، والقضاء على أبي البقاء خالد، وتظاهر أبو بكر بسخطه من حاجبه، وتعيين آخر مكانه، حسن بن ابراهيم بن ثابت¹، وكان الغرض استمالة والي بجاية، السّاحط من ارتفاع مكانة ابن غمر الحاجب²؛ فانطلت الحيلة على والي بجاية ابن خلوف³، الذي شتمّ يسعى للحصول على حجابة أبي بكر⁴، الذي تظاهر بالموافقة، غير أن ابن خلوف لقي مصيره المروع في الطريق، فقتل شر قتلة، ونُكِّل بحشته، وتمكن أبو بكر من ضم بجاية وتطلع لحكم تونس.⁵

وعاد ابن غمر الى بجاية بعد نجاح مهمته، وشرع في استعادة نفوذه، بإبعاد كل العناصر المنافسة له، من خلال المكر والدرس، وتمكن من القضاء على بني ثابت، الذين كان لهم مركز ممتاز في الحجابة والنفوذ على منطقة قسنطينة، ونجح في التنكيل بحسن بن ثابت وأخيه عبد الله، مصادرة أموالهما⁶، وصار الأمر النهائي، حتى أنه رأى نفسه سيّدا على السلطان أبي بكر، (وصار يُغريه ببطانته، فيقتلهم ويغريهم. وربما كان السلطان يأنف من استبداده عليه. وداخله بعض من أهل قسنطينة، سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، في اغتياله... ولم يتم، ففطن لها ابن غمر، فأوقع بهم، وقسّمهم بين النكال والعذاب فرقا⁷)، وزين لسلطانه غزو افريقية وافتكاكها من ابن اللحياني، لينفرد هو بحكم بجاية ورائه⁸، وهو ما تحقق للطرفين، ورغم محاولات السلطان اللاحقة، للحدّ من نفوذ واستبداد هذا الحاجب الداهية، إلا أنه فشل في تحقيق نتائج ملموسة، ورضي منه: ذكر اسمه في الخطبة، وضرب اسمه على السكة، (دون أن يقدر سلطانه على زحزحته أو عزله).⁹

- 1 - رئيس أهل الجبل المطل على قسنطينة والفيل من كتامة، يُعرف قومه ببني نملان.. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 474.
- 2 - المطوي، المرجع السابق، ص 317.
- 3 - وصفه ابن خلدون، بأنه كبير صنهاجة، من جند السلطان المولدين بنواحي بجاية، وأنه ذو سابقة في خدمة البلاط خصوصا في الجانب العسكري. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 472.
- 4 - المطوي، المرجع السابق، ص 317.
- 5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 474.
- 6 - المصدر السابق نفسه، ج6، ص 476.
- 7 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 478.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ج6، ص 479.
- 9 - المطوي، المرجع السابق، ص 332.

وخلف محمد بن القالون¹ ابن غمر، الذي توفي فجأة في 719 هـ / 1319م، لكنه لم يسلم من الدسائس والفتن والمؤامرات وكانت (العلة القاتلة في الدولة الحفصية)²، وانتهت بإيغار صدر السلطان ضده، فعزله من منصبه، وولّى عوضه محمد بن سيد الناس، الذي سرعان ما فتكت به المؤامرات، التي خوّفت السلطان منه، ومن قوة شخصيته السياسية والإدارية، وسابقته في الخدمة، لأنه كان من أقرب الناس إلى أبي بكر الحفصي، (فهو من ناحية ابن حاجب أبيه أي زكرياء عندما كان متولياً على بجاية، وهو من ناحية ثانية أخوه من الرضاع)³، لكن الحاجب جعل يفكر في التآمر على أولياء نعمته، ولدى اكتشاف السلطان ذلك، اكتفى الحفصي بعزله عن وظيفته ببجاية، واستدعاه إلى العاصمة، وولّاه حجابته في المحرم من سنة 728 هـ / 1327م، وفوض إليه شأن السلطة والمملكة كفاً لشرفه، وتحياً للانتقام الصارم منه⁴؛ وما إن سنحت له الفرصة؛ حتى انقضّ عليه، فعزله وعدّبه، وقتله شر قتلة، وعوضه بالكاتب الحاجب أبي القاسم أحمد بن عبد العزيز الغساني⁵. وتُطالعنا المصادر بعد ذلك بأخبار الحاجب القوي المستبد بالدولة زمناً غير قصير، وهو الحاجب الداهية⁶ أبو محمد بن تفراجين⁷، الذي استبد بالأمر دون أبي حفص عمر الثاني بن أبي بكر، وأبي اسحاق ابراهيم الثالث، حتى سلّم الناس عليه سلام الملوك، وتزوج ابنته السلطان أبو اسحاق في سنة 766 هـ / 1365م، وهي نفس سنة وفاة الحاجب⁸.

- 1 - يُنظر وصف ابن خلدون له: المصدر السابق، ج6، ص ، و ص 493، وأن أصله كردي.
- 2 - المطوي، المرجع السابق، ص 335.
- 3 - المطوي، المرجع السابق، ص 351.
- 4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 500 - 501.
- 5 - يُنظر كلام ابن خلدون عنه، المصدر السابق، ج6، ص 501.
- 6 - برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 20.
- 7 - وصفه ابن خلدون بأنه بلغ شأواً عظيماً في الاستبداد ببجاية، حتى صانعه السلطان أبي اسحاق، بالمال والهدايا، مترقباً موته، المصدر السابق، ج6، ص 548 وما بعدها.
- 8 - فلم تبلغ الحجابة من الأهمية، ما بلغته على يد ابن تافراجين، حيث غدت، (بحكم اتساع نطاق صلاحياته شبه دكتاتورية وما لبثت في عهد سلطان شاب من سلاطين بني حفص، أن صارت أداة لتمكين الحاجب المذكور من فرض وصايته على دواليب الدولة وتحريكها حسب مشيئته. ولئن بقي لقب الحاجب قائم الذات بعد انبعاث السلطة الحفصية من جديد خلال الثلث الأخير من القرن الرابع عشر، فإنه أصبح على وجه الخصوص يكتسي صبغة شرفية وفقد الميزات...). برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 55 - 56.

واستطاع السلطان أبو العباس أحمد الثاني، أن يُذهب على نفسه (آثار الحجر والاستبداد بإذهاب خطة الحجابة التي كانت سُلماً إليه، وياشر أموره كلها بنفسه من غير استعانة بأحد...)¹، حتى تدهورت أحوالها، وأصبحت مهمة الحاجب قاصرةً، على الإشراف على فرش قاعة السلطان، بالأبسطة والوسائد أي مثل مدير التشريفات²، ونتج عما سبق ظهور نظام جديد، تمثل في خطة **المنفذ**، الذي يشبه نائب الملك، وارتفعت مكانته في عهد السلطان أبي العباس، حيث تمتع بنفوذ كامل على الإدارة المالية، وتولى هذه الخطة الفقيه القاضي **محمد بن قليل الهم**³، واستطاع أفراد هذه العائلة الاحتفاظ بهذه المهمة طوال نصف قرن، وشهد عصر السلطان أبي عمرو عثمان، ارتفاع شأن المنفذ فأصبحت صلاحياته، تتجاوز الإدارة المالية بل احتل المرتبة الأولى⁴، في الدولة بعد اختفاء شيخ الموحدين والحاجب، وهو كنائب الملك في حكم المملكة.

ج- الكتابة:

عُرفت بخطة **الكتابة العليا**⁵، وكتابة الإنشاء والعلامة⁶، وكاتب السر، والكاتب **الأعظم**⁷، ومُتوليها في مرتبة وزير مختص **بالفضل أي الترسيل**، وهو المختص بديوان الإنشاء⁸، وتحتته مجموعة من الكتاب، الذين يُعاونونه في مهماته السلطانية.⁹

مواصفات اختيار الكتاب:

المهارة والإجادة الأدبية واللغوية، دون الاعتبار القبلي أو العائلي. خصوصاً وأنّ (الكتابة لم تكن من متحل القوم ولا الترسيل بلسانهم)¹⁰، وهو ما يُبرر اشتغال عدد كبير من الأندلسيين، بهذا المنصب

- 1 - ابن خلدون، المقدمة، ص 231.
- 2 - سبطي، المرجع السابق، ص 85.
- 3 - يُنظر طرفاً من أخباره: أبو زيد ابن الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ومعه ذيل معالم الإيمان، تحج، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 60.
- 4 - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 58.
- 5 - ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص 6، ص 269.
- 6 - ارتفع شأن كاتب العلامة في البلاط التونسي حتى عُد بمنزلة وزير، والعلامة وهي توقيع مضاف الى المخاطبات السلطانية، وترفع الى السلطان ليضع ختمه عليها. الزركشي، المصدر السابق، ص 28، الهامش.
- 7 - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 79.
- 8 - سبطي، المرجع السابق، ص 82.
- 9 - العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 81.
- 10 - ابن خلدون، المقدمة، ص 230.

انفراداً واستبداداً، لإجادتهم فن الكتابة والترسيل¹. كخبر ابن الأبار الذي صُرفت إليه الوجوه، وتولى خطة الكتابة العليا إليه². واشتُرط أيضاً في الكاتب أن يُؤمن على كتمان الأسرار ولهذا سمي بكاتب السر.³

مهام الكاتب:

يكتب ويُجيب باسم السلطان، وله صلاحية (فتح رسائل جميع الناس ما عدا رسائل الموظفين السامين السابقين)⁴، ويتولى شأن المخاطبات الرسمية داخل الدولة وخارجها، وتأمين استمرار التواصل الإداري والرسمي، وهو مسؤول عن ذلك أمام السلطان.⁵

الإشراف على جرد خزانة الكتب السلطانية، وما تحتاجه من إضافات في العناوين⁶، مع ضرورة الإحاطة المتجددة بأخبار فنون الكتابة، ومشاهير أهلها وأعلامها مما يكون له النفع في قضية تدعيم المنصب بمن يليق له⁷، كما ويرفع القصائد الموجهة للسلطان لثُقرأ بين يديه⁸، يتولى إملاء الأوامر السلطانية مباشرة على كُتابه⁹، ويُعلّم عليها بخطه والعلامة هي: أن يكتب بعد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله اسم السلطان.¹⁰

وغالباً ما يكون (صاحب العلامة الكبرى كاتب السر، وهذا في الأمور الكبار، والعلامة - الحمد لله والشكر لله -، وأما ما دون هذا فإنما تكون الكتابة فيه عن وزير الجند، يكتب عليه صاحب العلامة الصغرى اسم وزير الجند)¹¹، كخبر علي جد الحاجب ابن أبي عمرو¹²، وأسندت العلامة الكبرى إلى كبار الموظفين، الذين جمعوا بين خططهم الأصلية وكتابة العلامة ومنهم ابن أبي سعيد، ومحمد بن

¹ - سبطي، المرجع السابق، ص 82.

² - وسيأتي تفصيل ذلك.

³ - العبادي، المرجع السابق، ص 188.

⁴ - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

⁵ - العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 81.

⁶ - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 81.

⁷ - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 81.

⁸ - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 81.

⁹ - ومن خاصية كتب هذا السلطان أن تكتب في ورق أصفر، وأما ما يكتب عن وزير الجند ففي غير الأصفر، ومن عادة المغربية كلهم أن لا تطول كتبهم ولا تبعد بين سطورهم كما جرن به العادة في مصر والشام وإيران). المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 74.

¹⁰ - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 81.

¹¹ - الزركشي، المصدر السابق، ص 33، العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 74.

¹² - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 385.

إبراهيم التجاني¹، ولذلك عُددَ فصاحب العلامة (بمثابة رئيس الديوان في اصطلاح عصرنا الحاضر، وهو بهذه الصفة يكون على اتصال مباشر ومستمر بصاحب الدولة).²

وفي أوائل القرن الرابع عشر، وبالتحديد في عهد ابن اللحياني، تم الجمع بين كتابة العلامة الكبرى، والصغرى لموظف واحد، إلى زمن أبي فارس، حيث تمَّ الفصل من جديد بين العلامتين³؛ فجعل الخطة علامته: أبا عبد الله محمد بن الحجر⁴، واختار الخطة الإنشاء: أبا عبد الله محمد القلشاني⁵، واستعملت الدوائر الرسمية الحفصية، الورق الأصفر للكتابة المحررة باسم السلطان.⁶

وكان أحمد الغساني الأندلسي⁷ يجمع بين الخطتين - العلامة والإنشاء - في عهد أبي زكرياء الأول، وقد فكَّر الأمير أبو زكريا في تقسيم هذه الخطة، ولكن هذه الفكرة لم تُنفذ إلا في عهد ولده المستنصر، الذي اتخذ موظفين مختلفين، كلَّف الأول بكتابة العلامة والثاني بالإنشاء، وفي عهده أيضاً، تمَّ تقسيم العلامة إلى كبرى وصغرى، كما أشار عليه شيخ الموحدين المعروف بالعود الرطب⁸. والمبرز كان أن الأوامر السلطانية قد تنفذ بأمر صغيرة لا ينبغي الكتب بمثلها عند الخليفة، وكأنه أراد بذلك تمييز الكتب السلطانية عن غيرها.⁹

ورغم الأهمية التي مثلتها وظيفة الكتابة في الدولة، إلا أن هناك ما يستوقف أيَّ باحث:

فأولاً: التهديدُ الدائم، والقائم لشخص الكاتب، والذي غالباً ما تُنهي المؤامرات والدسائس حياته، بالإضافة إلى صراع قوى القصر والكاتب منهم على النفوذ والتلاعب بالسلطين، والأخبار في ذلك كثيرة، على غرار محنة الكاتب علي بن محمد بن نخيل¹⁰ في بدايات الدولة، والنهائية المأساوية لابن الأبار.¹¹

1 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 160.

2 - المطوي، المرجع السابق، ص 216.

3 - برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 63.

4 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 189.

5 - وصفه ابن قنفذ بأنه: الفقيه الفاضل المتفنن في العلوم المحصل، المدرس المدرك... ابن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله القلشاني من بيتات عدول باجة وأخبارها. المصدر السابق، ص 189 - 190.

6 - العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 74.

7 - (التونسي مولداً ومنشأً ووفاةً). ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 116.

8 - أبو الوليد ابن الأحمر، كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح، محمد التركي التونسي وغيره، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، د ت، د ط، ص 10-11.

9 - سبطي، المرجع السابق، ص 82.

10 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 377 - 378.

11 - ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 123، و ص 127.

وثانياً: التداخل بين الصلاحيات التي تمتع بها الكاتب، والتي عكست مدى ارتفاع مكانته وقوته، حتى أنه أحياناً صار حاجباً مدبراً للدولة، يجمع أكثر من وظيفة وخطّة، كخبر أبي القاسم أحمد بن أسد بن الشيخ الأنصاري¹، الذي تولى الحجابة²، ثم ضمَّ له السلطان كتابة العلامة، في فواتح السجلات، ولكن هذا الكاتب المرموق تورط في مساندة الدعيّ في فتنته، التي مزقت شمل الدولة زمناً³، فلما انتهت تلك الفتنة، قوبل أبو القاسم بالعمو ومعه العزل من العلامة، وكخبر أبي زكريا يحيى بن علي بن يعقوب⁴ الكاتب الحاجب.

وثالثاً: فهو التقهقر الذي أصاب تلك الوظيفة السامية، حتى صارت خامساً في الترتيب الحكومي.⁵

2- الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية:

أ - الوزارة:

شكّلت رتبة الوزير أهم وظيفة سلطانية في دولة بني عبد الواد، نظراً لما اشتمل عليه هذا المنصب من معاني الشرف والسُّؤدد⁶، إذ عُدَّ الوزير الرجل الثاني في جهاز الحكم بعد السلطان حرباً وسليماً، فكان بحق وزيراً أولاً أو رئيساً للحكومة بالمصطلح المعاصر: (إذ كان بمثابة الهيئة التنفيذية للدولة فهو الذي يقوم بتسيير إدارة الدولة)⁷. ولا يُستثنى من ذلك إلا حالة تقديم ولي العهد عليه.¹

1 - ابن الأحمر، مستودع، ص 32.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 438.

3 - ابن الأحمر، مستودع، ص 32.

4 - وصف ابن خلدون هذا العلم وسابقة أهله في خدمة الدولة: (وبنو يعقوب هؤلاء أهل بيت بشاطبة، من بيوت العلم و القضاء، و قدموا إلى الحضرة مع الجالية...). المصدر السابق، ج 6، ص 475.

5 - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 79.

6 - دراجي، المرجع السابق، ص 114.

7 - فيُطلِّع السلطان على أحوال الرعيّة بوجه عام، ويحدّد أجور الموظفين ويرأس الجيوش ويقودها ضدّ العدوّ فتحضن له مثلما تخضع للسلطان. خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن - دراسة تاريخية وحضارية - 633 - 681 هـ /

1235 - 1282 م، دار الأملية، الجزائر، ط 1، 2011، ص 161 ويُنظر: الوزان المصدر السابق، ج 2، ص

مواصفات اختيار الوزير:

يمكن تلخيص هذه المعايير في ستة² لمن رام السلطان تكليفه بهذا المنصب السامي، غير أنه لم يُحترم ترتيبها دائما³، وهذه المعايير هي:

الثقة والقرابة⁴ القبلية، فمثلاً شهدت فترة حكم المؤسس، وأبي سعيد، وأبي زيان، ولاحقا زمن الأخوين¹، تركز تولي المنصب في عائلة (مجن)²، التي تلتقي مع يغمراسن في أحد الأجداد³. واختيار غانم

1 - يُنظر يُنظر كلامٌ خطير ليحي ابن خلدون عن أبي حمو الثاني الذي رفع ابنه وولي عهده أبي تاشفين - قاتله فيما بعد - واشراكه في الحكم - مقدا على كل أحد - (...). فألقى إليه مقاليد علانيته وخفائه، ثم أشركه في السيف والقلم، والطبل والعلم، والعقد والحل، والترحال والحل، والمواكب والقصور... فهو ولي عهده...). أبو زكرياء يحي بن خلدون، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق و تح، بوزياني دراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2، ص 490، وص 555.

2 - ولقد أفاض أبو حمو موسى الثاني في ذكر المواصفات والمعايير: (يا بني إنه ينبغي لك أن تتدبر في وزرائك وحلسائك وكتابك... فأما وزرائك يا بني فيجب عليك أن تختار : - وزيرا كبيرا- مهذبا خطيرا- بالأمر بصيرا- يجمع من محمود الخلال ثمانية من الخصال وهي:- أن يكون من خيار قومه وعترته- وكبير عشيرته وبيته- وأن يكون وافر العقل- عاريا عن الجهل- حاضر الذهن- سريع الفهم- راجح الرأي- محمود السعي- محبا ناصحا- ودودا صالحا- شجاعا في المهمات وعند نزول الملمات- حسن الصورة فصيح اللسان- بديع العبارة بليغ البيان- كثير المال غير ذي حاجة ولا إقلال...). أبو حمو موسى الثاني، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، 1279 هـ، د ط، ص 32.

3 - يُراجع وصايا أبي حمو الثاني فيما خصَّ به شخص الوزير، وأنه قد يصلح رأي السلطان بحسن التدبير، وأنه سبب لصلاح أمور المملكة في القليل والكثير، وكونه أقوى نصير وأنصح مشير، وينتظم به الملك انتظام السلك... أبو حمو، المصدر السابق، ص 32 - 33.

4- كتولي أحمد بن العز وهو من أصهار أبي تاشفين، وأنه من أحوال الصبي الذي نصبه للحكم تحت وصايته، خلفا لوالده أبي تاشفين، لكن عم الصبي ابن الزاوية اكتسح تلمسان وقتلها . وفي ذلك يقول عبد الرحمان: (لم يزل هذا الأمير أبو تاشفين مملكا على تلمسان، و مقيما فيها لدعوة صاحب المغرب أبي العباس ابن السلطان أبي سالم، و مؤديا للضريبة التي فرضها عليه منذ أول ملكه. و أخوه الأمير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده في النصر عليه. حتى تغير السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض النزعات الملوكية، فأجاب داعي أبي زيان و جهزه بالعساكر لملك تلمسان، فسار لذلك منتصف سنة خمس و تسعين و سبعمائة و انتهى إلى تازي. وكان أبو تاشفين قد طرقة مرض أزم من به، ثم هلك منه في رمضان من السنة و كان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم، و كان يمت إليه بخولة فولى بعده مكانه صبيا من أبنائه، وقام بكفالاته وكان يوسف بن أبي حمو، وهو ابن الزاوية و اليا على

بن محمد الراشدي⁴، ويحيى بن موسى الجمي⁵، الذي صار قائدا للجيش زمن أبي تاشفين الأول-، وتولية كبير مشايخ بني عبد الواد داود بن علي بن مكن⁶، ويحيى بن داود بن علي بن مجن⁷. وليس بخافٍ السر وراء هذه الاختيارات، على الأقل في فترة التمهد والتأسيس والتوسع، إنه جمع كلمة بني عبد الواد والتطلع لبناء القوة والسطوة، وآفة القبائل لمن فقه التاريخ الانشقاقات، والتفرق عصبية أو حقدا وحسدا، على الرياسة والنفوذ والمغنم، فلنا أن نتصور لو أسست القبيلة دولة!. الكفاءة، وهو المعيار الذي صار مُقدما منذ دولة أبي حمو موسى الأول⁸، من خلال اختيار عائلة (بني الملاح)⁹ الأندلسية للقيام بشؤون الوزارة والحجابه. قبل أن تدفع ثمنا غاليا، حين اغتيلت واستأصلت شأفتها مع سلطانها، على يد ابنه أبي تاشفين الأول العاق بإيعازٍ من بطانته.¹⁰

- الجزائر من قبل أبي تاشفين. فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب، ودخل تلمسان فقتل أحمد بن العز و الصبي المكفول ابن أخيه تاشفين...). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 482.
- 1 - أبي سعيد عثمان الثاني وأبي ثابت اللذين بعثا الدولة مجددا بين (749 هـ-753 هـ/1348م-1352م).
 - 2 - (بنو مكن هؤلاء من علية القرابة من بني زيان...). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 118.
 - 3 - مع بعض الاستثناءات كالوزير يعقوب بن جابر الخرساني. بوزيان دراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 119.
 - 4 - زمن أبي سعيد، وبنو راشد أقرباء لبني عبد الواد وعصبتهم في أول عهدهم. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 83 وما بعدها، و ص 200.
 - 5 - زمن أبي زيان، وبنو جمبي أو كمي هم إحدى بطون بني القاسم بن عبد الواد... ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 203، يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 128 الهامش 4.
 - 6 - زمن أبي تاشفين الأول، وهو من أحفاد يحيى بن مكن عبد الرحمان ابن خلدون ذكره خلافا لأخيه يحيى، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 146.
 - 7 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 162، و ص 52.
 - 8 - (فأما موسى بن علي الحاجب المالك مع السلطان فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق... و لما هلك عثمان بن يغمراسن بن زيان زاده بنوه اصطناعا و مداخلة و خلطوه بأنفسهم و عقدوا له على العساكر لمحاربة أعدائهم و ولوه الأعمال الجليلة و الرتب الرفيعة من الوزارة و الحجابه و لما هلك السلطان أبو حمو و قام بأمره ابنه أبو تاشفين و كان هو الذي تولى له أخذ البيعة على الناس...). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 149 - 151.
 - 9 - يُراجع دراستي في الماجستير التي خصصت فيها مجالا للتعريف بهذا البيت وأوليته ونشاط أعلامه، ونهايتهم المؤسفة. عمارة محمد، المرجع السابق، ص 73 - 75.
 - 10 - وكان في بطانته شهامة وجرأة كهلال القطلائي العليج الذي ستولى وزارة لابن العاق... التنسي، المصدر السابق ص 138، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 139 - 140.

الشجاعة والبسالة في دروب الحرب والقتال، وهو المعيار الذي تقدم على غيره زمن تولي أبي حمو موسى الثاني، فإنه اختار من قادة الجيش لوزارته. خصوصا وقد خاض هذا السلطان حروبا شرسة على أكثر من جبهة لإعادة بعث الدولة المختفية منذ مقتل الأخوين.

فنجد أن أبا حمو موسى الثاني يختار أحد كبار قادة جيشه، وحملاته لاسترجاع الدولة بعد فتح تلمسان مجددا، وهم:

الحاج أبا عمران موسى بن علي بن برغوث¹، هذا الوزير وقائد الجيش - السابق -، سقط في أسر بني مرين، عند حصاره لوههران في سنة 760 هـ / 1358م، (فخذل الوزير موسى بن علي أشياغته، وفرت عنه حشوده... فكبا به فرسه، فحُمل أسيرا إلى المغرب)². ثم تحول إلى خدمة بني مرين ثائرا³ على ولي نعمته أول الأمر!.

الشيخ أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي⁴، الذي فر إلى أبي حمو موسى الثاني... فاستوزره (لخلال فيه اقتضت ذلك)⁵، ولاشك أن الخلال تتلخص في باسه وشجاعته، إذ قاد أكثر من حملة على بني مرين وحلفائهم، فهزم وكسر وأسر منهم⁶.

أبو موسى عمران بن موسى⁷ بن فارس بن حريز اللؤلؤي، الذي بدأ حياته المهنية قائدا ومحاربا في جيش أبي حمو موسى الثاني⁸ قبل أن يتولى الوزارة، ثم يتعرض لنقمة سلطانه ويعاقبه بالنفي للأندلس في سنة 770 هـ / 1368 م دون تحديد السبب.⁹

وادفل بن عبو¹ بن حماد، عينه أبو حمو موسى الثاني قائدا على المدينة². قبل أن يُوليه وزارته.³ وهنا نتحدث عن أكثر من قائد تحول إلى وزير مع محافظته على عمله الحربي.

1 - يُراجع طرفا من أخباره عند يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 70 - 97، التنسي، المصدر السابق، ص ص 73 - 75.

2 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 124.

3 - المصدر السابق نفسه، ج2، ص 293 وما بعدها. ثم جاء طالبا العفو. وانتظم مجددا في الوزارة. المصدر السابق نفسه، ج1، ص 362.

4 - نسبة إلى زردالة إخوة بني عبد الواد في زناتة. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 84، و ص 165 وما بعدها.

5 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 143.

6 - يُراجع طرفا من أخباره عند: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 144 - 145.

7 - يُراجع طرف من أخباره: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 552.

8 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 147، و ص 300.

9 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 421.

مهام الوزير:

إنَّ الظروف التي صاحبت تأسيس الدولة، وما أعقبها من الجهود لتثبيت دعائم وجودها في جو من الحروب والتقاتل، خصوصاً المرحلة الأولى وبداية الثانية من عمر الدولة⁴؛ قد حثَّمت على سلاطين الدولة، إعطاء مسؤوليات كبيرة للوزير⁵؛ فإضافةً إلى الجانب الإداري، برز الدور العسكري، والقتال مع الجند في حروب توسيع الحدود وقمع الثورات.

كخبر وزير يغمراسن **عموش بن مكن**⁶، الذي قُتل بحجر المنجنيق في إحدى الحملات التوسعية⁷ سنة 636 هـ / 1238 م⁸، ومقتل **موسى بن علي**⁹ وزير أبي تاشفين الأول عند اقتحام بني مرين تلمسان.¹⁰

ونشهد في عهد أبي حمو موسى الأول، نُقلَةً نوعيةً عندما تُجمع وظيفتان سلطانيتان¹¹ في يد موظف واحد.¹²

- 1 - يُراجع طرف من أخباره: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 174.
- 2 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 161.
- 3 - ويخبر يحي عن واقعة 772 هـ / 1370م التي انتهت بدخول ملك المغرب في 772 تلمسان، بعد إخلائها من أبي حمو الثاني، وتأمير وزير المريني للمطاردة أبي بكر بن غازي بن الكاس، وكيف تسلل الزيغ الى قلب وادفل وغيره من اولياء السلطان. البغية بل ويصف يحي - وادفل - ورفقائه بكفار النعم وحزب الشيطان... . وفي السنة ذاتها يفارق يحي مخدمه، دون توضيح الأسباب، وسيلخصها لاحقاً - بعد العفو عنه - في كونها (...الخبيالات سوداوية اعتورتني ونزغات شيطانية تجاذبتني). المصدر السابق نفسه، ج 2، ص ص 444 - 455.
- 4 - أي من 633 / 1236 م الى 753 هـ / 1352 م.
- 5 - وعن مهام الوزير يخبر أبو حمو الثاني أن: (الوزير يياشر الأشياء جليلها وحقيرها وعظيمها وخطيرها، ويصلح على سلطانه، في سره وإعلانه، لأن الملك لا يصله من الأمور إلا ما يوصله إليه وزراءه وخاصته...). أبو حمو، المصدر السابق، ص 34.
- 6 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 118.
- 7 - على مدينة وهران.
- 8 - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 111.
- 9 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 149.
- 10 - التنسي، المصدر السابق، ص 146.
- 11 - الوزارة والحجابة.
- 12 - وسيأتي الحديث عن ذلك. دراجي، المرجع السابق، ص 125.

وخلال عصر الدولة الذهبي - أعني - المرحلة الثانية - (760 هـ - 791 هـ / 1358م-1389م)، يتجلى بوضوح زيادة أهمية الدور الحربي في مهام الوزير، بحيث صار معنيا بالركوب رفقة السلطان - أي الاستعراض العسكري أمام الرعية¹ - بل وقائدا للجيش والعسكر² قبلاً وبعد. وما ذاك إلا لبُدُو الدولة بعد خفائها تحت الاحتلال المريني، فصارت الأولوية كما يقال للعسكري على حساب السياسي. وقد أخبرنا يحيى ابن خلدون - شاهد العيان - عن خبر هزيمة وبلاء شديدين حضره مع أبي حمو³، ويقول أنه ومخدومه نجيا بشق الأنفس، ودخل الزياني بعد أهوال عاصمته مجددا (بعد دخول وزرائه وجيشه وماله وحرمه إليها)⁴.

كما يُلاحظ غياب حكم الاعدام في حق من خان العهد والامانة، والاكتفاء فقط بنفيه مع سلبات ذلك والوقائع تشهد بذلك.⁵

وتتوضح أهمية مرتبة الوزير بجلاء من خلال الوصايا، التي سطرها أبو حمو لولي عهده المرتقب يومئذ، وها أنا أدون عن مهام الوزير مما استنتجته من الوصايا:

الوزير معين للسلطان برأيه في مجلسه المغلق الذي يضمهما والكاتب، وهو أول الداخلين. وهو المطلع على جميع أسرار الدولة وحيثيات القضايا بجلاء، حتى أن السلطان لا يخفي عنه شيئاً من أموره وأخباره واحواله فرحاً أو قرحاً. وهو النائب عن السلطان في قضاء حوائج الناس وأداء الحقوق. وهو المكلف بتوفير الحراسة والأمن للسلطان من ليل أو نهار، كأنه قائد جهاز الحرس السلطاني.

الوصية بحفظ ستار الهيبة والوقار السلطاني رغم تقرب الوزير واصطفائه، والغرض من ذلك ألا تطمع نفس الوزير وعينه الى الحكم مهما بلغ من المقام والمكانة.⁶

هذا كله يدل على الثقة المطلقة التي توضع في الوزير، ورجاحة عقله والحكمة التي تميزه عن غيره، فضلاً عن أمانته ومسؤوليته في حفظ أسرار السلطان والدولة.

1 - يُنظر وصية أبي حمو الثاني : (واقصر عن الحديث في ركوبك لا مع وزيرك ولا مع خاصتك....). أبو حمو، المصدر السابق، ص 19.

2 - دراجي، المرجع السابق، ص 116. وتشابجت الوظيفة خلال هذه الفترة مع نظيرتها في القصر المريني.

3 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 388 - 392.

4 - المصدر السابق نفسه، المصدر السابق، ج2، ص 392.

5 - فمن أفشى الاسرار غير واف للعهد ولا مبرم للعقد.... (أبعدته عن منزلة الرفعة والايانس). أبو حمو، المصدر السابق، ص 60. والحكمة تقتضي الحزم ها هنا، ولا بديل للخائن من الإعدام!

6 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 82 - 83.

ويتضح أن حكام المملكة، كان من عادتها تعيين وزيرين أو أكثر دفعة واحدة في المنصب ذاته. ولا شك أن لهذا دلالاته، بالنظر للزمان والمكان، لدولة فتية قائمة وسط قوى متصارعة متنافسة، في ظل ظروف الفتن، وحروب الاستيلاء، وانقلاب الولاءات.¹

ارتفع شأن الوزير زمن أبي حمو موسى الثاني من خلال الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها². (وفوض إليه تدبير ملكه، فاستقام أمره وجمع القلوب على طاعته.....فعلا كعبه واستفحل أمره واستقامت رياسته).³

الحجاجة

ب - الكتابة:

عُرفت وظيفة الكتابة بصنفيها - كتابة الإنشاء وكتابة العسكر - في دولة بني عبد الواد، منذ قيامها على يد المؤسس، وتولاها كُتاب اعتبروا من مشاهير القلم بتلمسان⁴، وصار هذا المنصب تاليا في الأهمية لمنصب الوزارة، وهو ما يستشف من خلال وصايا أبي حمو الثاني لولده: (فأول من يدخل عليك كاتبك ووزيرك، إذ بهما صلاحك وتديريك..).⁵

ويبدو أن وظيفة الكتابة ورغم كل التقلبات التي عصفت بالدولة، خلال عمرها المديد، قد حافظت على صدارتها، وحضورها المميز في البلاط⁶ إلى آخر عمر الدولة، فكان متوليها: (والشخصية الثانية...الذي يحرر الرسائل والأجوبة باسم الملك).⁷

مواصفات اختيار الكاتب:

- 1 - وأما الكلام عن حقيقة تعيين وزير واحد وهو الرأي الذي نصره دراجي، لا يتطابق مع الروايات الواضحة في تعيين أكثر من وزير. المرجع السابق، ص 118.
- 2 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص ص 144 - 145، كما أن كلام أبي حمو موسى الثاني صريح في اتخاذ أكثر من وزير أبو حمو، المصدر السابق، ص 60.
- 3 - عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 166، الكلام عن الوزير عبد الله بن مسلم المنشق عن بني مرين.
- 4 - بلعربي، المرجع السابق، ص 182
- 5 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 82.
- 6 - يُنظر مجادلة ومحاوره بين أبي حمو الثاني، وكاتبه الأمين يحيى ابن خلدون، في شوال سنة 776 هـ / 1374م، عن فضل السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، وأنَّ يحيى أخبره وأنشده، أنهما أخوة لا نزاع بينهما كل يكمل الثاني.... ج 2، ص ص 566 - 575.
- 7 - الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 22.

عُدَّ حسن اختيار الكاتب، من علامات فضل السلطان وعقله الراجح، (لأن الكاتب عنوان المملكة، وبه تتبين الامور المشتبكة، ومن كُتابك يستدل على عقلك، ويعترف بمعرفتك وفضلك...)¹.

ولأجله وضعت مواصفات خاصة لمن سيتخطط بها... مُلخصة في:

الوجاهة والكفاءة في الخط والأدب، وحسن السلوك دون اعتبار للقرابة

العقل والاخلاق والمكانة العلمية، وجميل الهيئة واللباس، وكنتم أسرار السلطان.²

مهام الكاتب:

كُلف كاتب الانشاء في دولة بني عبد الواد بـ:

الاتئمان على أسرار السلطان³، وإصدار الاوامر السلطانية.⁴

تحرير مراسلات السلطان وعهوده ومعاهداته. ويعرض على السلطان كل يوم ما ورد من رسائل ويتلقى أوامره بالجواب عليها⁵، كما كُلف الكاتب أيضا بمهمة التوقيع بين يدي السلطان.⁶

وفي ذلك يقول - يحيى - يصف حال مخدومه زمن الاغتراب، وأزمة ضياع الحكم، سنة 774 هـ / 1372م، يتحدث عن رؤيا باستعادة ملكه بعد ست سنوات: (لم يزل - نصره الله - في أكثر غدوات جلوسي بين يديه للتوقيع، ينبئ برؤيا راهنة...)⁷.

بينما كُلف كاتب العسكر⁸ بتسجيل أسماء أفراد الجيش، وتصنيفهم حسب مراكزهم ورتبهم ومهامهم، وتوزيعهم في ساحة القتال، وتسجيل أعطياتهم وجراياتهم من السلطان.

وهذا كله كان يستلزم الحضور الدائم إلى جانب قادة الجيش، الذين رأينا أن مناصبهم كانت طريقا ممهدة، وسلما نحو الوزارة.¹

1 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 61.

2 - يُراجع وصايا أبي حمو الدقيقة في اختيار الكاتب، حيث ختمها بقوله: (فهذا أقل ما يشترط في الكاتب، ويكون في حقه وحقق من الواجب). أبو حمو، المصدر السابق، ص 61 - 62.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 82.

4 - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 24 - 25، أبو حمو، المصدر السابق، ص 82.

5 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 82.

6 - واول من اتخذ كاتباً للعلامة السلطان أبو حمو موسى الثاني، ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 24 - 25.

7 - المصدر السابق، ج 2، ص 484.

8 - سيختفي هذا المنصب بعد وفاة المؤسس، وغالب الظن أنه صار مرؤوسا للوزير، أو صاحب الأشغال أو غيره وهذا الأقرب إلى الصّحة. دراجي، المرجع السابق، ص 14.

ولنستعرض جُملة من الشخصيات التي تولت المنصب السامي:

يغمراسن:

- كاتب إنشائه: الفقيه أبو محمد بن غالب²، ثم أبو عبد الله محمد بن جدار، ثم أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي³.

- كاتب عسكره: الفقيه أبو عبد الله محمد بن المعلم⁴.

السلطان أبو سعيد:

- كاتب إنشائه: الفقيه العارف أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس⁵.

السلطان أبي زيان:

- كاتب إنشائه: أبو عبد الله محمد بن الرقام الهسكوري⁶

السلطان أبي حمو الأول:

- كاتب إنشائه: أبو عبد الله محمد بن هدية⁷، ومحمد بن الزواق⁸

السلطان أبي تاشفين العاق:

- كاتب إنشائه: الفقيه أبو عبد الله بن مدورة⁹.

أبو حمو موسى الثاني:

عندما فتح أبو حمو موسى الثاني تلمسان، واستعاد الدولة، في سنة 760 هـ / 1358 م (ووجه العناية لإحياء رسوم الخلافة، وتوطيد قواعد الملك... وولى العلامة الفقيه أبا عبد الله محمد بن علي العصامي ديوان الإنشاء والتوقيع...)¹⁰. ومحمد بن علي ابن القاسم المرسي¹¹.

- 1 - يُراجع كلام أبي حمو عن تقسيمات الجيش، و عن أهمية العناية به... أبو حمو، المصدر السابق، ص 12.
- 2 - قتل يوم ثورة النصارى سنة 652 هـ / 1254م. يُنظر عنها: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 206، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 113.
- 3 - يُنظر طرفٌ من أخباره: يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 129.
- 4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 111.
- 5 - المشهور بلقب شاعر المئة السابعة. يُنظر طرفاً من أخباره: يحيى، المصدر السابق، ج 1، ص 118.
- 6 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 210.
- 7 - كان من الكتاب البلاغاء. المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 116، وقد أورد له يحيى ترجمة برقم 42.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 213.
- 9 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 124.
- 10 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 96 - 97، و ص 557.
- 11 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 558.

على أنّ أهمّ شخصية تولت كتابة الإنشاء في الدولة: يحيى ابن خلدون، الذي تنقل بين البلاطات.¹

فكان تارة يشغل ذات الوظيفة بالدولة المرينية²، وتارة يشغل الحجابة في ركب الأمير الحفصي العائد لحكم بجاية بحماية مرينية³. وتارة موظفا ببلاط تلمسان، ومقربا من السلطان، متوليا للكتابة بكل اختصاصاتها⁴، وقد انتهت - للأسف - حياة هذا العلم غيلة، بسبب إخلاصه وولائه لأبي حمو الثاني، حيث دبرّ ولي العهد يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمان ابن السلطان أبي حمو الثاني، وقتله، مؤامرة دنيئة في سنة 780 هـ / 1378 م.⁵

ج - الحجابة:

اكتست هذه الوظيفة أهمية بالغة في البلاط الزياني - خصوصا في بدايات الدولة -، ويدل على ذلك الترتيب السلمي، عند ذكر الوظائف السلطانية لكل حاكم⁶. كما يُستشف من ثنايا كلام وتعبيرات المؤرخين⁷، خصوصا من لزم البلاط وخدمه. بالإضافة الى ثقل وزن من تولها وسابقتهم⁸. مما يُستشف منه على كون الحجابة مساوية⁹، أو تالية للوزارة، في سلم الأهمية والفعالية والأثر في القرار السياسي والعسكري يومئذ¹⁰. فإنّ المؤسس عمل و(أشعر زي الخلافة الجليلة...ومهد الخلافة...)¹¹. و(انتخب الوزراء وانتقى القواد).¹²

- 1 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص 176.
- 2 - ويحكى كيف أنه كان في معسكر الجيش المريني المرتقب للهجوم الزياني، في سنة 761 هـ / 1359 م، ويصف حالة الرعب والترقب... المصدر السابق، ج 2، ص 176.
- 3 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص ص 261.
- 4 - المصدر السابق نفسه، ج 2، ص ص 386 - 388.
- 5 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 187.
- 6 - وسيأتي قريبا.
- 7 - كالأخوين ابن خلدون، والتنسي مثلا.
- 8 - دراجي، المرجع السابق، ص 128.
- 9 - يُنظر كلام العبادي الذي يعد الحاجب الرجل الأول في الدولة، وأن نفوذه شمل الوزارة أيضا، المرجع السابق، ص 199.
- 10 - يُنظر عبارة عبد الرحمان في وصف موسى بن علي: (و لما هلك عثمان بن يعمراسن بن زيان، زاده بنوه اصطناعا و مداخلة، وخطوطه بأنفسهم، وعقدوا له على العساكر لمحاربة أعدائهم، وولوه الأعمال الجليلة و الرتب الرفيعة من الوزارة و الحجابة). المصدر السابق، ج 7، ص 150.
- 11 - يحيى، المصدر السابق، ج 1 ص 112 - 113.
- 12 - التنسي، المصدر السابق، ص 115. يدل على الاختيار الدقيق

هذا الكلام مهم جدا، بحيث يبعث على التصور الدقيق، للمتولين للوظائف السلطانية - خصوصا الحجابة -، فهم يُنتخبون بدقة وحرص شديدين، نظرا لثقل المهام والمسؤوليات التي تنتظرهم في البلاط وجنباة.

مواصفات اختيار الحاجب:

من خلال استعراض أسماء الذين قُدموا للحجابة، نستنتج أن المعيار الوحيد تمثل في الكفاءة والخبرة، والفقهاء بالسرعة والمعاملات¹، دون اعتبارٍ للقرابة². وهذا دليل آخر على ارتفاع وظيفة، الذي قد يساوي أو يفوق الوزارة - خصوصا في المراحل الأولى للدولة-³.

مهام الحاجب:

يرى بن خلدون أنّ الحاجب في دولة بني عبد الواد هو: المُنفذ الخاص بالسلطان في داره، والقيام على بابه⁴، كما كان في دولة بني أبي حفص، وقد يجمعون له الحساب والسجل تقليدا للحفصيين لأنهم كانوا من أتباعهم⁵. والحقيقة أن مهمة الحاجب كانت تشمل ما سبق ذكره وزيادة؛ إذ أنه يتولى حلّ جميع المشاغل والهموم، التي قد تعتري السلطان، كالاتصال بالرعيّة ومقابلة الناس، كما تُسند إليه مهمة السفارات والمفاوضات أحيانا مع حكام الدول الأخرى⁶. كما حصل بين يغمراسن وهو يُفاوض السعيد الموحد، إذ تولى ذلك (حاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك من فقهاء الحضرة)⁷.

ومن غير المستبعد - وهذا رأيي - أن يكون حافظاً لسرّ السلطان، فيكون مُساوياً للوزير من هذا الجانب، بل وقد يفوقه بخطوة!. وإنّ تصفحاً سريعا للأسماء التي تولت المنصب لكفيل بتدعيم رأينا ذلك!:

يغمراسن:

* حاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك من فقهاء الحضرة..⁸

أبو سعيد:

- 1 - كما قد يقع للسلطان شخصه أو في بلاطه، إشكالات فقهية ناتجة عن الجهل أو قصور الفهم أو نازلة، تستدعي تدخل أهل الذكر والعلم. بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 132.
- 2 - المرجع السابق نفسه، ص 134.
- 3 - بوزيان دراجي يحزم بذلك: المرجع السابق نفسه، ص 131 - 132.
- 4 - وفي موضع آخر يؤكد طبيعة المهام بأنّها: (قهرمة الدار والنظر في الدخل والخراج)، المصدر السابق، ج 7، ص 140.
- 5 - المقدمة، ص 231، ويُنظر تعقب دراجي له. بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص 130 - 131.
- 6 - دراجي، المرجع السابق، ص 132.
- 7 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 111، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 110.
- 8 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 111، و في ص 62 ترجمته اليسيرة وأنه فاوض الموحد.

* حاجبه القريب اليه أبو عبد الله محمد بن عامر الوهاصي.¹

أبو زيان:

* وحاجبه الفقيه أبو عبد الله محمد بن سعود.²

أبو حمو الأول:

(ألقى مقاليد الوزارة والحجابه الى محمد بن ميمون بن الملاح، ثم ولده محمد الأشقر ثم ولده ابراهيم وعمه علي بن عبد الله. وهم بيت سراوة من أهل قرطبة احترافهم السكاكة، أولو أمانة فيها ودين....)³

شهدت فترة أبي حمو الأول⁴ - كما هو واضح من النقل - قفزة نوعية، من خلال:

* إسداء وظيفتين سلطانتين لأعلام الجالية الأندلسية المهاجرة، أعني عائلة بني الملاح.⁵

* توارث عائلة بني الملاح الأندلسية للوظائف السلطانية. هذا الأمر ثبتت إيجابياته في حفظ أركان نظام الدولة، خصوصا مع توفر الكفاءة والنباهة والاعتدال، ولكن سلبياته كانت كبيرة، فلم يكن أقلها الحسد والحقد على المتولين، ولا نهايتها قتلا وذبحا ظلما وبهتاناً، كما حصل مع هذا البيت وشخصيات أعلام آخر - كما اشتملت عليه دراستي -.

غير أن وضع هذه الوظيفة السلطانية سيتغير نحو الأفول والانحطاط، مع مقتل أبي حمو، وإبادة بطانته على يد ولده العاق. فإنَّ الأخير استوزر علقه هلال القطلاي⁶، الذي سوّل له من قبل، الحُجر

1 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 118.

2 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 120.

3 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 140 - 141، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 212 - 213.

4 - وقد وصفه يحي ابن خلدون بصفات كلها تنم عن الشجاعة والباس والفطنة، مع الغلظة والفظاظة والحزم. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 212 - 213.

5 - المصدر السابق نفسه، ج 1، ص 212 - 213.

6 - على رأي عبد الرحمان، أنه ولأه الحجابه، فيكون الزياني قد جمع له بين الوظيفتين: (أصله من سبي النصارى القطلولين، أهدها السلطان ابن الاحمر إلى عثمان وصار إلى السلطان أبي حمو، فأعطاه إلى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من الموالى العلوجين. ونشأ عنده وترى وكان مختصا عنده بالراحلة والدالة، وتولى كبير تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو، ولما ولى بعده ابنه أبو تاشفين، ولاه على حجابه. وكان مهيبا فظا غليظا فقعد مقعد الفصل ببابه، وأرهب للناس سطوه وزحج المرشحين عن رتب المماثلة إلى التعلق بأهدابه. فاستولى على الأمر واستبد على السلطان، ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب، فاستأذن السلطان في الحج. وركب إليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله، وشحنها بالعديد والعدة والاقوات والمقاتلة. وأقام كاتبه الحاج محمد بن حواتة بباب السلطان على رسم النيابة عنه. وأقلع سنة أربع وعشرين... ثم رجع بعد قضاء فرضه إلى تلمسان فلم يجد مكانه من السلطان ولم يزل من بعد ذلك يتنكر له وهو يسايسه بالمداراة

على أبيه وقتل المنافسين. ورغم الصلاحيات التي تمتع بها القطلاني¹، إلا أنه وبسقوط الدولة، اختفى المنصب تماما.²

وعندما فتح أبو حمو موسى الثاني تلمسان واستعاد الدولة، في 760 هـ / 1358 م (وجه عنايته واهتمامه لإحياء رسوم الخلافة، وتوطيد قواعد الملك... فاستوزر وولي³. ولم يُعرف له حاجب إلا ما كان من دعوته لعبد الرحمان ابن خلدون، لتوليها له - رفقة العلامة - موعودًا والخير والإنعام والاعتناء والتكريم، لكنَّ الأخير اعتذر وأرسل أخاه يحي كالنائب عنه.⁴ والحقيقة أن نص كلام أبي حمو لابن خلدون يستقدمه، يدفعنا للبحث عن نوايا أبي حمو الحقيقية في دعوته عبد الرحمان لمنصب سقطت أهميته. فهل كان الزباني ينوي أن يتم بعث وظيفة الحجابة مجددًا، على يد عبد الرحمان الخبير بها وبوظائف السلطان؟.

أم كان أبو حمو يرجو أن ينال بتقريب عبد الرحمان أمنية فتح بجاية، في ظل خبرة الخلدوني وسابقة أهله فيها، وفشل الحملات الزبانية عليها؟⁵.

يُعطينا كلام الزباني فكرة عن ماهية وظيفة الحجابة، ويبدو أنه وضع خطوطاً عريضة لطبيعة المهام والتشريفات التي سيختص بها عبد الرحمان، وذلك من ثنايا خطابه له: (وكانت خطة الحجابة ببابنا العلي... أكبر درجات أمثالكم، وأرفع الخطط لنظرائكم، قريبا منا، واختصاصا بمقامنا، وإطلاعا على خفايا أسرارنا... وصاحب الكريمة علامتنا...).⁶

والاستجداء إلى أن سخطه فتقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا إلى أن هلك من وجع أصابه (...). المصدر السابق، ج 7، ص 152.

- 1 - وزيراً وحاجباً أو زيرا فقط.
- 2 - دراجي، المرجع السابق، ص 134، و ص 137، ورغم ذكره لاحقا إلا أن نفوذه وطبيعة مهامه تغيرت جذرياً فصارت شكلية داخل القصر: (وهناك وظائف أخرى أقل أهمية... والحاجب الأعظم الذي لا عمل له إلا عندما يستقبل الملك أحدا...). ليون، المصدر السابق، ج 2، ص 22.
- 3 - يحي، المصدر السابق، ج 2، ص 96 - 97.
- 4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 99.
- 5 - وهو المتبادر لا سيما من خلال عبارة عبد الرحمان، التي سطرها في رحلته عقب الكتاب الذي جاءه من الزباني: (... وكانت الأمور قد اشتبهت، فتفاديتُ بالأعداء...). ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 99.
- 6 - يُنظر نص الكتاب: ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 98 - 99، فاعتذر عبد الرحمان وتحتجج وأرسل أخاه نائباً عنه، وأخوه ذاته صرَّح أن أبا حمو راسله هو - في سنة 769 هـ / 1367 م -، وأنه بمحض إرادته سار إليه، وأن الزباني طلب منه معاونته، على استئلاف رياح نظراً لملاسته بهم. والقدم بهم - بمشيتهم على بابه. ولم يذكر الدعوة لتولي الوظيفة، إلا قوله (واصطنعني لخدمته، فأخذ بضبعي، وراش الجناح، ورفع الرتبة، وأكبر الجراية، وأمربي باستقدام ولديّ من بسكرة... فحضرت يعد ذلك سلمه وحره وطمعته). يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 386 - 388.

وأمام الفراغ الذي تسبب فيه غياب منصب الحجابة، استحدث الزياني وظيفة (المزوار)، التي جاءت كامتداد منطقي للحجابة¹. وها هو أبو حمو يوصي بضرورة تعيين عون مقدم على سائر الاعوان، محليا إياه بصفات الحاجب، موضحا عمله ووظيفته: (متصرفا في أمور سلطانك، يصرف شرطه بين يديه، فيما لا يمكن توصله إليه، ويتولون الانتقام ممن سخطت عليه، وينبغي أن يكون ذا دربة وشدة، وكفاية ونجدة، مبادرا لامتثال الأوامر، متيقظا لما تريد منه في الباطن والظاهر، عارفا بتصرفاتك وأخلاقك...مرتقبا لبابك، شديد المحبة في جنابك...)²، (ينبغي أن يكون أول داخل عليك مزوارك الموصوف، وعونك المعروف ليعرفك بمن يبابك من وزرائك وحجابك وأرباب دولتك وكتابك...)³.

3 - الوظائف السلطانية في الدولة المرينية:

أ - الوزير:

لقد انحصر الحكم المريني في فرع بني عبد الحق خصوصا، أما باقي الفروع :- (بنو عسكر، وبنو وطاس، وبنو أتكاسن، وبنو يابان، وبنو أتالفت...)⁴، فمنها من تولى الوظائف السلطانية وطارته شهرته فيها، وكان لهم أثر كبير في صناعة القرار السياسي وتوجيهه⁵. واحتل الوزير مكانة مرموقة في الدولة المرينية منذ تأسيسها، وكان أحد أعمدة الهيئة العليا التي تعضد الملك في حكمه، ورسم سياسة البلاط⁶، وكان يُعتبر من أرباب السيف⁷، غير أنه ظل تابعا للسلطان المريني، الذي كان من الطبيعي أن يحتكر السلطة

1 - فخطّة المزوار هي امتداد وذويان لمهمة الحاجب، إذ احتفظ المزوار بمهمات الحاجب الصغرى، بينما احتوى الوزير على المهمات الكبرى. دراجي، المرجع السابق، ص 138-139.

2 - أبو حمو، المصدر السابق، ص 62.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 82، ويبدو أن الخطة دامت وقوي نفوذ صاحبها حتى عُدَّ نائبا للملك، (في هذا البلاط مناصب ومهام عديدة، فالشخصية الأولى هو نائب الملك المزوار الذي يحدد الأجور حسب قدر كل واحد واستحقاقه، ويرأس الجيوش ويقودها أحيانا ضد العدو فتخضع له مثلما تخضع للملك)، ليون، المصدر السابق، ج 2، ص 22.

4 - العمري، مصدر سابق، ج 4، ص 84.

5 - على غرار عائلات الفودودي و اليزنياني و الياباني و العسكري و ابن الكاس و الوطاسي. أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1382 - 1962، ص 11 - 41.

6- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 315 - 316 وهو يصف مكانة عبد الله بن أبي مدين، وسابقة أبيه في الخدمة السلطانية

7 - العبادي، المرجع السابق، ص 209.

الفعالية، ويُباشر تسيير القضايا المهمة بنفسه¹، خصوصاً عقب تأسيس الدولة، واشتداد عودها، فكان الوزير بمثابة أداة التنفيذ للأوامر² والسياسات لا غير!

ولم تكن ظاهرة اتخاذ أكثر من وزير بالجديدة على البلاط المريني³، وإنْ تخلّفت في بدايات التأسيس (حيث كان يتولى خطة الوزارة فيها وزير واحد، يجمع بين قيادة الجيش، وتسيير إدارة الدولة بصفته كمساعد للسلطان في كل ما يشغله)⁴.

مواصفات اختيار الوزير:

تشابهت المعايير مع بني عبد الواد وهي الثقة ثم القرابة وبعدها الكفاءة⁵، على أن الترتيب لم يكن دائماً محترماً، إذ كان رهين الظروف السياسية التي تصاحب ارتقاء ملك وخلعه أو قتله في الغالب. وهو ما يُفسر ارتقاء الكثير من الصقالة الموالي إلى رتبة الوزارة في عهد هذه الدولة على غرار: **عمر ابن السعود الحشمي** زمن يعقوب، و**فرج النخعي** زمن عبد الله ابن يعقوب، و**شعيب بن ميمون**⁶ زمن أبي فارس⁷. على أن الحادثة الخطيرة، التي عجلت بسقوط الدولة، هي تولية هذا المنصب الحساس لليهود، كما حصل في زمن عبد الحق -آخر السلاطين-، إذ ولي يهوديين المنصب نكاية بالشعب الذي نقم عليه بعد الواقعة بوزرائه الوطاسيين⁸: (فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال، واعتز

- 1 - المنوني ورقات عن حضارة المرينيين، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط3، 1420 - 2000، ص 81.
- 2 - الحريري، المرجع السابق، ص 157.
- 3 - (وقد كانت للوزراء اجتماعات تعقد بقصر السلطان وتحت إشرافه...). حركات، المرجع السابق، ج2، ص 104 - 105.
- 4 - الدراجي، المرجع السابق، ص 118.
- 5 - المرجع السابق نفسه، ص 119.
- 6 - يُنظر طرف من أخباره: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 392، وص 416، وص 429، وأخباره مبثوثة عن المشاركة في الاستبداد، وأنه كان من جملة من ألقى القبض على أبي سالم المريني الفار، قبل أن يُذبح الهارب بأمر الوزير عمر بن عبد الله.
- 7 - وشعيب هذا هو أحد من أشرف على ذبح السلطان المريني أبي سالم!، يُنظر تفاصيل الفاجعة عند: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 416، والسبب الحقد من وزير على مكانة ابن مرزوق المقرب لا الموظف. ابن خلدون يُفصل من أخبار ابن مرزوق وكيف أنه غلب على هوى السلطان حتى غصت به الطبقة السياسية وأكابر القوم، ج 7، ص 413 - 415.
- 8 - (وكان آخر ملوكهم السلطان عبد الحق، قد خلف أباه السلطان أبا سعيد المريني في سنة 823 هـ / 1415 م، وفي عصره ساد الاضطراب والتفكك في أنحاء المملكة، واستبد وزيره يحي بن يحي الوطاسي بالدولة. كان بنو وطاس ينتمون إلى بطن من بطون بني مرين، وينافسونهم في طلب الرياسة والملك، فلما اشتدت وطأهم على السلطان عبد الحق،

اليهود بالمدينة وتحكموا في الاشراف والفقهاء فمن دونهم...¹. وتسببت حادثة المرأة الشريفة المعذبة من اليهودي في ثوران الناس وقتل اليهود ومعهم السلطان عبد الحق وانقراض دولته.²

مهام الوزير:

جمعت الوزارة في عهد بني مرين، بين وزارة السيف والمال والقلم، كما كان الحال عند الحفصيين، (وإن كان هذا الثالث الوزاري قد تغير منذ اغتيال السلطان أبي عنان، حينما ضعف ملوك بني مرين، واستبد وزراء السيف بأمر المملكة حتى صار كل شيء في يدهم)³. وتعددت اختصاصات الوزراء زمن بني مرين، وهذا راجع إلى رغبة السلطان وتغيرها، أو حسب قوة نفوذ الوزير - لاحقاً -، فيمكن إجمالاً تلخيص مهام الوزير في الإشراف على ديوان الجند، من خلال رئاسة الحرب والعساكر⁴، من خلال النظر: (في أمور حماية الكافة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة)⁵، كخبير: **الحسن بن عمر**⁶ الذي جهز حملة لمواجهة أبي حمو المستولي على تلمسان، وقام بفتح باب التطوع للمقاتلين (ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال وأسنى الصلات وأزاح العلل). وكلف **مسعود بن ماساي**⁷ بقيادتها، ودخل تلمسان الخالية من الفارين الى الصحراء⁸، بالإضافة إلى المشاركة مع السلطان في حروبه⁹،

بطش بهم، وقتل معظم رؤسائهم، وفي مقدمتهم وزيره يحيى، ونجا بعضهم وتفرقوا في مختلف الأنحاء، واسلم عبد الحق زمام دولته الى اليهود....). عنان، المرجع السابق، ع4، ص 165.

- 1 - السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 98.
- 2 - الزركشي، المصدر السابق، ص156، السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 99 - 100.
- 3 - العبادي المرجع السابق، ص 220.
- 4 - ابن خلدون، المقدمة، ص 226، و ص 231.
- 5 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 366، ابن خلدون، المقدمة، ص 226.
- 6 - يُراجع طرفٌ من أخباره وسيرته: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 5، أيار (مايو) 1980، ج 2، ص 208.
- 7 - يُراجع طرفٌ من أخباره عند ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 422 - 425، وفي مواضعٍ أُخرى. ويُنظر كيف يصفه صاحب الاستقصا برئيس الفتنة وقطب رحاها. ج 4 ق 2، ص 98. ص 68 - 69.
- 8 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 400 وما بعدها.
- 9 - ويُنظر الخبر عن مشاركة الوزراء في القتال لفتح تلمسان زمن أبي الحسن... ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 185. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 257.

أو قيادة الحملات العسكرية نيابة عنه¹، ضد مناوئي الدولة²، أو ضده في حالات الانقلاب ومبايعة مريني آخر!. كخبر الوزير سليمان بن داوود³ بن أعراب العسكري وزير أبي عنان، الذي كلفه غزو افريقية سنة 759 هـ / 1357م⁴، وخبر قيادة يحيى بن حازم⁵ وزير أبي يوسف حملة ضد المصامدة، وتولي عمر بن السعود الحشمي⁶ وزير يوسف حملة ضد الوطاسيين⁷ في أولى ثوراتهم الانقلابية.⁸

وقد يتولى الوزير حكم منطقة أو ولاية، وضبطها نظراً لأهميتها العسكرية، كخبر عبد الله بن علي بن سعيد وزير أبي عنان، الذي تولى منطقة بجاية وما وراءها⁹، وعيسى بن الحسين الذي تولى على جبل طارق في نفس الفترة¹⁰، وقد يلجأ السلطان لذلك تخفيفاً من الوزير وأطماعه الاستبدادية، كخبر الوزير الشهير الحسن بن عمر الذي عُقد له على مراكش، زمن المستعين بالله أبي سالم، وجُهِز إليها بالعساكر تخفيفاً منه وريبة بمكانه من الدولة.¹¹

متابعة الشؤون المالية للدولة، والنظر في أمور الولاية¹²، وينفذ الأموال بخطه ويرفع الشكيات، وينفذ الأحكام بين الناس، (يعرف ذوي الأقدار ويشدد على الأشرار ويشترك في الرأي والتدبير ويُفاوض في القليل والكثير).¹³

- 1 - ثم سرعان ما صار الوزير بمثابة قائد للجيش فتشابهت المهام مع دولة بني عبد الواد. دراجي، المرجع السابق، ص 116. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 392.
- 2 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 364.
- 3 - يُنظر طرفاً من أخباره، إذ اختار الاجازة بالأندلس والجهاد بها بعدما عضته الخطوب. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 454 وما بعدها.
- 4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 59.
- 5 - ابن الأحمر، روضة، ص 18.
- 6 - وقاد حملة لحصار جزيرة طريف. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 287.
- 7 - المصدر السابق نفسه، ج 7، ص 287 - 288.
- 8 - الحريري، المقال السابق، ص 92.
- 9 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 392.
- 10 - يُنظر عن خبر انتقاضه. المصدر السابق نفسه، ج 7، ص 390 وما بعدها.
- 11 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 404.
- 12 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 362 - 363.
- 13 - المصدر السابق نفسه، ص 362، وص 364.

صور استبداد الوزراء:

لقد حفظت لنا المصادر التاريخية أخبارا جمّة وكثيرة عن الشخصيات الوزارية وعظيم تأثيرها على قرارات القصر، فإنّ الاختصاصات الواسعة التي تمتع به الوزراء، مكّنتهم في بعض الفترات، خصوصا المرحلة الثانية من عمر الدولة، وهي مرحلة الضعف، من الاستبداد على سلاطينهم الضعاف¹، إلا ما ندر من فترات تولي سلاطين ذوي قوة وبأس². على أن الدولة المرينية ذاتها، ستدخل منذ وفاة السلطان أبي الحسن، في دور انحلالها، وتنحدر إلى الحرب الأهلية³.

ولعل أخطر حادث مفصلي في تاريخ الوظائف السلطانية، هو مقتل أبي عنان على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي⁴، وعبارة ابن خلدون المعاصر، في وصف الأحداث قوية مُعبّرة إذ يقول: (الخبر عن مهلك السلطان أبي سالم واستيلاء عمر بن عبد الله على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحدا...) ⁵. فمئذ مقتل أبي عنان دخلت الدولة، في مرحلة الانحطاط المتعدد، وخسرت الكثير من الأراضي⁶، التي بذل الأوائل الجهود في السيطرة عليها، حتى تقلصت رقعة الدولة إلى المغرب الأقصى - الحالي - تمهيدا لسقوطها النهائي⁷. وهنا برزت مرحلة جديدة في نظام الحكم المريني، بانتقال السلطة

- 1 - عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج2، ط2، 1430 - 2009، ربا نيت، ديور الجامع، الرباط، المغرب، ص 133.
- 2 - كدولة أبي فارس وهو السلطان (الذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيها، وأعاد إليها شبابها بعد هرمها وتقاضيها، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد...).تولى بعد غتيال أبي زيان المتوكل بأمر وزيره عمر، الذي استمر في استبداده، وعمل على اقصاء السلطان من كل دور ما أثار غضب الاخير الذي عمل على التخلص المبرم منه، وتم قتله شر فتلة) ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع في خبر طويل، واستبد بملكه واضطلع به وأدار الامور فيه على ما ينبغي...). السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص ص 51 - 53...ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 429.
- 3 - عنان، المرجع السابق، ع4، ص 136.
- 4 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 396 - 397.
- 5 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 413 وما بعدها مُعدداً صور استبداد هذا الوزير.
- 6 - تمكن بنو حفص من محاصرة قسنطينة ثم استعادة بجاية، وتمكن أبو حمو في سنة 760 هـ / 1359 م من استعادة تلمسان. الزركشي، المصدر السابق، ص99، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص ص 398 - 400.. يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 73 - 98.
- 7 - عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب، ص 786.

الفعلية الى قبضة الوزراء¹، وتحولهم من جانب التنفيذ الى التفويض والقهر، متلاعبين بالسلطين الصغار أو المحجور عليهم في قصورهم². وصار لليهود الصولة والجولة في البلاط المتداعي، وتولوا الوظائف السلطانية الخطيرة كالحجابه والوزارة³، وتسلطوا على رقاب المسلمين، وكان ذلك السبب المباشر في الثورة⁴ التي أنهت عهد بني مرين.⁵

وما يجدر التوقف قليلا عنده... هو ظاهرة تركز الوظائف السلطانية، في يد عوائل معينة كابر عن كابر على غرار بني فودود والكاس، واليابان، والوطاسيين؛ ففي حين أن ظاهرها كان الرحمة - أي المحافظة على الاستقرار الاداري والسياسي للدولة - إلا أن حقيقتها الغائبة كثيرا ما كانت تنافساً محموماً، وخوفاً مشؤوماً من بطش السلطين ودسائس الحاقدين، وعلى ضياع النفوذ في البلاط المتين!. ما أنتج كثيرا تفجر الثورات، وشيوع الاغتيالات⁶، كخبر ذبح السلطان أبي سالم، ثم أبي زيان المتوكل بأمر الوزير عمر بن عبد الله.⁷

واشتملت المصادر التي عُنت الدولة المرينية على أسماء غالبية وزراء الدولة المرينية، في صورة العائلات التي تولى أفرادها الوزارة على التوالي كعائلة الفودودي التي من بين وزرائها عيسى بن ماساي⁸ وزير يعقوب، وإبراهيم بن عمران وزير يوسف ولده، والحسن بن عمر وزير أبي عنان وأبي بكر السعيد، وكعائلة الياباني التي من وزرائها عبد الله بن علي⁹ وولده عمر¹⁰ ومحمد بن أبي العباس وغيرهم¹¹.

1- محمد محمد، المرجع السابق، ص 49 - 50.

2 - وَصَفَ السلاويّ حال الدولة زمن أبي محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني آخرهم بالضعف الشديد والتداعي للانحلال وتسלט الوزراء والحجاب، ج 4 ق 2، ص 95.

3 - حركات، المرجع السابق، ج 2، ص 101.

4 - الزركشي، المصدر السابق، ص 156.

5 - Michel Abitbol, Histoire du Maroc, Éditions Perrin, Paris France, 2014, pp 114 - 162.

6 - محمد محمد، المرجع السابق، ص 124 - 134. في الحديث عن نماذج الاستبداد الوزاري ونتائجه.

7 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 416.

8 - وصفه ابن خلدون يكونه من عليّة وزراء بني مرين وحمّة ميدانهم، وأنّ له في ذلك أخباره مذكورة. تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 245.

9 - وزير أبي عنان، وصفه معاصره ابن خلدون، أنه (وزيره الكبير). تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 416. ص 539.

10 - ابن الأحمر، روضة، ص 32.

11 - حركات، المرجع السابق، ج 2، ص 104.

بلغ نفوذ (بعض هذه العائلات قد بلغ استبدادها على الملوك منتهاها، فتلاعبت أسرة الفودودي مثلاً بمصير عدد من الملوك كأبي عنان، وأبي بكر السعيد وغيرهما من المتقدمين والمتأخرين).¹

ب - المزوار (الحاجب - القهرمان)² :

لم يُعرف اسم الحاجب في دولة بني مرين³، وإنما عُرف بالمزوار، يقول ابن خلدون: (فلا أثر لاسم الحاجب عندهم.)⁴، ويبدو أن الخطة كانت موجودة لكنها لم تكن ثابتة ولا واضحة المعالم، وهو ما دعا المؤرخين إلى نفي وجودها، أو تسميتها بأسماء أخرى⁵. وأياً يكن، فإن هذه الوظيفة كانت ثانية المراتب، في سلم النفوذ والقوة غالب الوقت.⁶

مواصفات اختيار الحاجب (المزوار) :

من خلال استقراء أسماء الذين نُسبوا للحجابه أو المزوارية، اتضح لي أن المواصفات لم تخرج عن: الكفاءة والخبرة والدُرّة، والأمانة والمروءة⁷ والحزم⁸، بعيداً عن اعتبار القرابة القبيلية، نظراً لطبيعة الدور⁹، ذلك هو ما يُفسر قضية ارتقاء أناس مغمورين - غالباً - إلى المنصب من الخصيان والموالي¹⁰

- 1 - المرجع السابق نفسه، ج2، ص 104.
- 2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 307. في وصف الأبلي بقهرمان الدولة.
- 3 - ابن خلدون، المقدمة، ص 226.
- 4 - المصدر السابق نفسه، ص 231.
- 5 - يُراجع: هيثم محمد محمد السائيس، "الحجابه في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة بني مرين 86 - 869 / 681 - 1465 م"، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (مرقونة)، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية الإسلامية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1434 هـ / 2013 م.
- 6 - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 104.
- 7 - السلاوي، المرجع السابق، ج 4، ق 2، ص 89.
- 8 - المرجع السابق نفسه، ج 4 ق 2، ص 187.
- 9 - الدراجي، المرجع السابق، ص 134.
- 10 - أصله من موالى بني زيان... السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 89، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، دُرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تح، محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1423 هـ - 2002 م، مج 2، ص 413 - 414.

واليهود¹ حتى !. طبعًا لم يخل الأمر من حالات تولى المنصب فيها قامات علمية وأدبية، كأبي عبد الله بن محمد التميمي.²

مهام الحاجب / المزوار:

أدى الحاجب دورا بالغ الأهمية في عهد بني مرين، بحيث أنه كان بمنزلة رئيس التشريعات اليوم لدى رئيس الدولة، فيُنظّم مقابلاته وتنقلاته، ويشرف على الاستقبالات الرسمية³، بالإضافة إلى عقد البيعة⁴، وحجب السلطان عن العامة⁵، وحفظ باب السلطان، والسهر على أمنه الخاص، والمبيت في دار الملك، للإشراف على إغلاق أبواب الحضرة، وفتحها في الأوقات المحددة، وإيداع المفاتيح في دار الخلافة⁶، مع تنفيذ أوامر السلطان، وتصريف عقوباته وإنزال سطواته، وحفظ المعتقلين في سجونهم، والعريف عليهم في ذلك.⁷

وكان الحاجب مع هذا يقوم أحيانا بمهام استثنائية، كخبر عامر بن فتح الله السدراتي⁸ الذي تولى قيادة حامية سبتة سنة 728 هـ / 1327م⁹. وهو ذاته الذي ارتقى نحو الوزارة مُتقلبا في نعم بني مرين بعد أن حاز ثقتهم¹⁰ لكفاءته وسابقه أبيه.¹¹

وقد يجتمع للحاجب - المزوار - أحيانا وظائفُ أخرى، نظرا لتقلبات السياسة وتوازنات البلاط، وسابقة الآباء¹، كما فعل أبو عنان مع حاجبه محمد بن عمرو، الذي افتتح ثغر بجاية؛ إذ اختصه بـ:)

- 1 - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 101.
- 2 - الذي أورد له يحيى ابن خلدون ترجمة وصفه فيها بالوزير الحاجب، ج 1، ص 132.
- 3 - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 103 - 104.
- 4 - المرجع السابق نفسه، ج2، ص 101.
- 5 - ابن خلدون، المقدمة، ص231.
- 6 - السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 87.
- 7 - ابن خلدون، المقدمة، ص 231.
- 8 - أما هو فتولى الوزارة زمن دولة عثمان بن يعقوب أبو سعيد دولة علي بن عثمان أبو الحسن، وتولى ابنه فتح الله بن عامر بن فتح الله وزير زمن دولة أخيه تاشفين أبو عمر. ابن الأحمر، روضة، صفحات: 24 - 26 - 32.
- 9 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 327.
- 10 - يُنظر الخبر عن نزول أبي سالم المريني بداره، عند نجاحه في الاستيلاء على المغرب. المصدر السابق نفسه، ص 405.
- 11 - أبو سالم فتح الله بن عمر بن محمد السدراتي، تولى الوزارة زمن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، ابن الأحمر، روضة، 18، وأخبر ابن خلدون بأن أبا يعقوب المريني (استوزر صنيعته فتح الله السدراتي و أجرى له رزق الوزارة على عوائدهم). تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 258.

العلامة والقيادة و الحجابة و السفارة وديوان الجند والحساب و القهرمة و سائر ألقاب دولته وخصوصيات داره². كما وقد تُضم وظيفة الحجابة إلى وظيفة أخرى، يضطلع بهما شخصاً واحداً، كخبر عبد الله بن أبي مدين³ زمن أبي يوسف يعقوب وخلفائه⁴، وخبر أبي المكارم منديل بن محمد الكناني⁵ زمن دولة عثمان بن يعقوب أبو سعيد⁶، اللذين جمعاً بين الحجابة والكتابة، ودفعا حياتيهما ثمناً للولاء والعداء السياسي.

ولقد مرت فترات اختفى فيها منصب الحجابة من الدولة⁷، مما يدل على أنه ضعفت مكانته السلمية، حتى أُدمج في صلاحيات موظفين آخرين على غرار الكتابة والوزارة خصوصاً، كل ذلك يفسر طبيعة التداخل في الوظائف السلطانية، لاعتبارات السياسة وطبيعة الحكم ومتغيراته يومئذ. كما ومرت

- 1 - يُنظر التفصيل عن نشأة الحاجب ابن أبي عمرو توأماً وخليلاً لأبي عنان، وما نتج عنه من محبة أبي عنان واختصاصه محمداً بالخطط والوظائف السلطانية... ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 386 وما بعدها.
- 2 - يُنظر طرف من أخباره عند ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 383 - 387.
- 3 - وصفه ابن خلدون منزلته من السلطان المريني بأنه (من صنائعه ويثق بأمانته) ووصفه بأنه: (...المضطلع بأمر مملكته) ... وأنه: (...قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين الكاتب). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 306، وص 309، وص 324. ولم تشفع كل تلك الخدمات لهذا القهرمان الكاتب الحاجب، إذ سرعان ما قتل بمكيدة خليفة اليهودي (فدس إلى السلطان أن عبد الله بن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته، وأن صدره وغل بذلك، وأنه مترصد بالدولة، فتعجل السلطان دفع غائلته، واستدعاه... فاستحثه قائد الروم بمقبرة ابني يحيى بن العربي، فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبته على ذقنه، واحتتر رأسه وألقاه بين يدي السلطان، ودخل الوزير سليمان بن يريزكن فوجده بين يديه، فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة، حسرة وأسفاً، وأيقظ السلطان لمكر اليهودي، فوقفه على براءة كان ابن أبي مدين بعثها للسلطان معه، بالتنصل والحلف فتيقظ وعلم مكر اليهودي به فندم وقتل لحينه بخليفة بن وقاصه وذويه من اليهود المتصددين للخدمة وسطاً بهم سطوة الهلكة...). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 315 - 316.
- 4 - ابن الأحمر، روضة، ص 21 - 22.
- 5 - وانتهت حياته غيلة بأبشع الصور ثمناً للمهاترات السياسية وأحقاد الكرسي: (...وكان الأمير أبو الحسن يحقد عليه ولاية أخيه أبي علي، لما كان بينهما من المنافسة، وكان كثيراً ما يوغر صدره بإيجاب حق عمر عليه، وامتهانه في خدمته، وطوى له على النث، حق إذا انفرد بمجلس أبيه و فصل عمر إلى سجلماسة، أحكم السعاية فيه و الحاح في الهلكة، التي أحكم السلطان عليها أذنا واعية، حتى تأذن الله بإهلاكه، وكان منديل هذا كثيراً ما يُغضب السلطان في الخاورة، والخطاب دالة عليه و كبراً، فاعتد عليه من ذلك كلمات و أحوالاً، و سخطه سنة ثمان عشرة و سبعمائة، وأذن لابنه الأمير أبي الحسن في نكبته، فاعتقله و استصفى أمواله، وطوى ديوانه و امتحنه أياماً، ثم قتله بمحبسه خنقاً و يُقال جوعاً...). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 324 وما بعدها.
- 6 - ابن الأحمر، روضة، ص 24.
- 7 - المصدر السابق نفسه، صفحات: 23، 30 - 31، 32، 34، 35.

فترات أخرى ارتفع فيها شأن الحاجب على بقية الموظفين السامين، بل وعلى السلطان نفسه!، حتى جمع وظيفة الكتابة إليه، بل وصار بمقدوره، اختصاص قرابته بالوظائف والخطط السلطانية دون غيرهم كخبر الحاجب أبي العباس القبائلي¹، الذي دفع حياته ثمناً للتطاحن البغيض على الاستبداد والسيطرة على حكم القصر وساكنه.²

وعرفت فترات سيطرة الحاجب وقوته، شخصيات عنيفة دموية، وأخرى تركت بصمات الخيرية على قرارات الدولة وحياة الرعية، كخبر أبي محمد الطريفي³، الذي (كان من فضلاء الحجاب وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بفاس الحديد وحبس عليه كتباً كثيرة....)⁴.

ومن خلال مطالعة المصادر واستقراءها، نجد في المنصب أحياناً كثيرة حاجب واحد⁵، وأحياناً حاجبان⁶، وأحياناً أكثر⁷، وأحياناً كثيرة يختفي المنصب بضمه إلى وظيفة سلطانية أخرى سواء الوزارة أو الكتابة⁸، ومن الحجاب من يتولى لفترة واحدة، ومنهم من يتولى مدداً وفترات كثيرة، نظراً للمتغيرات التي رفعت الحاجب وخفضت السلطان وبقية الموظفين السامين، فصار الأول حاكماً بنفوذه على الثاني ومن دونه. وفيما يلي بسط الجُلُّ للشخصيات التي تولت المنصب: عتيق المولى الخصي في دولة أبي يوسف

- 1 - (أحمد بن علي القبائلي وزير صاحب المغرب كان سلفه من خواص بني عبد المؤمن وقتل أبوه أبو الحسن سنة اربع وسبعين بيد يعقوب بن عبد الحق المريني وكان كاتباً مطيقاً ونشأ ولده فأتقن الكتابة وياشر الأعمال السلطانية وكانت له معرفة في الحساب وصناعة الديوان فلما ظهر السلطان أبو العباس امتحن ثم خدمه ولزم خدمته وناصحه وقام بعده بولاية ولده أبي الفارس ثم عقد لأخيه أبي عامر ثم بيعة أخيه أبي سعيد ثم أوقع أهل الشر بينهما فأرسل إليه وإلى ابنه عبد الرحمن فسجنهما ثم ذبحهما في شوال سنة ثلاث وثمانمائة وكان عارفاً بحسن السياسة). ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح، حسن حبشي، القاهرة، مصر، 1415 هـ - 1994م، ج2، ص 155.
- 2 - ويُنظر عنه أيضاً: يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الواوي، تح، سعيد عبد الفتاح عاشور وغيره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، القاهرة، مصر، ج 1، ص 217.
- 3 - دفع حياته ثمناً لقتال الاخوة على كرسي حكم بني مرين...وصفه المقريري بفساد التدبير: (حتى لقد كان أعظم الأسباب في فساد المغرب وزوال بني مرين، وذلك أنه أوقع بين السلطان - أبي سعيد - وبين صاحب افريقية أبي فارس....)، المقريري، المصدر السابق، مج 2، ص 413 - 414.
- 4 - السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 90.
- 5 - ابن الأحرر، روضة، ص 18.
- 6 - المصدر السابق نفسه، صفحات: 22، 40 - 41.
- 7 - المصدر السابق نفسه، ص 21.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 21 - 24، وص 30 - 35.

يعقوب بن عبد الحق¹، والكاتب عبد الله بن أبي مدين²، واليهودي خليفة بن حيون بن رقاصة³، وعنبر الخصي⁴ في دولة أبي يعقوب يوسف.⁵

عبد الله الزرهوني، والمولى فرج الخصي، وعبد الله بن أبي مدين في دولة أبي ثابت عامر بن عبد الله⁶، وأبو المكارم منديل بن محمد الكناني في دولة عثمان بن يعقوب أبي سعيد.⁷

عبد الواحد بن ناصح، وأبي حسون علال⁸ في دولة علي بن عثمان أبي الحسن⁹، ومحمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، وعمر بن ميمون بن محمد بن آصمود الهسكوري، وعمر بن عبد الله بن علي الياباني في دولة أبي عنان.¹⁰

أبو العباس أحمد بن علي القبائلي في دولة أحمد بن أبي سالم¹¹، وأحمد بن علي القبائلي، بن مهدي في دولة أبي عامر¹²، ثم أحمد بن علي القبائلي، وفارح بن مهدي مجدداً في دولة عثمان أبو سعيد¹³، ثم أحمد بن علي القبائلي، دولة المستنصر أبي العباس الدولة الثانية.¹⁴، وأبو محمد الطريفي و الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملياني في دولة عثمان أبي سعيد.¹⁵

ج - الكتابة:

- 1 - المصدر السابق نفسه، ص 18.
- 2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 315 - 316.
- 3 - المصدر السابق نفسه، ص 307 وما بعدها.
- 4 - المصدر السابق نفسه، ج 6، ص 522.
- 5 - ابن الأحرر، روضة، ص 31.
- 6 - المصدر السابق نفسه، ص 22.
- 7 - المصدر السابق نفسه، ص 24.
- 8 - الحاجب الاقرب لأبي الحسن هو، ودائما ما يُوصف بثقتهم -أي بني مرين - الأرضى.. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 338.
- 9 - ابن الأحرر، روضة، ص 26.
- 10 - المصدر السابق نفسه، روضة، ص 27.
- 11 - ابن الأحرر، روضة، ص 38.
- 12 - المصدر السابق نفسه، ص 40.
- 13 - المصدر السابق نفسه، ص 41.
- 14 - السلاوي، المرجع السابق، ج 4 ق 2، ص 74.
- 15 - المرجع السابق نفسه، ص 90.

ارتفع شأن هذه الوظيفة، خصوصا مع اشتداد عود الدولة¹، وصار الكاتب أحد أعمدة الحكم المريني الذي يعضد السلطان ويعاونه². مما يُفسر كثرة الكُتاب، نظراً لتوسع الدولة وتعدد الاحتياجات الإدارية³، وكان لجمهرة الكُتاب (رئيس يتولى تنظيم شؤون أعمالهم ويوجههم أسلوبا وإدارة)⁴.

ووردت تسميات عدة للوظيفة، تعكس الوزن السياسي للمنصب، الذي شابه الوزارة أهمية وخطورة⁵، وتُفسر طبيعة تعدد المهام وتوسعها، فصاحب القلم الأعلى، والوزير الكاتب⁶، والفقير الكاتب، وشيخ الكُتاب، ورئيس الكُتاب، وكاتب السر، وكاتب السر والانشاء⁷، وصاحب العلامة⁸. وشكلت كتابة العلامة، أرفع رتب الكتابة لدى بني مرين⁹، ويُسمى مُتقلدها: **صاحب العلامة**، والتي بدأ تنظيمها أيام

1 - يقول ابن خلدون: (لما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب، واستقل بولاية العهد، و تغلب على الأمر ابنه أبو علي، وكان محبا للعلم مولعا بأهله منتحلا لفنونه، وكانت دولته خلوا من صناعة التراسل مذ عهد الموحدين، للبداءة الموجودة في أولهم، وحصل للأمر أبي علي بعض البصر بالبلاغة و اللسان، تظن به لشأن ذلك و خلو دولتهم من الكُتاب المرسلين، وأنهم إنما يحكون الخط الذي حذقوا فيه). 7 تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 328. وهنا مبدأ ارتفاع شأن عبد المهيمن الحضرمي، وسيأتي الحديث عنه قريبا.

2 - عزاوي، مختصر، ج2، ص 133.

3 - كان كاتب الأشغال، يتولى أمر الجباية والخراج، كما يتولى ديوان الجيش، فيشرف على إحصاء العساكر: بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إباناتها، وهو مسؤول أمام السلطان، أو الوزير، وخطه معتبر في صحة الحسابان في الخراج والعطاء. كما وألحق بهذه الوظيفة كتاب للخراج وأهل الحساب والمساحة، ولم يستعمل فيه أبو الحسن المريني أحدا من أهل الذمة في هذه الخطوة، مما يدل على الأهمية البالغة التي كان يحظى بها متولي هذه الوظيفة... ابن خلدون، المقدمة، ص ص 232 - 234، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 378.

4 - (وامتازت الكتابة في هذا العهد بطولها وتحويلها شأن الدول الإسلامية الأخرى التي أخذت بحظ وفير من الحضارة، ومن الأساليب التي التزمها كتاب هذا العهد أن مخاطبة المكتوب إليه والمكتوب عنه قد تكون بميم الجمع أو نونه وذكر اسم المكتوب إليه في ثنايا الكتاب ... ويستوي في ذلك أهل الأندلس وأقطار المغرب). حركات، المرجع السابق، ج2، ص 106.

5 - العبادي، المرجع السابق، ص 212.

6 - عزاوي، مختصر، ج2، ص 133.

7 - العبادي المرجع السابق، ص 212.

8 - المنوني، ورفات، ص 83.

9 - محمد بن أحمد الأمراني، مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية والفقهية، مجلة دعوة الحق، ع 286 صفر/ربيع 1/ربيع 2/ شتنبر-أكتوبر-نونبر 1991، الرباط، المغرب.

يوسف بن يعقوب الذي قصرها حينها على كاتب معين¹، وصاحب العلامة هو (الذي يضع شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، وقد اختلفت آراء الملوك فيها، فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر، ولم يتخذ لها كاتباً... وبعض الملوك يُقدم لكتبتها رئيس كتبته، وربما شارك بعضهم في كتب العلامة كاتبه المقدم عليها، كبني مريم ملوك المغرب، فإذا رأيت الصك المريمي وعلامته: و : وكتب في التاريخ المؤرخ به فهي بخط يده²، وإذا كانت: وكتب في التاريخ، فهي بخط صاحب العلامة)³. وكان من ملحقات هذه الوظيفة كاتب الإنشاء والصكوك، وكاتب التوقيع على القصص المرفوعة للسلطان... وأصناف آخرون من الكتاب.⁴

مواصفات اختيار الكاتب:

يمكن تلخيص تلك المواصفات من خلال استقراء النصوص والروايات التاريخية:

الكفاءة والإتقان، وهو ما يُفسر تركزها في يد أسر معينة⁵، و أن يكون الكاتب من علماء الحضرة وفقهائها، صدرا من الصدور المبرزين في الفقه والحديث والخطابة⁶، مع التميز في الأداء والفهم الموسوعية المعينة على الفهم وحسن التعبير الدقيق (ما بين قاض وخطيب وسري ماجد وحسيب..)⁷، وكذا لزوم الوفاق وحسن الخلق المورث للحكمة والتأني⁸، وأن يكون على قدر من (العلم والبلاغة والمعرفة بالأمثال والتاريخ والتفسير، والحجج العقلية والنقلية والأمور السياسية والقواعد الملكية، كما يعرف مقادير الناس ومكانتهم من الدولة)⁹. كما اشترطت البراعة في الكتابة والخط، وإجادة الشعر¹⁰، والأمانة والثقة، نظراً

- 1 - (وكانت العلامة السلطانية على الكتاب في الدولة، لم تختص بكاتب واحد بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه إذا أكمله، لما كانوا كلهم ثقاتاً أمناء وكانوا عند السلطان كأسنان المشط... واقتصر السلطان من يومئذ في علامته على من يختاره من صنائعه ويثق بأمانته). ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 305 - 306.
- 2 - أي السلطان المريمي.
- 3 - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 20 - 21.
- 4 - المنوني، وركات، ص 85.
- 5 - ابن خلدون، المقدمة ص 231.
- 6 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 374 - 377.
- 7 - المصدر السابق نفسه، ص 377.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 375.
- 9 - حركات، المرجع السابق، ج 2، ص 107.
- 10 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 375.

لكون الكتابة لسان حال السلطان في السلم والحرب والدماء والأموال.¹، واستُبعد أهل الذمة من هذه الخطة زمن أبي الحسن.²

مهام الكاتب:

قراءة الكتب السلطانية والوارد من المراسلات، وإنشاء ما كان مُعداً للإرسال³، والمشاركة في الحملات العسكرية ويحكي يحيى ابن خلدون كيف أنه كان في معسكر الجيش المريني، المرتقب للهجوم الزياني، في سنة 761 هـ / 1360م ويصف حالة الرعب والترقب⁴، كما تُوجه إليه الكتب حيث كان لوضع علامته، كخبر **أبي محمد عبد المهيمن**⁵، فعند تعذر ذلك (قدم لها الفقيه أبو الفضل ابن أبي محمد بن أبي مدين...)⁶.

ومن أهمية منصب كاتب السر⁷ وخطورته اختصاص السلطان به والخلو به بل (إنه في بعض الليالي قد يؤمر بالمبيت بخاصته)⁸، فضلاً عن الراتب المجزي (في كل يوم مثقالان من الذهب، وله محيران في قريتين يتحصل منهما متحصل جيد...)⁹.

1 - كما حصل بين أبي الملياني الفائز، الذي كتب كتابا وختمه بلسان السلطان يوسف بن عبد الحق زورا، لقتل مشيخة المصامدة، ما دفع السلطان المريني للاحتياط من يومها فيما يتولاها. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 305 - 306.

2 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 375.

3 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 328.

4 - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 176، ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 456.

5 - حلاوة ابن خلدون بترجمة دقيقة ووافية، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 328 - 329، ابن الاحمر، مستودع، ص 51.

6 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 264.

7 - (وأما ما يكتب عن هذا السلطان فمن عاداته أنه إذا كتب عنه كتاب يكتب في أوله بخط الكاتب بعد، بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : من أمير المسلمين المجاهد بهم في سبيل رب العالمين أبي سعيد عثمان... فإذا انتهى الكتاب إلى آخره وختمه الكاتب بالتاريخ، كتب هذا السلطان بخطه في آخره ما صورته: وكتب في التاريخ المؤرخ به). (ولم يكتب أحد من ملوك بيته هذا بيده، بل كان كاتب السر هو الذي يكتب هذا إلا أن هذا السلطان أبو الحسن وأخوه أبو حفص عمر حين حياته. هذا مع وثوقه العظيم بكاتب السر الفقيه الفاضل أبي عبد المهيمن بن الحضرمي واعتماده عليه ومشاركته في أمر له.). العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 112.

8 - المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 109.

9 - العمري، المصدر السابق، ج 4، ص 111 - 112.

والملاحظ أيضا أن هذا المنصب كان يُسند لشخص واحد¹ أحيانا لفترة طويلة، نظرا لكفاءته، وإخلاصه للقصر، فضلا عن إحاطته مع مرور الوقت بأسرار نظام الحكم ومفاتيح القرار السياسي، وأحيانا كانت الكتابة تُسند لأكثر من شخص²، حتى اشتهرت عوائل بعينها، سيطرت على المنصب رداً من الزمن على غرار اختصاص عائلة ابن أبي مدين³ (التي تولى منها في هذا الوظيف عبد الله بن أبي مدين ليعقوب المنصور، وليوسف، وأبي ثابت، كما تولوها الحاج محمد بن أبي مدين وأخواه القائم والقصري في عهد أبي سعيد، ومحمد بن عبد الله ومحمد بن الحاج وابن أبي القاسم في عهد أبي الحسن..)⁴ ومن الحجاب من تولى منصب الكتابة، نظرا للكفاءة الأدبية التي امتازوا بها، وغير بعيد أن يكون ذلك أحد مظاهر ارتفاع وظيفة على أخرى. كخبير الكاتب الحاج عبد الله بن أبي مدين العثماني، زمن دولة أبي يعقوب يوسف و دولة أبي ثابت عامر بن عبد الله⁵، وخبير أبي المكارم منديل بن محمد الكناني⁶ زمن دولة عثمان بن يعقوب أبو سعيد⁷، وخبير محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، زمن أبي عنان دولة المتوكل موسى أبو فارس.⁸

كما عرف البلاط المريني أسماء أندلسية تولت المنصب، وتركت بصماتها عليه، نظرا لما تمتعت به من كفاءة وخبرة، كخبير الكاتب الفذ الشهير أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي، الذي تولى المنصب⁹، واستمر فيه لفترة طويلة شهدت أحداثا خطيرة، وجسيمة هزت استقرار الدولة، وهددت بسقوطها مرات ومرات، من خلال التطاحن الداخلي على الكرسي بين الوزراء، وكبار الموظفين، كل ذلك يدفعنا للاعتقاد الجازم أن ثبات أبا القاسم في منصبه كل هذا الوقت، كان نابعاً من كفاءة سياسية، وقُدرة على التعايش مع مختلف الوقائع والأزمات، إن لم يكن مشاركا فيها مُدلياً برأيه وخبرته، ولا أدل على ذلك من تأليفه الكتاب الشهير: (الشهب اللامعة في السياسة النافعة)¹⁰، ومن الأسماء

- 1 - ابن الأحرر، روضة، صفحات: 22 - 30 - 32 - 34 - 38 - 40، ابن خلدون، المقدمة، ص 231.
- 2 - ابن الأحرر، روضة، صفحات: 18 - 24 - 26 - 28 - 31 - 33 - 35 - 36 - 38.
- 3 - ابن الأحرر، مستودع، ص ص 45 - 47.
- 4 - حركات، المرجع السابق، ج2، ص 106.
- 5 - ابن الأحرر، روضة، ص 21 - 22.
- 6 - ابن الأحرر، مستودع، ص 40.
- 7 - ابن الأحرر، روضة، 24.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص ص 28 - 36.
- 9 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 374، ابن الأحرر، روضة، ص ص 29 - 35.
- 10 - حلاله ابن الأحرر بترجمة وافية، مستودع، ص ص 51 - 56.

الأندلسية أيضاً: الكاتب والسفير أبي القاسم محمد بن يحيى البرجي الغساني زمن أبي عنان ثم أبي سالم.¹

بالإضافة إلى نخبة من الشخصيات، مثل: محمد بن الفقيه الكاتب محمد بن سعد الكلبي المعروف بالكناني، وأخيه لأبيه أبي الطيب سعيد، ومحمد بن أحمد بن الربيب الكاسي، ومحمد بن عمران زمن دولة أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق.²

وعبد الله بن أبي مدين العثماني³، الكاتب والحاجب، زمن دولة أبي يعقوب يوسف، ودولة أبي ثابت عامر بن عبد الله⁴، وزمن دولة سليمان أبي الربيع⁵. وأبي المكارم منديل بن محمد الكناني⁶ حاجب وكاتب زمن دولة عثمان بن يعقوب أبو سعيد.⁷

عبد المهيمن بن محمد الحضرمي⁸ كاتباً زمن دولة عثمان بن يعقوب أبي سعيد، وعلي بن عثمان أبي الحسن⁹، وزمن دولة المستنصر أبي العباس الأولى¹⁰، وأبي محمد صالح بن حجاج اللخمي¹¹، وأحمد بن أبي مدين العثماني، وأخيه أبي القاسم بن أبي مدين¹²، وأخاهما محمد بن أبي مدين المعروف بالقصري¹³، زمن دولة عثمان بن يعقوب أبو سعيد¹⁴

1 - ابن الأحرر، مستودع، ص 56.

2 - ابن الأحرر، روضة، ص 18.

3 - ابن الأحرر، مستودع، ص 41.

4 - المصدر السابق نفسه، ص 21 - 22.

5 - المصدر السابق نفسه، ص 22.

6 - (كان أبوه من عليّة الكتاب..)، ثم خلفه ابنه بتولي العلامة ابن خلدون ج 7 ص 324 - 325 .

7 - ابن الأحرر، روضة، ص 24.

8 - يُنظر طرف من أخباره أيضاً عند: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 374، ص 264.

9 - ابن الأحرر، روضة، ص 27.

10 - المصدر السابق نفسه، ص 35.

11 - ابن الأحرر، مستودع، ص 41.

12 - المصدر السابق نفسه، ص 45.

13 - المصدر السابق نفسه، ص 45.

14 - ابن الأحرر، روضة، ص 24.

وأبو الفضل محمد بن عبد الله بن أبي مدين وأبو المجد محمد بن الحاج أبي مدين، وعلي بن علي القبائلي الموحد التينملي، زمن دولة علي بن عثمان أبو الحسن¹، ومحمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي كاتب وحاجب، زمن أبي عنان دولة المتوكل موسى أبو فارس.²

وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي، الذي تولى المنصب خلال دولة أبي الحسن³ ثم ابنه أبي عنان، ودولة أخيه أبي بكر السعيد، ودولة أبي يحيى، ودولة إبراهيم أبي سالم، ودولة تاشفين أبي عمر، ودولة المتوكل أبي زيان، ودولة عبد العزيز أبي فارس، ودولة السعيد أبي زيان، ودولة المستنصر أبي العباس الأولى⁴.

وعبد الله بن إبراهيم بن الحاج النميري⁵، ومحمد بن أبي القاسم بن أبي مدين⁶، وعبد الرحمان ابن خلدون⁷ زمن دولة ابنه أبي عنان.⁸

وعلي بن محمد بن مسعود الخزاعي⁹، زمن دولة عمه إبراهيم أبي سالم.¹⁰، وأبي القاسم البرجي¹¹، زمن دولة عبد العزيز أبي فارس.¹²

وعبد المهيم بن أبي سعيد بن عبد المهيم الحضرمي، ومحمد بن حسن البجائي¹³، وأبو يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، زمن دولة المستنصر أبي العباس الدولة الأولى¹⁴، وأبي يحيى

1 - المصدر السابق نفسه، ص 26.

2 - ابن الأحرر، روضة، ص ص 28 - 36.

3 - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 374.

4 - ابن الأحرر، روضة، ص ص 29 - 35.

5 - ابن الأحرر، مستودع، ص 69.

6 - المصدر السابق نفسه، ص 47.

7 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 67، ابن الخطيب، الاحاطة، ق 4، ص 520.

8 - ابن الأحرر، روضة، ص 29.

9 - ابن الأحرر، مستودع، ص 62.

10 - ابن الأحرر، روضة، ص 31.

11 - وهو المتولي لمنصب القضاء لثلاثة خلفاء مضوا، وسيتولاه مرة أخرى لأبي زيان محمد بن عبد العزيز.

12 - ابن الأحرر، روضة، ص ص 31 - 34.

13 - ابن الأحرر، مستودع، ص 74.

14 - ابن الأحرر، روضة، ص 35.

بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، زمن دولة المستنصر أبي زيان، ودولة الواثق أبي زيان¹. ثم منصور بن أحمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، زمن دولة الواثق أبي زيان². والشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسيني السبتي، والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي، زمن دولة أحمد بن أبي سالم، ودولة المستنصر أبي العباس الثانية³. ويحيى بن الحسين بن أبي دلامة التسولي⁴. زمن دولة أحمد بن أبي سالم، ودولة المستنصر أبي فارس، ودولة المستنصر أبي العباس الثانية⁵.

4 - الوظائف السلطانية في الدولة النصرية:

أ - الوزير

مثل الوزير الشخصية الكبيرة الأهمية بعد السلطان، في سدة الحكم النصري، وأركان مؤسسات الدولة⁶، ما لم يتقدم عليه ولي العهد⁷، أو الحاجب⁸، أو حالات تعطيل المنصب⁹، ثم تأتي تنظيمات إدارية ومالية ومدنية وعسكرية¹⁰، كثيراً ما كان الوزير مهيمناً عليها¹¹، وهذا ما يُفسر اتخاذ هذه الشخصية لألقاب تدل على قوة النفوذ، والجمع بين سلطتي السيف والقلم¹²، من مثل: الرئيس¹، وعماد الدولة²، وذي وزارتين³.

1 - المصدر السابق نفسه، ص 38.

2 - المصدر السابق نفسه، ص 38.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 38.

4 - ابن الاحرر، مستودع، ص 75.

5 - ابن الأحرر، روضة، ص 40.

6 - الطوخي، المرجع السابق، ص 175.

7 - كخبز ولي العهد وأمير المسلمين لاحقاً محمد بن محمد بن يوسف بن نصر: (قام بالأمر بعد أبيه وبأشبهه مباشرة الوزير أيام حياته). ابن الخطيب، اللمحة، ص 38.

8 - المصدر السابق نفسه، ص 38.

9 - المصدر السابق نفسه، ص 118.

10 - حتاملة، المرجع السابق، ص 55.

11 - هبة محمد حال، النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)، أطروحة مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، جامعة بنها، كلية الآداب، الدراسات العليا، قسم التاريخ، السنة الجامعية، 2013م، ص 114.

12 - يقول ابن خلدون: (وأما الوزير فكالوزير، إلا أنه قد يجمع الترسيل...). المقدمة، ص 231.

مواصفات اختيار الوزير:

انتخب ملوك بني الاحمر وزراءهم وفق معايير وضوابط، من أهمها الوجاهة والمكانة الاجتماعية، كخبر أبي يحيى بن الكاتب، زمن محمد الفقيه (من أهل حضرته وأرباب النعم)⁴، وخبر وزير السلطان اسماعيل بن فرج: أبي الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي⁵ (من أعيان الحضرة وذوي النباهة).⁶

بالإضافة الى عراققة النسب، كخبر الوزير علي بن ابراهيم الشيباني⁷، زمن محمد الفقيه، (من وجوه أهل غرناطة أزدي النسب فاضل متخصص، ثم ابنه محمد بعده من ألي الدماثة والوقار)⁸، وخبر أبي سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني⁹: (وبيته معدود في بيوتات الأشراف، من أهل صُقع الشرق أخلق الناس).¹⁰

النباهة والكفاءة العلمية والأدبية¹¹، والحزم والجد، وحفظ السر، والوفاء للعرش¹²، وهو ما يُفسر ارتقاء أشخاص إلى المنصب، من غير ذي الوجاهة، وأحياناً من الأرقاء الإسبان¹³، وممن (لم تنهض به الشهرة ولم تفسح له المدة)¹⁴. على غرار ابن زمرك¹ الذي كان أبوه حدادا فقيرا، من حي البيازين

-
- 1 - المقري، المصدر السابق، مج 5، صفحات: 7، 22، 46، 108 – 109، وغيرها.
 - 2 - وعده القلقشندي (من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم). المصدر السابق، ج 2، ص 411. حرف العين المهملة.
 - 3 - المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 62، و ص 217، وفي مواضع أخر.
 - 4 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 32.
 - 5 - ابن الخطيب الاحاطة، مج 1، ص 85.
 - 6 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 66.
 - 7 - المصدر السابق نفسه، ص 33.
 - 8 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 32.
 - 9 - منسوب إلى بلدة دانية الشرق.
 - 10 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 38.
 - 11 - يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1412 هـ - 1992م، ص 62.
 - 12 - فرحات، المرجع السابق، ص 62.
 - 13 - الطوخي، المرجع سابق، ص 177.
 - 14 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 32.

الشعبي، وأبي بكر محمد بن عاصم² الذي كان من نسب وضيع أيضا. وعصام المملوك الذي صار وزيراً لمحمد بن اسماعيل، وخالد وكان مملوكا للسلطان محمد الخامس، ثم أصبح وزيراً لابنه السلطان يوسف الثاني³، وأبي النعيم رضوان، كان من الأرقاء النصارى. أُعتق وتسلم الوزارة وتحكم بشؤون الملك أيام محمد الرابع وأبي الحجاج يوسف ومحمد الخامس.⁴

- أبو السرور مفرج⁵، ولم يُعرف أن بني الأحمر عينوا أحداً من اليهود في الوزارة.⁶

- الإمام بفتون الحرب والقتال، تماشياً مع وضع المملكة الغرناطية الخاص وسط الأعداء. كخبر تولي أبي مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد، زمن المؤسس أبي عبد الله محمد بن يوسف الغالب بالله، وكان زعيم قاعدة جيان، (وهو الذي أمكنه من ناصيتها)⁷، وكخبر وزير السلطان نصر بن محمد: القائد أبي بكر عتيق بن محمد بن المول⁸، وخبر وزير السلطان اسماعيل بن فرج: القائد أبي عبد الله بن أبي الفتح نصير بن ابراهيم بن محمد بن نصير بن أبي الفتح الفهري.⁹

مهام الوزير:

مارس الوزير أدورا أساسية وبالغة الأهمية، تعكس حالة المملكة ونظامها ومحيطها، بجميع تحدياته وتناقضاته، فكان من مهامه: إيصال الرقاع، وفصل الأمر، والتنفيذ للحكم، والتزديد بينه وبين الناس¹⁰. وأخذ البيعة للسلطان الجديد عند موت أو اغتيال السابق¹¹، كما يحضر مجالس السلطان العامة والخاصة، ويذلل النصيح والمشاورة له.¹²

- 1 - يُنظر طرفاً من أخباره: الزركلي، مرجع سابق، ج 7، ص 154.
- 2 - فرحات، المرجع السابق، ص 62.
- 3 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 58.
- 4 - المصدر السابق نفسه، ص 90.
- 5 - كان من أصل نصراني. فرحات، المرجع سابق، ص 63.
- 6 - المرجع السابق نفسه، ص 63.
- 7 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 32.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 57.
- 9 - المصدر السابق نفسه، ص 66.
- 10 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 103.
- 11 - أخذ الوزير الجريح أبو الحسن بن مسعود، البيعة لمحمد اسماعيل بن فرج - عقب اغتيال والده -، ثم ما لبث الوزير أن مات من جروحه. ابن الخطيب، اللمحة، ص 74، و ص 81.
- 12 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 31 - 32، و ص 103.

وكان على رأس السلطة التنفيذية نائبا عن السلطان.¹، وينقل أوامر الملك (السلطان) ورغباته إلى أصحاب العلاقة داخل المملكة، والسهر على تنفيذها²، وهو الذي يهيمن على تصريف شؤون الدولة المدنية والعسكرية³، كخبر ضبط وزير - الأيسر - أبي القاسم محمد بن السراج للأمور وتحصين الثغور (وبثَّ العطاء في الجند وأجمل مواعد الناس، وتوقفت تلك الحال، ونزع الفتنة الكثيرُ ممن اشربُ إليها...)⁴، ويُسهَم بفعالية في الإشراف على السياسة الداخلية والخارجية وتوجيهها⁵، من خلال السفارات إلى الدول المجاورة، في حال السلم والحرب، أو طلب المعونة، أو تجديد الصلح، وتبادل المراسلات، ولذلك دخلت وظيفة الكتابة في صلاحيات الوزير⁶، فأُسندت - مثلا - أيام محمد الخامس إلى لسان الدين بن الخطيب الذي كثرت مراسلاته مع بني مرين ملوك فاس.⁷

- قيادة الحملات العسكرية لحماية أمن المملكة، من كل تهديد داخلي أو خارجي، كأخبار الوزير أبي النعيم رضوان⁸، أو سعيًا لفتح أو استعادة الحصون، كأخبار وزراء - الأيسر - أبي اسحاق ابراهيم بن عبد البر، وأبي القاسم بن السراج، وأبي السرور مفرج بن فتوح...⁹

واكتفى بعض سلاطين غرناطة بوزير واحد، بينما نجد في عهد السلاطين الآخرين عدة وزراء، ووصل عددهم إلى خمسة وزراء، فتعدد الوزراء لم تكن ظاهرة مستمرة مصاحبة لحكم بن الأحمر: فمحمد الفقيه ولى وظيفة الوزارة أبا سلطان عزيز بن علي بن عبد المنعم الداني. الذي كان يوقع الرسائل والوثائق

- 1 - ابن خلدون، الرحلة، ص 129، ابن الخطيب، ريجانة الكتاب ونجعة المتناهب، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ - 1980م، مج 1، ص ص 4 - 548.
- 2 - المصدر السابق نفسه، مج 2، ص ص 5 - 248.
- 3 - العبادي، المرجع السابق، ص 230.
- 4 - أبو يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تح، صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عملن، الأردن، 1410 هـ - 1989 م، 1، ص 312.
- 5 - فرحات، المرجع سابق، ص 62.
- 6 - ابن خلدون، المقدمة، ص 230.
- 7 - فرحات، المرجع السابق، ص 64.
- 8 - كالحملة على مدينة لورقة في شعر محرم 724 هـ / أوائل تشرين الأول 1331م.
- 9 - عنان، المرجع سابق، ك 4، ص 154 وما بعدها.

الملكية الى جانب توقيع السلطان¹، ومحمد الثالث كلف ابن الحكيم الرندي للاهتمام بشؤون الوزارة²، وأبو الجيوش عين عدة وزراء لإدارة الدولة³، واسماعيل الاول عين خمسة وزراء لإدارة الحكم⁴.

كما تولت عائلات مشهورة المنصب توارثا على غرار: آل الأمين وبني عبد البر، وبني قماشة، وبنيعش، وبني سراج وغيرهم.⁵

صور من استبداد الوزير:

حتمَّ منصب الوزارة السامي على الوزير. أن يكون قريباً من السلطان في قصره وحياته اليومية، وكان لهذا الأمر تبعاته وخطورته، ففي زمن قوة السلاطين، كان الوزير يعيش في ظل السلطان، يخشى العواقب من تقلب مزاج السلطان، أو تغير رؤاه اتجاهه⁶. وأما في حالات انقلاب ميزان القوة، والتأثير والنفوذ داخل القصر، فأصبح الوزير مسيطراً على مقاليد الحكم والقرارات بل وعلى حياة السلطان الخاصة. (وهذا الأمر خلق نوعاً من الازدواجية كثيراً ما كانت تنتهي بهلاك الوزير، وأحياناً بمقتل السلطان نفسه. وقد أدرك بعض الوزراء دقة المهمة الملقاة على عاتقهم وما ينتظرهم من مزالق وأخطار...)⁷.

كما ومرت فترات شهدت تدخل بعض الوزراء في الفتن والانقلابات، التي كان يقوم بها بعض بني الأحمر ضد بعضهم بعضاً⁸، فبعد اعتلاء السلطان أبي الحجاج يوسف عرش غرناطة، ثار عليه أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، فأسند السلطان يوسف أمر الوزارة إلى أبي القاسم محمد بن يوسف بن السراج، فسدَّ الوزير الثغور، وبث العطاء في الجند ونزع فتيل الفتنة⁹. وكثيراً ما كان الوزير عُرضة لنقمة السلطان أو إنعامه، لحسد الحاسدين¹⁰، أو بإيعاز من الطبقة الاولى في مجتمع غرناطة. (فالسلطان يوسف الأول اضطر

1 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 103.

2 - المصدر السابق نفسه، ص 50 - 51.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 57.

4 - المصدر السابق نفسه، ص 66.

5 - فرحات، المرجع سابق، ص 65.

6 - كان السلطان يعمل على خلع الوزير، واستبداله، إذا ما تجاوز الوزير حدود وظيفته. حتاملة، المرجع سابق، ص 62.

7 - فرحات، المرجع سابق، ص 65.

8 - حتاملة، المرجع سابق، ص 63.

9 - ابن عاصم، المصدر سابق، م ت، ج 1، ص 24 - 25.

10 - حتاملة، المرجع سابق، ص 62.

الى خلع وزيره ابراهيم بن عبد البر ونفيه الى المغرب، بعدما طلبت اليه الخاصة ذلك. أما أبو نعيم رضوان وابن المحروق، فقد لقيا المصير المشؤوم بتدبير الحاشية، وجل أفرادها من الأرسقراطية الغرناطية).¹

وعرفت الدولة فترات استبداد من الوزراء، إما لضعف السلطان، أو سابقة الوزير وعائلته في الخدمة، أو لكفاءة الوزير في الحفاظ على تماسك العرش، فتورطوا في المؤامرات والانقلابات. وسجل التاريخ تلك المحطات على غرار استبداد الوزير أبي عبد الله بن الحكيم² زمن محمد الثالث الملقب بالملخوع، وابن زمرك كان يتدخل في شؤون السلطان الخاصة وحياته اليومية³، والوزير محمد بن أحمد ابن المحروق⁴ زمن محمد الرابع.

و خبر الوزير أبي نعيم رضوان زمن السلطان يوسف الأول⁵، الذي نكبّه لاحقاً بالسجن، ثم عفا عنه وأعادته إلى منصبه⁶، والحال أيضاً مع الوزير ابراهيم بن عبد البر الذي استبد في تنفيذ الأمور، دون سلطانه يوسف بن اسماعيل بن فرج، فأمر بالقبض عليه، وعيّن غيره⁷، والوزير ابن الخطيب مع سلطانه محمد الخامس، فلما كثرت السّعايات فيه لاستبداده وعظم نفوذه، فرّ الى المغرب، قبل أن تنتهي حياته بأبشع الوصف⁸. وفي أحرّيات الدولة فشل السلطان الزغير⁹، في القضاء على عائلة بني سراج، وكانوا (ألدّ خصومه وأشدّهم مِراساً، فمال عليهم وطاردهم وعول على سحقهم، واستئصال نفوذهم القوي المتغلغل في أنحاء المملكة، وغادر يوسف بن سراج غرناطة، مع عدد كبير من السادة والفرسان من أفراد أسرته، تفادياً لانتقام - الزغير - وبطشه...)¹⁰.

- 1 - فرحات، المرجع سابق، ص 64 - 65.
- 2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 328، وهو يتحدث عن خدمة عبد المهيمن في بلاط غرناطة (واستكتب بدار السلطان محمد المخلوع و اختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن الحكيم الرندي).
- 3 - فرحات، المرجع السابق، ص 65.
- 4 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 80.
- 5 - المصدر السابق نفسه، ص 90.
- 6 - فرحات المرجع سابق، ص 60.
- 7 - الطوخي، المرجع سابق، ص 180.
- 8 - وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه بإذن الله.
- 9 - أو أبو عبد الله الصغير - ابن اخ الايسر او ولده.
- 10 - فسار (أولاً إلى ولاية مرسية ثم سار إلى اشبيلية ملتجئاً الى حماية ملك قشتالة خوان الثاني، فرحب بهم وأكرم وفادتهم. واتفق يوسف بن سراج مع ملك قشتالة على العمل لرد السلطان الأيسر الى العرش). عنان، المرجع سابق، ع 4، ص

نهاية الوزراء:

وكثيراً ما كان الوزير يعتقل لزيادة نفوذه، وانصراف الوجوه إليه، وغالباً ما كانت النهاية مأساوية، خصوصاً في ظل اصطناع الأعين والجواسيس هنا وهناك، وانتشار السّعايات والحقد والتنافس الشرير. كخبر اعتقال السلطان يوسف الوزير أبي القاسم بن السراج¹، كما وقد يُقتل الوزير لتغطية عجز ما، كالهزيمة في معركة. كخبر الهزيمة الفادحة للجيش الغرناطي في حملته على قشتالة، والتي قادها الوزير أبو اسحاق ابراهيم ابن عبد البر في 856 هـ / 1452م؛ وأمام فداحة الخسائر البشرية أصدر السلطان الأيسر الأمر بقتل الوزير المهزوم²، وهو ما سبب تدمراً وثورة انتهت بهروب الأيسر وتولي سعد³ اواخر 1453 م. ثم ما لبث الأيسر يحاول استرداد الملك، إلا أنه وقع في الأسر، وحُمل إلى غرناطة ليُنفذ فيه حكم الاعدام⁴. وتزامن قتله مع قتل الوزير ابن عاصم (مما يوحي أن هناك رابطة بين قتل ابن عاصم وقتل سلطانه...)⁵.

جمع بين وظيفتين:

(وكان بعض الوزراء يتولى - إلى جانب المهام المشار إليها - رئاسة القلم الأعلى، ومن هؤلاء على سبيل المثال: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان اللخمي الرندي، وزير ثالث ملوك بني الاحمر...)⁶. فقد قام بالوظيفتين معا لسان الدين بن الخطيب للسلطان: محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج، وهو ما صرح به قائلاً: (قُمْتُ لأول الأمر بين يديه بالوظيفة، التي أسندها إلي أبوه المولى المقدس...جامعاً بين خدمة القلم، ولقب الوزارة، معزز الخطط برسم القيادة، مخصوصاً بالنيابة عنه في الغيبة، على كل ما اشتمل عليه سور القلعة والحضرة)⁷. على أن أخطر ما مر به منصب الوزارة هو تعطيله مدة من الزمن، كخبر محمد

1 - ابن عاصم، مصدر سابق، م ت، ج 1، ص 25.

2 - ابن عاصم، المصدر السابق، م ت، ج 1، ص 30.

3 - جد أبي عبد الله الصغير.

4 - ابن عاصم، المصدر السابق، م ت، ج 1، ص 31.

5 - المصدر السابق نفسه.

6 - حتاملة، المرجع سابق، ص 64.

7 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 17.

ابن امير المسلمين ابي الحجاج - عاشرهم المخلوع - (اقتضى حزمه وحذره اهمال هذا الرسم، ومباشرة أمره بنفسه، فاستقامت حاله والحمد لله).¹

ج - الحجابة:

أُطلق هذا اللقب على كبير وزراء النظام النُصري²، ذي المكانة الخاصة³، ولم تعرف الدولة هذا المنصب، أو اللقب إلا في زمن محمد اسماعيل أبي عبد الله، في سنة 729 هـ / 1329م، يقول ابن الخطيب عن السلطان الصبي: (وناله الحجب واشتملت عليه الكفالة إلى أن شب وظهر...)، ثم استرسل ابن الخطيب في بيان تفاصيل الحجب: (وأقام رسم الوزارة والحجابة والنيابة، مولى أبيه القائد أبو النعيم رضوان الشهير الديانة والسعادة الى آخر مدته)⁴، وتسلم الحاجب بذلك ادارة المملكة السياسية والعسكرية⁵، بمعاونة وزراء لمختلف شؤون الحكم⁶. على أن المنصب لم يُحافظ على وجوده باستمرار بانتظام واستمرار⁷، (إنما كان يُعطى من حين إلى آخر لشخصيات بارزة غالبا ما كانت تفرض ذاتها على السلطان).⁸

ومن أشهر الذين تسلموا منصب الحجابة أبو نعيم رضوان زمن دولة محمد الرابع، و دولة يوسف الأول، ودولة محمد الخامس. كما تولاه الوزير أبو السرور مفرج زمن دولة يوسف الثالث.⁹

مواصفات اختيار الحاجب:

الولاء التام للقصر، والسابقة في خدمة البيت الحاكم، كخبر الحاجب أبي النعيم¹، بالإضافة للقيادة والحنكة الحربية السياسية.

1 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 118. نفسه، الاحاطة، مج 2، ص 31 - 33. وترجمته في الاحاطة، مج 4، ص 74 - 77.

2 - هبة، المرجع سابق، ص 145.

3 - فرحات، المرجع سابق، ص 63.

4 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 81.

5 - العبادي، المرجع السابق، ص 230.

6 - فرحات، المرجع سابق، ص 63.

7 - هبة، المرجع سابق، ص 146.

8 - فرحات، المرجع سابق، ص 63.

9 - فرحات، المرجع سابق، ص 63.

مهامة:

رئاسة القصر، وهو المنوط به توجيه الهيئة الحاكمة²، والاشراف العام على توجيه سياسة الدولة الداخلية والخارجية، مع الاستقلالية المطلقة في تنفيذ الامور، كتعيين الولاة على الأقاليم والعمال، بالإضافة الى تدبير الرعايا من عامة الشعب. والهيمنة على منصب الكتابة بتعدد اختصاصاتها، ومن جملة ذلك الرد على المخاطبات الرسمية. بالإضافة إلى قيادة الجيوش والاشراف على العمليات العسكرية.³

وبلغت صلاحيات الحاجب حدًا كبيراً، ولا أدلّ على ذلك من وصف ابن الخطيب، الجمل الدقيق عن أبي نعيم رضوان، لما وصفه في عيون سلاطين غرناطة بأنّه: (خاصة دولتهم)⁴ كما عدد في موضع آخر كمّ الصلاحيات التي تركزت في يد الحاجب أبي النعيم رضوان بقوله: (فاتصل نظره مستبدا عليه في تنفيذ الأمور وتقديم الولاة والعمال وجواب المخاطبات وتدبير الرعايا وقود الجيوش...)⁵. وأعتقد أنّ التداخل في الصلاحيات والمهام، بين الوزير والحاجب، هو الذي حدا بمن كتب عن النظام السياسي النُصري، بعدم تخصيص الحجابة بكلام مستقل، وإدراجها في منصب الوزارة فقط، خصوصاً وأن الحجابة طرأت على أجهزة الحكم النصري، بخلاف الوزارة. هذا رغم وضوح غلّوها الواضح على الوزارة، فمن دونها. ويتضح علو مكانة الحاجب على الوزير من أوجه كثيرة، كون الحاجب واحداً غالب الوقت، بينما تعدد وجود الوزراء كثيراً⁶، بالإضافة إلى المهام الإضافية، والنفوذ الكبير الذي صار يتمتع به الحاجب، كرئيس للوزراء، فهو من يتولى إيصال رؤية السلطان، وأوامره الى الطاقم الحكومي، كخبر الوزير ابن الخطيب مع رئيسه المباشر الحاجب رضوان.⁷

على أنّ أهمية منصب الحجابة في رأيي، قد انبثقت من أهمية الوزارة، التي خُصّصت بعناية السلاطين، من خلال طبيعة المهام الادارية والمالية والعسكرية الكبيرة، التي كُلف بها الوزير، فضلاً عن شروط ومعايير اختيار الوزراء، وإن انفرد الحاجب بتولي الموالي، والتركيز خصوصاً على الثقة والولاء للقصر، والكفاءة في

1 - وصفه ابن الخطيب بأنّه مولى والد السلطان محمد الرابع، وأنه (القائد ... الشهير الديانة والسعادة). وفي موضع آخر بأنّه: (القائد المعتمد بالتجلة المخصوص بالقدح المعلى من المزية، مفرغ الرأي وعقدة السلطان وبقية رجال الكمال من مشيخة ولاء بيتهم ...) اللوحة، ص 81، و ص 103.

2 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 31 - 32.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 91.

4 - المصدر السابق نفسه، ص 91.

5 - المصدر السابق نفسه، ص 91.

6 - ابن الخطيب، اللوحة، صفحات: 32 - 38 - 57 - 66 - 91 - 103 - 115.

7 - المصدر السابق نفسه، ص 103.

القيادة والادارة، باعتبار الحاجب نائباً للسلطان، وأحياناً كثيرة، سلطاناً بغير تنويج.!.، يقيم في القصر، وهو أول من تتناول إليه الأعناق بالاسترضاء، و الأعين بالاستعلاء، والأيدي - زمن الفتن - بالاغتيال¹، لذلك أرى أن منصب الحجابة ما هو إلا الوجه الاداري والقانوني، لاستبداد وزير كبير القدر على السلطان والدولة.

ب - الكتابة:

سُميت هذه الوظيفة المرموقة² بخطة الكتابة، والرياسة العليا لقلم الانشاء³، القلم الأعلى⁴، وديوان الرسائل⁵، والكتابة العليا⁶، وكانت هذه الوظيفة بجد ذاتها، مؤسسة مهمة أخرى، من مؤسسات الدولة⁷، تتبع للسلطان، الذي يضع خطه على السجلات كلها⁸، ومركزها قصر الحمراء⁹، وتشكلت من نخبة متميزة من الكُتاب¹⁰، يستعين بهم الوزير لتنفيذ المهام¹¹،

- 1 - كما حصل مع الحاجب رضوان، لما تسلل الثوار للقصر لقلب نظام الحكم، (وعالجوا دار الحاجب ففضوا أعلاقها ودخلوها فقتلوه بين أهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره...). ابن الخطيب، اللمحة، ص 108، يُنظر وصف ابن الخطيب للكائنة: الاحاطة، مج 1، ص 399، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 405.
- 2 - الطوخي، المرجع سابق، ص 186.
- 3 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 39.
- 4 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 51.
- 5 - المقري بنقل التمييز بين نوعين من الكُتاب: كاتب الرسائل، وكاتب الزمام، ويجعل كاتب الرسائل أعلاهما. يقول المقري: (وله حظ في القلوب والعيون...). مصدر سابق، ج 1، ص 217.
- 6 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 116.
- 7 - حتاملة، المرجع سابق، ص 63.
- 8 - فلم تكن هناك خطة العلامة كما لغيرهم من الدول. يُراجع المزيد عن ذلك: عائدة محمد عبيد، الكتابة والكتاب في مملكة (سلطنة) غرناطة في عهد بني الأحمر، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، العراق، مج 4، ع 13، حزيران 2012 م - رجب 1433 هـ، ص 9 وما بعدها.
- 9 - ابن خلدون، المقدمة، ص 246.
- 10 - ولا تعطينا المصادر الكبرى التي اهتمت بتاريخ بني الاحمر، معلومات وافية نستطيع من خلالها، اقامة الحدود التي كان يتحرك ضمنها كاتب الرسائل ومساعدوه على وجه دقيق. فرحات، مرجع سابق، ص 66.
- 11 - المرجع السابق نفسه، ص 65.

ويرأسها كاتب السر¹. ونظراً لقوة الأندلسيين الأدبية واللغوية، فقد أسند سلاطين الدولة منصب الكتابة المهم لمشاهير الأدباء، وارتقى بعضهم في الخدمة الملوكية². وعرفت الدولة فترات كثيرة، ارتقى الكاتب وزيراً، وفترات جمع الوزير الكتابة إلى صلاحياته، (حيث يعمل كاتب سر، أو أميناً خاصاً للسلطان..)³، كل ذلك يُوقفنا بطبيعة الحال، على الأهمية الكبيرة لهذه الوظيفة في سلم أولويات نظام الحكم النُصري.⁴

وتعددت الدواوين في الدولة، ومثّل ديوان الانشاء أهم الدواوين، التي كانت قائمة في المملكة، فإنه صار بمثابة مدرسة فكرية، تطارحت فيها قرائح مشاهير الكُتاب والأدباء⁵، إلى جانب دوره السياسي والاداري، (الذي كان يتولى شؤون المراسلات والمكاتبات التي تصدر عن الدولة أو ترد إليها)⁶، كما وُجد به إدارة للترجمة إلى اللغات الأوربية، وخاصة اللغة الإسبانية، وُجد أيضاً ديوان العطاء الذي يعرف بديوان الجند كان يختص في تسيير الأمور الخاصة بالجيش، وكذا ديوان العقد وديوان الحساب، وديوان الأعمال والجبايات.⁷

ومن أشهر الوزراء الذين تولوا رئاسة القلم الأعلى نذكر: أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم الرندي، وزير ثالث ملوك بني الأحمر⁸، ولسان الدين بن الخطيب للسلطان: يوسف بن اسماعيل بن فرج، ثم ابنه محمد⁹، وابن عاصم الغرناطي وزير السلطان الأيسر.¹⁰

مواصفات اختيار الكاتب:

- اشتهار النَّسب، كخبير أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن هيضم الرعيني¹¹ زمن

- 1 - حتاملة، المرجع سابق، ص 64.
- 2 - هبه، المرجع سابق، ص 116 - 117.
- 3 - حتاملة، المرجع السابق، ص 64..
- 4 - لمزيد التفصيل: هبه، المرجع سابق، ص 120.
- 5 - عبد الحلیم حسین جدوع الهروط، الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، أطروحة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، (مرفونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار، 1994، ص 35.
- 6 - عائدة، المقال السابق، ص 11.
- 7 - الطوخي، المرجع السابق، ص 189 - 190.
- 8 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 40.
- 9 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 91، وص 103.
- 10 - ابن عاصم، المصدر سابق، ج 1، م ت، ص 14.
- 11 - وصفه ابن الخطيب بأنه: (الكاتب المحدث الشهير... شهر بنسبه). ابن الخطيب، اللمحة، ص 32.

الاتصاف بالعلو في العلم والأدب¹، وسابقة البيت كخبر أعلام من البيت اللوشي²، وخبر محمد بن أحمد بن جزي، الذي ارتسم في الكتابة بعد فقد والده.³

- التميز وتنوع الاختصاص، بين المحدث، والفقهاء والأديب والعالم وغيرهم.⁴

- الإمام بأنواع الكتابة، والاشتمال على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زيد الأفكار، وجوهر الألفاظ⁵، وصار مع مرور الوقت الانتظام في هذه الوظيفة عصياً إلا على من علا في الزاد والبضاعة⁶، كخبر ابن البناء⁷، وأبي القاسم محمد الشريف الغرناطي.⁸

مهام الكاتب:

يتولّى إعداد المخاطبات الرسمية في الشؤون المختلفة، ويحرص على ضمان إقامة الصلة بين الحاكم والولاية، والشعب والخارج، من خلال تأمين المراسلات الرسمية⁹، بين تجديد الهدن¹⁰، وإبرام معاهدات الصداقة، أو الشكوى من بعض الخروقات¹¹، وأحياناً طلب عون النصارى لاستعادة الحكم¹². والوقوف

- 1 - يُنظر كلامٌ نفيس عن ذلك: القلقشندي، مصدر سابق، ج1، ص55 وما بعدها.
- 2 - ابن الخطيب، اللمحة، ص 40.
- 3 - يُنظر ترجمته الوافية عند ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 256 وما بعدها.
- 4 - حتاملة، المرجع سابق، ص 64.
- 5 - القلقشندي، المصدر سابق، ج1، ص55.
- 6 - عبد الحليم، المرجع سابق، ص 36.
- 7 - يُراجع شيء من ترجمته: المقرئ، المصدر سابق، ج6، ص 131.
- 8 - صاحب كتاب الحجب المستورة عن محاسن المقصورة. وقد خصّه المقرئ بترجمة وافية: مصدر سابق، ج 5، ص 189 وما بعدها.
- 9 - فرحات، مرجع سابق، ص 66.
- 10 - يُراجع وصف طريقة كتابة الرسائل الاندلسية الموجهة للمالك المجاورة. محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1406 هـ - 1986م، ص 99.
- 11 - المرجع السابق نفسه، ص 100 - 102.
- 12 - كما فعل البرميخو الذي أرسل رسالة إلى دون بطرة ملك أراغون سنة 762 هـ / 1361 م، يُراجع: أريج عاطف رواشده، رسالة ملك غرناطة (محمد السادس بن إسماعيل/البرميخو)، إلى ملك أراغون "بيدرو الرابع" سنة 762 هـ دراسة موضوعية فنية"، IUG Journal of Humanities , Vol 52, No5, 5102, pp 202-215

على رأس السلطان، والامسك في التهاني والمبايعات بيده، والكتابة والانشاء والعروض والجواب والخلعة والمجالسة¹، وإصدار الظهائر السلطانية، كخبر ابن الخطيب، الذي دوّن أغلب مراسلات² الغني بالله³.

ومن أهم الكتاب المعروفين الذين تسلموا ديوان الرسائل:

- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هيضم الرعيني⁴، و أبو بكر بن خطاب⁵، وكذا عمر يوسف بن محمد بن محمد بن سعيد اليحصبي اللوشي⁶، زمن أبي عبد الله محمد بن يوسف الغالب بالله المؤسس⁷. وأبي بكر بن يوسف اللوشي اليحصبي، ثم الأخوان أبو علي الحسن والحسين ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اليحصبي اللوشي، ثم كتب له أبو القاسم محمد بن عابد الأنصاري، قبل أن يؤخر لمعاقرته الخمر، ثم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم الرندي، زمن محمد الفقيه⁸.

وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن ابراهيم بن الحكيم اللخمي الرندي، ثم أبو بكر بن شبرين، وأبو عبد الله بن عاصم، وأبو اسحاق بن جابر، وأبو عبد الله بن اللوشي، وأبو محمد الحضرمي، وأبو الحجاج الطرطوشي، وأبو العباس بن القراف⁹، زمن محمد بن محمد الفقيه، وأبي الحسن بن الجياب¹⁰، زمن نصر أبو الجيوش، وأبي جعفر بن صفوان المالقي¹¹، ثم أبي الحسن بن الجياب مجددًا، زمن اسماعيل أبو الوليد وولده أبي عبد الله، وزمن حفيده يوسف أبي الحجاج، وعاون ابن الخطيب أستاذه أبا الحسن¹.

1 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 17.

2 - وكانت الرسائل تكتب غالباً (بممداد أحمر، إذ هو اللون المفضل، كما كانت إجمالاً على صفحة واحدة يترك فيها هامشان عريضان إلى يمين الرسالة وفي أسفلها. وغالباً ما تُنهي الرسالة السلطانية بالدعاء، و الشعار أو اللقب السلطاني، مثل - الغني بالله - و - لا غالب إلا الله -، ويعقب ذلك الخاتم والتوقيع والتأريخ الهجري. ثم تربط الرسالة بشرط من الحرير يدمغ بخاتم السلطان كدليل على أهميتها. حتاملة، المرجع سابق، ص 64.

3 - حمادة، المرجع سابق، ص 102.

4 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 4، ص 163 - 167.

5 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 426 وما بعدها.

6 - المصدر السابق نفسه، مج 2، ص 427.

7 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 33.

8 - المصدر السابق نفسه، ص 40.

9 - المصدر السابق نفسه، ص 51.

10 - المصدر السابق نفسه، ص 58.

11 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 66.

- ابن عاصم الغرناطي² زمن الأيسر³، وهو الذي تقلّب (في كثير من المناصب، وشغل العديد من الوظائف، وقد ذُكر أنه وليّ اثنتي عشرة خطة في وقت واحد من القضاء، والوزارة، والكتابة، والخطابة، والإمامة، والكتابة الديوانية السلطانية خلفاً لأبيه، وهذا ما يُفهم من الألقاب التي أُسبغت عليه من قبل الأدباء، وأصحاب التراجم، وأهل الأدب).⁴

وكان رئيس الديوان أو صاحب الديوان، ذا حظوة كبيرة عند السلطان، أكثر من غيره من أصحاب الوظائف الأخرى، نظراً لخطورة وظيفته التي تجعله مطلعاً على أسرار الدولة، بل واللسان الناطق بها في المراسلات والمخاطبات، وهو ما حداً بيني الأحمر لحسن اختيارهم، وتسليط العقوبة الكبيرة على من شدّ منهم عن سياسة الدولة أو أفشى سراً من أسرار الوظيفة. كخبر محمد بن العابد الأنصاري معاصر الخمر، وكقصّة السلطان أبي الحجاج يوسف الأول مع أحد كتّابه الذي أفشى سراً مهيناً مفاده عزل القاضي أبي القاسم الحسن⁵، عن قضاء الجماعة واستبداله، وانتهى الأمر بسجن الواشي حتى موته.⁶

وهكذا ! يتبين لنا المكانة العالية التي احتلتها الوظائف السلطانية في دول ما بعد الموحدين، وكيف أنّها لم تقتصر على مجرد مهام إدارية، يتقاضى مؤدوها أجراً مجرداً. بل تحولت إلى رسم السياسة العامة للبلاد أخلياً وخارجياً، في ظلّ المتغيرات والتحديات التي عصفت هنا وهناك، وأثّرت بشكل أو آخر على الموظف السامي، والسلطان الحامي، والمواطن العامي !.

-
- 1 - المصدر السابق نفسه، ص 81 - 91.
 - 2 - يُراجع ترجمته الوافية عند المقرئ: المصدر سابق، ج 6، ص 148 وما بعدها.
 - 3 - ابن عاصم، المصدر سابق، ج 1، م ت، ص 14.
 - 4 - محمد عويد السائر، أدب ابن عاصم الغرناطي (ت 857 هـ)، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، ع 3، ص 2010، ص 142.
 - 5 - يُنظر ترجمته الوافية: أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تأريخ قضاة الأندلس، تح، مجموعة باحثين، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5 1403 هـ - 1983 م، ص 171 وما بعدها.
 - 6 - ابن عاصم، المصدر سابق، ج 1، ص 173 وما بعدها.

الفصل الرابع: نماذج من الشخصيات التي تولت الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس خلال

فترة البحث

1 - ابن عميرة (582 - 658 هـ / 1186 - 1260 م).

أ - اسمه ونسبه.

ب - حياته العلمية.

ج - شيوخه.

د - المناصب التي تقلدها.

هـ - مكانته وشهادات الأعلام فيه.

و - مؤلفاته.

2 - ابن الأَبَّار (595 - 658 هـ / 1199 - 1260م).

أ - اسمه ونسبه.

ب - طفولته ونشأته العلمية.

ج - الوظائف التي تقلدها.

د - محنته ومقتله.

هـ - مكانته وشهادات الأعلام فيه.

و - آثاره العلمية والأدبية.

3 - عبد الرحمان ابن خلدون (732 - 808 هـ / 1331 - 1405 م).

أ - اسمه ونسبه.

ب - مولده.

ج - حياته العلمية والعملية.

د - وفاته.

هـ - مؤلفاته وآثاره.

و - مكانته وما قيل فيه.

4 - ابن الخطيب (713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م).

أ - اسمه ونسبه.

ب - مولده ونشأته.

ج - طلبه العلم.

د - وظائفه السلطانية.

هـ - ظروف مقتله.

و - آثاره العلمية.

ي - مكانته وما قيل عنه.

في هذا الفصل الأخير أتناول بالدراسة والتأريخ، نبذة من حياة بعض الشخصيات التي تولت الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس خلال فترة البحث.

واخترت الحديث عن هذه الشخصيات، وهي مشهورة أدبيا وعلميا، نظراً لكون الجانب السياسي ظلَّ مجهولاً أو أقل اهتماماً، لمن يقرأ عنهم تميزهم في الشعر والأدب والخطابة والمناظرة...

من هنا عملت على تسليط الضوء على أداء هذه النخبة سياسياً، خصوصاً وقد تولوا المناصب السامية، وتنقلوا بين البلاطات، وتغيرت الولاءات، وانتهت حياة الكثير منهم على غير المتوقع، فبين سجن، ونفي وقتل وتهجير!

المبحث الأول:

1 - ابن عميرة (582 - 658 هـ / 1186 - 1260 م):

1 - نسبه:

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة¹، يُكنى أبا المطرف¹ أصله من جزيرة شقر، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة 582 هـ / 1186 م بجزيرة شقر². وقد أجمع مُترجموه على تحليته

1 - بفتح العين، هكذا ضبط اسمه محمد بن شريفة في كتابه (أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966. انظر أيضاً: أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببهاية، تح، عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ص 298، الهامش 1.

بالنسب المخزومي³، ومنهم معاصره وابن بلده وزميل وظيفته ورحلته " ابن الأَبَّار"، إذ يقول: (وكان بجزيرة شُفْر بنو عميرة المخزوميون بيت شيخنا القاضي الكاتب أبي المطرف، أبقاه الله).⁴

2 - حياته العلمية:

لمع اسم مُترجمنا في أحد أحفل العصور، بما سَطَّر فيه من الأحداث التاريخية والسياسية والعلمية عموماً. صحيح أننا لا نعرف على وجه اليقين بدايات ابن عميرة، إلا ما كان من مولده وشذراتٍ من حياة الصبا في طلب العلم والمعرفة، خصوصاً وأنه لم يكن من بيت ذي نباهة وشهرة.⁵

لكن عباراتٍ مختصرةً مكنت من وَّصف أطوار حياته العلمية والعملية، وحددت معالمها الكبرى ومراحلها الزمنية فقد:

(كان أول طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية. فأكثر من سماع الحديث وأخذَه عن مشايخ أهله، ثم تفتَّن في العلوم، ونظر في المعقولات وأصول الفقه، ومال إلى الآداب فبرع فيها براعة عُد بها من كبراء مجيدي النظم).⁶

1 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج1، ص 173.

2 - القرية من شاطبة، بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً شرق الأندلس، وهي الجزيرة التي تحدث عنها الجغرافيون والمؤرخون الأندلسيون وغيرهم بكل إعجاب لجمال موقعها وسحر طبيعتها. الحميري، مصدر سابق، ص 349 - 350. ابن سعيد، مصدر سابق، ج2، ص 363 وهو يصفها بعروس الأندلس وأوصاف أخرى غاية في الروعة، فراجعها واستمتع برونق الوصف!. (أقول) وللأسف! ضيعها أجدادنا، وكلما ازدادتُ بحثاً في الأندلس ماضيها وحاضرها، أتأسف على ما ضاع، وأخشى أن تتكرر المأساة في بقية البلدان!، نظراً لتكرار موجبات وأسباب الهزيمة، والله يقضي ما يشاء.

3 - شدَّ عن ذلك أبو الحسن الزيّات، الذي نقل كلامه ابن عبد الملك وملخصه: نفي النسب المخزومي عن ابن عميرة، وأن نسبه الأول لليهود، ووصف جده أو أباه بمجهول النسب اللقيط، وقد تعرض ابن عبد الملك لنقد ابن الخطيب على هذا النقل. انظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، س1 - ق1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، ص 150 - 151، ابن الخطيب، الاحاطة، مج1، ص 173.

4- ابن الأَبَّار، المعجم في أصحاب القاضي الصديقي، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1410هـ - 1989م، ص170.

5 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج1، ص 173.

6 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 152.

وهكذا نجد أن حياة الكاتب الأديب مرت بثلاثة مراحل رئيسية:

أ - المرحلة الأولى:

وتميزت بإقباله على تحصيل العلم الشرعي، والحرص على رواية الحديث من مظانه روايةً ودرايةً¹، خصوصاً وقد نشط بالأندلس، منذ فتحه المسلمون² العناية بالقرآن الكريم³ والسنة النبوية، واشتهرت البيوتات العلمية ذات السند العالي كإبراً عن كابر⁴.

ب - المرحلة الثانية:

وظهرت فيها عنايته بالعلوم العقلية⁵ كأصول الفقه والمنطق، ولا يخفى أهمية تعزيز الاستدلالات العقلية لدى طالب العلم، ليتمكن من بناء أفكاره على منهج علمي⁶ سليم، وربطها بتسلسل لا تناقض فيه ولا قفز من مقدمة إلى نتيجة⁷.

- 1 - انظر لمزيد التعريفات عن علم مصطلح الحديث وأنواعه وتطبيقاته: محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، موفم، الجزائر، 1989 م، ص ص 3 - 34.
- 2 - بوداعة نجادي، " علم الحديث و رواه بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري "، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 16، منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جمادى الثانية 1433 هـ - ماي 2012 م، ص ص 230 - 239.
- 3 - انظر: محمد شباح، عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، مذكرة ماجستير في العلوم الاسلامية، تخصص، الحضارة الإسلامية، إشراف، محمد الأمين بلغيث، السنة الجامعية، 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م، ص ص 23 - 131.
- 4 - محمد بن زين الدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430 هـ - 2009 م، ص ص 7 - 168، وانظر للتفصيل أيضاً: أحمد بوشريط، ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300 هـ - 460 هـ / 912 م - 1067 م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف، محمد بن معمر، قسم التاريخ علم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1432 هـ - 1433 هـ / 2011 - 2012 م، ص ص 90 - 183.
- 5 - انظر لمزيد التفصيل: عبد الرحمان صالح بكار، العلوم التطبيقية عند المسلمين، مجلة العلوم والدراسات الانسانية، - المرجع - جامعة بنغازي، ع22، 27 نوفمبر، 2016 م، ص ص 1 - 17.
- 6 - انظر: محمد علي أبو ريان، تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، مج 9، ع1، دت، ص ص 97 - 122.
- 7 - يُراجع لمزيد الاستفادة عن أهمية البناء العقلي في تعزيز العلم واليقين: نصر محمد الكيلاني الفاهم، دور العقل في الفكر العقدي الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع9، محرم 1428 هـ / فبراير 2007 م، ص ص 1 - 48،

ج - المرحلة الثالثة والأخيرة:

ظهرت فيها موهبته الأدبية، وبراعته التي مكنته من أن يصير أحد أقطابه وأعلامه حيث حلّ أو ارتحل، يشهد لذلك ما قدمه من أعمال باقية لمكتبة الحضارة والعلوم والشعر¹ والأدب²، فضلاً عن شهادات أقرانه ومن ترجموا له.

3 - شيوخه:

ومن شيوخ الأديب الأندلسيين الذين أخذ عنهم و تتلمذ عليهم: الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، وهو من أكبرهم و أبعدهم أثراً في حياته³، بالإضافة إلى أبي الخطاب بن واجب، و أبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الشلوبين، وأبي عمر بن عات، وأبي محمد بن حوط الله، ومن أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره هؤلاء⁴.

ثمّ انتقل أبو المطرف بين المدن الأندلسية⁵ لطلب العلم ومجالسة العلماء. وبعد أن شبّ واكمل نضجه الفكري، رجع إلى بلنسية قصد الاستقرار والحصول على وظيفة تناسب ثقافته وطموحه، (ذلك أن ابن عميرة كان منذ البداية يسعى وراء خطة الكتابة⁶ لما كانت توفره لصاحبها من الثراء والنفوذ والجاه والسلطان، وللمكانة الرفيعة التي كان يحظى بها الكاتب في المجتمع الأندلسي).⁷

سليمان بوبكر صالح، مفهوم المنطق ونشأته في الفكر الإسلامي، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، المرج، جامعة بنغازي، ع 24، 25 يوليو 2017م، ص ص 4- 17.

1 - انظر مثلاً: رعد ناصر الوائلي، دفع الهزيمة عن شعر أبي المطرف بن عميرة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ع9، ص ص 131 - 151.

2 - انظر مثلاً: حكيم بوغازي، منهجية البلاغة وعقلنة الاصطلاح - كتاب التنبيهات لابن عميرة أنموذجاً -، مجلة مقاليد، ع12، جوان 2017م، ص ص 89 - 97.

3 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 151 - 152، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 174.

4 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 151 - 152، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 174.

5 - شقر وبلنسية وشاطبة ودانية ومرسية.

6 - ولقد نجح ابن عميرة في مسعاه وهدفه، واشتهر بالكتابة حتى عُدَّ (علمها المشهور وواحدتها التي عجزت عن الاتيان بثانيه الدهور...)، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 152، و ص 177.

7- ابن شريفة، مرجع سابق، ص 85.

4 - المناصب التي تقلدها:

لما فرغ مترجمنا - إذن ! - من رحلة التحصيل والتلقي، تشوّق لخدمة الأمراء ومُداخلتهم، حتى بالغ في شدة التطارح على خدمة الرؤساء، مع الحرص على تحصيل حطام الدنيا مُتظاهرا بالإقلال¹. ولاشك أن السيّر في ركاب البلاط، كما أنه يوفر الحياة الرغدة والنفوذ، فإن له الأثر السلبي على أسلوب حياة وسيرة وتفكير الموظف المنتعم، فإن مصيره مُعلقٌ برضا حاكمه وبقائه، فلا عجب إذن من التطارح والتطاحن لإرضائه، وهو ما يمثل في الحقيقة عندي سقطة مظلمة، لا ينبغي للعالم أو المثقف الانجرار وراءها. وقد قيل: (إن الملوك إذا خدمتهم ملُوك، وإن لم تُخدمهم أذُلُوك. وإنهم يستعظمون في الثواب رد الجواب، ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب، وإنهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فينبون لها مناراً، ثم يوقدون لها ناراً، ويعتقدونها ناراً. وقال ابن المقفع: إن وجدت عن السلطان وصحبته غنى فصن عنه نفسك، واعتزله جهداً؛ فإنه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة. وقال العتابي وقد قيل له: لم لا تقصد الأمير فتخدمه؟ فقال: لأني أراه يعطي الواحد لغير حسنة ولا يد، ويقتل الآخر بلا سيئة ولا ذنب، ولست أدري أي الرجلين أكون، ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به...)².

فلا ضير لمن ابتلي بخدمة البلاط من الموازنة بين الممكن وغير الممكن، وبين المقبول والمردود، وتحديد الأولويات وحدود الخدمة المُستطاعة، لا شك أنه أولى تقدماً. فَعَرَفْتُ حياتك يا ابن عميرة التي نروي طرفها، التقلبات والاضطرابات الخطيرة. فكنت حيناً في الأندلس عظيمها في الكتابة وفي فنون العلوم³، وحيناً مهاجراً إلى المغرب لتستقر أخيراً بإفريقية، متقلداً منصب الكتابة تارة ومنصب القضاء تارة أخرى.

* - في الأندلس:

1 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص ص 156 - 169 عن قصة المصحف المنسوب الى عثمان رضي الله عنه وتفنيدها، وص 178. ولاشك أن مثل هذا الكلام قوي من ابن عبد الملك في وصف الرجل، وهو يعكس لنا حال الانسان - خصوصاً العالم - عند خدمة السلاطين وأنه ابتلاء قد يسقطه فيما لا تحمد عقباه. وخير منه الحديث المرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم: " إياكم وأبواب السلطان، فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً". أي شديداً: هبوطاً. أي منزلاً لدرجة من لازمه، مذلاً له في الدنيا والآخرة. محمد ناصر الدين الألباني، الصحيحة، ص 314، برقم 1253.

2 - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، علي بوملحم، منشورات محمد علي بيبون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م - 1424 هـ، ج6، ص 129 - 130.

3 - ابن سعيد، مصدر سابق، ج2، ص 363.

تقلد ابن عميرة منصبين مهمين هما الكتابة والقضاء لمدة ثلاثين عاما، كتب فيها لأمرء الموحدين وصادتهم.

فكتب أولا لوالي بلنسية¹ في سنة 608 هـ / 1211م، ثم انتقل إلى اشبيلية في سنة 617 هـ / 1220م ليكتب عن واليها - خليفة الموحدين قريبا -²، غير أنه عاد مجددا إلى بلنسية في سنة 620 هـ / 1223م وتولى الوظيفة³ ذاتها لآخر مرة لوال موحدي⁴ إلى سنة 626 هـ / 1229م، وهو تاريخ نشوب ثورة أطاحت بالحكم الموحدية بقيادة الرئيس أبي جميل⁵ الذي نجح في استخلاص بلنسية⁶، وأقر ابن عميرة في منصبه إلى غاية سنة 628 هـ / 1231م، وهو تاريخ انتقال أدينا إلى مسقط رأسه وأول مُنطلقه للمجد⁷، فاشتغل - بصفة مؤقتة - بالكتابة عن واليها.⁸

وفي الفترة الممتدة من سنة 630 إلى 633 هـ / 1233 - 1235م تولى ابن عميرة منصب القضاء في مدينة شاطبة، ثم ولى الكتابة بمدينة مرسية فيما بين سنوات 633 و 636 هـ / 1235 - 1238م، ومنها توجه إلى غرناطة وهي آخر مرحلة في طريقه نحو العودة المغربية حيث ينتهي الفصل الأول من حياة ابن عميرة الإدارية الإدارية في الأندلس.⁹

* - دخوله بلاد المغرب:

هاجر ابن عميرة إلى بلاد المغرب في سنة 637 هـ / 1239م - قسرا¹⁰ - كغيره ممن يجذوه في خدمة الموحدية في عاصمتهم وما والاها من البلدان.

فاستكتبه¹ الخليفة الموحدية الرشيد مدة يسيرة، ثم صرفه عنها وولاه القضاء في أكثر من مدينة²، و قد تأثر ابن عميرة بهذا العزل عن خطة الكتابة، وشكا ذلك إلى أصدقائه في رسائله الإخوانية وقصائده

- 1 - السيد أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن.
- 2 - السيد أبو العلاء الكبير. ابن عذارى، مصدر سابق، ق - م، ص 276.
- 3 - انظر رسائله: أحمد عزوي، رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، ق1، ط1، 1416 - 1995، برقم 107، 108، 115، 116.
- 4 - للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن.
- 5 - زيان بن سعد بن مردنيش الجذامي. ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص 303.
- 6 - المصدر السابق نفسه، ج2، ص 303.
- 7 - جزيرة شقر.
- 8 - أبو عبد الله بن مردنيش. انظر: ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 289.
- 9 - ابن شريفة، مرجع سابق، ص 85 - 115.
- 10 - كغيره من الأندلسيين المفجوعين في وطنهم ومدنهم المنكوبة.

الشعرية التي تفيض بالحزن و الأسى وندب الحظ. ويبدو أنه عبّر³ عن تبرّمه بهذا الإقليم لدى بعض حاشية السلطان فتوسطوا لديه عنده حتى نقله سنة 639هـ/1241م إلى قضاء الرباط⁴ وسلا، وأقام يتولاه إلى أن توفي الرشيد.

وأقرّه الخليفة الجديد⁵ على منصبه مدة ثم نقله إلى قضاء مدينة مكناسة الزيتون⁶ زمننا⁷. ولما تفتت وحدة الدولة وعمّتها الفتن والاعتيالات⁸، بادر أهل مكناسة إلى الانقلاب على الموحدين، وبايعوا أبا زكريا الحفصي، وكتب قاضيهم - ابن عميرة - نص البيعة في 20 ربيع الأول سنة 643هـ/1245م.⁹

لكن أهل مكناسة تبرؤوا فجأة! من بيعة قاضيهم، لما علموا بحملة السعيد الحانق على انشقاقهم. فبادروا بطلب العفو والاعتذار عما بدر منهم، وجددوا بيعته وكتبها غير مترجمنا!¹⁰

ولما قُتل السعيد في صفر 646هـ / 1248م، خشى أدينا على نفسه خصوصا مع انتشار القتل في بطانة السابق من اللاحق¹¹، فأسرع الخروج ينشد حالا أفضل وبلاطا أأمن.

فقصده سبتة المزدهرة يومئذ علما واستقرارا¹². وفي الطريق سُلبت منه ثروته في فتنة بني مرين، وكتب رسالة¹ يشكو فيها سوء ما حلَّ به.²

- 1 - ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 299.
- 2 - مليانة ثم سلا. ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 175.
- 3 - السبتي، مصدر سابق، ص ص 204 - 207.
- 4 - محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تح، أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1435 هـ / 2014م، ص 193.
- 5 - المعتضد بالله أخو الرشيد. ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 359 وما بعدها.
- 6 - انظر في أخبارها، محمد ابن غازي العثماني، الروض المتهون في أخبار مكناسة الزيتون، تح، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1408 - 1988، ص ص 6 - 72.
- 7 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 177 - 178.
- 8 - انظر طرفا من أخبارها عند: ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 370 وما بعدها.
- 9 - انظر نصها: السبتي، مصدر سابق، ص ص 115 - 119، ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 373 - 376.
- 10 - كتبها ابن عبدون في ذي الحجة من نفس السنة. انظر نصها: المصدر السابق نفسه، ص 377 - 378.
- 11 - كما فعل المرتضى ببعض بطانة السعيد. اقرأ طرفا من ذلك عند ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 388 - 389.
- 12 - خالد بلعربي، الحركة العلمية بسبتة في العهد المريني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، ع 2، شتاء 1436 هـ - 2015 م، ص ص 62 - 68، وانظر للمزيد عن هذه المدينة موقعا وأخبارا: مجموعة باحثين، المناهل، عدد خاص بسبتة، ع 22، السنة 9، ربيع الأول 1402هـ / يناير 1982، ص ص 9 - 733، محمد بن

* - في بجاية:

وصل ابن عميرة إلى مدينة بجاية بجرا في سنة 646 هـ / 1248م، ودخل على صاحبها يومئذ³. فأقام في جواره نحو من عامين، مُجيزاً ومُستجيزاً له ولولديه. وجلس لتدريس لأمّهات دواوين العلم كتنقيحات السهروردي في أصول الفقه، التي لم يكن يتعرض لإقراءها إلا من له ذهن ثاقب⁴. وشارك أيضاً في المجالس العلمية التي كانت تنعقد بمنزل صديقه ابن محرز البلنسي⁵ شيخ الجماعة الأندلسية⁶، وكان يحضرها أقطاب الأندلسيين⁷. ولم يتوقف ابن عميرة عن نشاطه الأدبي في هذه المدينة حيث كاتب العديد من أصدقائه⁸.

* - في عاصمة الحفصيين:

ومن بجاية انتقل إلى تونس التي كان ينشد الاستقرار فيها، منذ تخلص من بلاد الأندلس لولا الظروف التي لاحقتة. فمال أولاً إلى صحبة الصالحين والزهاد بُرهة ثم نزع عن ذلك⁹، وبعدها جنح إلى خدمة الملوك، فنجحت بها وسائله¹⁰، فتقلد الأديب قضاء مدينة قابس¹ الذي طالت مدته به، ثم استداناه

تاويت، تاريخ سبتة، دار الثقافة، المغرب، ط 1، 1402 هـ - 1982م، ص ص 5 - 230، محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح، عبد الوهاب بن منصور، ط 2، 1403 هـ - 1983 م، الرباط، ص ص 5 - 129، أمين توفيق الطيبي، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ص 13 وما بعدها.

- 1 - الشيخ أبي الحسين الرعيبي.
- 2 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 179، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 176، وص 179.
- 3 - أبي يحيى الحفصي. ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 176.
- 4 - الغريبي، مصدر سابق، ص ص 299 - 301.
- 5 - المصدر السابق نفسه، ص ص 283 - 284، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 481، ولقد أفردت له مبحثاً خاصاً في مذكرتي للماجستير، فلتراجع: محمد عمارة، مرجع سابق، ص ص 113 - 115.
- 6 - محمد الشريف سيدي موسى، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13 - 16م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف، عبد الحميد حاجيات، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1421 - 1422 هـ / 2000 - 2001م، ص ص 42 - 43، وص ص 64 - 66 وما بعدها.
- 7 - يأتي في مقدمتهم ابن الأَبَّار وابن الجنان وابن سيد الناس وغيرهم.
- 8 - ابن شريفة، مرجع سابق، ص 149.
- 9 - ابن عبد الملك، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 177.
- 10 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 176.

المستنصر، وصيّرهُ من خواص جلسائه ومُقربيه². ونَعِمَ في كنفه بالحياة السعيدة، لولا تلك الدسائس البغيضة، وتتبع العثرات، وسبر السرائر! النابعة من الغيرة والحقد عليه. مما أوحش صدر المستنصر³ أتجاهه آخر المطاف.

فمع مرور الوقت ظهرت موسوعية الرجل، واطلاعه على العلوم القديمة، التي لا يحسنها غيره، ما تسبب في الطعن في عقيدته، ويسجل التاريخ كلمات للمستنصر أن ابن عميرة (رام إفساد دنيانا علينا فأفسدنا عليه دينه). وقيل أن أدينا تغيرت حاله، وافتتن آخر عمره.⁴

* - وقفة:

لا أرى في كلمات المستنصر المتقدمة وما تلاها حقيقةً! إلا أحد تجليات الصراع الدموي المرير، الذي دارت رحاه بين المحلي والمهاجر الأندلسي على المراكز والنفوذ، خصوصاً وقد حمل المهاجرون معهم خصيصةً غاية في السلبية المطلقة، أولاهما: تشبع قلوبهم بروح التآمر الذي ساد طويلاً في قصور الأندلس قُبيل هجرتهم، ففسدت نفسياتهم، وتطبعت على التآمر والخيانة والغدر خصوصاً. وثانيهما: مُركب الغرور والعظمة الذي تأسل في قلوبهم اتجاه البلاد التي استقبلتهم وعموم أهلها، لا سيما زملاء مهنتهم المحليين⁵. فاشتعلت القلوب حقداً وغلا من ضياع النفوذ وتبدد الملك والعظمة، والطعن في البلاد المستقبلية الحاضنة، فاشتغلت المؤامرات وحصدت الأرواح بحق أو بغير حق.

عموماً لقد استطاع ابن عميرة أن ينعم في الفترة الأخيرة من عمره، في ظل الدولة الحفصية الفتية بالحياة الهنيئة السعيدة، سيما وأن تونس كانت تمر يومئذ بعصرها الذهبي من مختلف الوجوه. وانتهت إليه رئاسة صناعة الكتابة والترسل.

وأنتج عدداً هائلاً من الرسائل الديوانية والإخوانية، ساعدته في ذلك موهبته البلاغية ومقدرته الكتابية، إلى جانب اتخاذ الترسل حرفة، وشغله خطة الكتابة أكثر أوقات حياته لدى الكثير من الأمراء والخلفاء. وكانت ظروف عمله من أكثرها استدعاءً للمكاتبات والمراسلات بحكم ما ساد ذلك العصر من

1 - هي من بلاد افريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل، وتعد من بلاد الجريد.... الحميري، مصدر سابق، ص ص 450 - 452.

2 - الغبريني، مصدر سابق، ص 301، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 180.

3 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، ص 176.

4 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 - ق 1، ص 180.

5 - المطوي، مرجع سابق، ص 231 - 214 وما بعدها.

فتن واضطرابات¹. وظل يحظى بالمنزلة الرفيعة إلى وفاته في ليلة الجمعة 20 من شهر ذي الحجة سنة 658 هـ /1260م²، مُخْلِفاً ولدا فقيها أديبا يُدعى أبا القاسم (كان من فضلاء الكتاب والشعراء ممن حدا حدو أبيه وزيادة)، لكن بوفاة هذا الابن في الخامس لربيع الآخر من سنة 709 هـ /1309م انقطع عقب ابن عميرة.³

5 - مكانته وشهادات الأعلام فيه:

من كل ما أوردته يمكنني أن أصف حياتك يا ابن عميرة بالمغامرة، ولاشك أن المهاجر المغامر قد يقطع صلته بماضيه، وقد يتخلى عن مبادئه أو بعضها، ولا يصبو إلا إلى مستقبله انطلاقاً من واقعه، فلا بد له أن يؤثر ولا يتأثر إلا بما يخدم هدفه الأول.

تقلد أديبنا خلال مكثه بالمغرب مناصب مختلفة، وقبلها بالأندلس. وخلف رسائل غاية في الجودة والأهمية، جعلته بحق إرثاً مشتركاً بين المغرب والأندلس. فقد مكث عشرين سنة بأرض المغرب، كان فيها الكاتب والمدرس والمستشار الخاص للسلطان الموحد ثم الحفصي.⁴

فهذا مُعاصره وزميل مهنته وابن مدينته - ابن الأبتار - قد حلاه بهذه الأوصاف: (فائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الذي اعترف بأجماده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يوصف به البديع، ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسبقه الأشهر، ونطقه الياقوت والجوهر، تحلت به الصحائف والمهارج، وما تحلت عنه المغرب والمشارك، فحسي أن أجهد في أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره، وتناول المنثور والمنظوم على شكره).⁵

وهو عند ابن عبد الملك: (حسن الخلق والخلق، جميل السعي للناس في أغراضهم، حسن المشاركة لهم في حوائجهم، متسرعاً إلى بذل مجهوده فيما أمكن من قضائها بنفسه وجاهه).⁶

1- ابن شريفة، مرجع سابق، ص 254.

2 - الغبريني، مصدر سابق، ص 301، ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 1 - ق 1، ص 180، ابن الخطيب يضعها في سنة 650 هـ، الاحاطة، مج 1، ص 180.

3 - الزركشي، مصدر سابق، ص 58.

4 - الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ج 1، ص 128. وله كلام مهم يتبدأ من ص 121.

5- أبو عبد الله محمد بن الأبار، تحفة القادم، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1406 هـ / 1986م، ص 209.

6- ابن عبد الملك، مصدر السابق، ص 1 - ق 1، ص 179.

وقال عنه ابن الخطيب: (وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده إدراكاً وتفناً، بصيراً بالعلوم، محدثاً كثيراً، راوية ثباتاً، سجراً في التاريخ و الأخبار...مضطلعاً بالأصلين، قائماً على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة و الطلاوة، جمّ العيون غزير المعاني والمحاسن، وافد أرواح المعاني، شفاف اللفظ، حرّ المعنى، ثاني بديع الزمان، في شكوى الحرفة وسوء الحظ، ورونق الكلام، و لطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم والقصور في السلطانيات).¹

وقال عنه أيضاً: (كان يذكر أنه رأى في منامه، النبي صلى الله عليه وسلم، فناوله أقلاماً، فكان يُروى له أن تأويل تلك الرؤيا، ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشياع الذكر).²

وجاء في عنوان الدراية أنه: (الشيخ الفقيه، المجيد المجتهد، العالم الجليل الفاضل، المتقن المتفنن، أعلم العلماء، وتاج الأدباء...وفاق الناس بلاغة، وأربى على من قبله، وتهادته الدول... وله أدب هو فيه فريد دهره، وسابق أهل عصره...).³

وقال فيه بعض علماء المغرب: (قدوة البلغاء، و عمدة العلماء، و صدر الجلة الفضلاء...ونكتة البلاغة التي قد أحرزها وأودعها، وشمسها التي أخفت ثواب كواكبها حين أبدعها، مبدع البدائع التي لم يحظ بها قبله إنسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان، إذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، وروية بدر العلم فصيحة، ذلت له صعب الكلام، وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين... في يديه الأقلام).⁴

6 - مؤلفاته:

اشتهر ابن عميرة بثقافته الواسعة و المتنوعة، بين العربية واللغة، بارعا في الأدب⁵ متفننا فيه، مولعا بعلم الفلاسفة والمنطق والفلك والطب. فجاء إنتاجه العلمي ثمرة لتلك الموسوعية التي لم تنجح أعباء السياسة في طمس معالمها. ومن التأليف التي خلفها ابن عميرة إجمالاً⁶:

- 1- ابن الخطيب، الإحاطة، مج1، ص 174.
- 2 - المصدر السابق نفسه، مج1، ص176.
- 3- الغبريني، مصدر السابق، ص 298 - 299.
- 4- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غضن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988م، مج 1، ص 313 - 314.
- 5 - انظر ما أورده ابن الأثير من أشعاره وقصائده، تحفة القادم، ص ص 209 - 215.
- 6 - راجع تفصيل الكلام عنها مثلاً عند: بوغازي، مقال سابق، ص 91 - 92، وغير ما ذكرت كثير.

1 - الرسائل بأنواعها يأتي على رأسها المجموع المسمى (بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف).

2 - التنيهات على ما في التبيان من تمويهات

3 - تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي

4 - اقتضاب من تاريخ المريدين

5 - تاريخ ميورقة.

المبحث الثاني:

2 - ابن الأَبَّار (595 - 658 هـ / 1199 - 1260م):

1 - نسبه ومولده :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن أحمد بن أبي بكر البلنسي والذي اشتهر بابن الأَبَّار¹. وينحدر من قبيلة العربية اليمنية قضاة²، التي استوطن أفرادها المهاجرين شرق الأندلس.³

ولد مترجماً بمدينة بلنسية¹ عند صلاة الغداة، من يوم الجمعة من أحد شهري ربيع من سنة 595 هـ / 1199م²، في السنة التي بُوع فيها للخليفة الموحدي الرابع.³

1 - وقد عُرف بهذا اللقب جماعة من الأندلسيين فضلاً عن غيرهم، لكن المشهورين في باب الشعر والأدب رجلان المترجم له وأبو جعفر بن محمد ابن الأَبَّار الخولاني الإشبيلي، إلا أن هذا توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، د ط، أوت 1968، مج 1، ص 141 - 142.

2 - قيل أنه رجل اسمه قضاة بن عدنان وقيل بل بن حمير الى حمير... انظر للتعريف بهذه القبيلة وامتداداتها: ابن حزم، مصدر سابق، ص ص 440 - 461.

3 - تحديداً مدينة أندة حتى صارت داراً لهم كما ورد عند: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأَبَّار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 هـ / 1995م، ج 2، ص 249، وص 274، الغبريني، مصدر سابق، ص 309، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي، السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس، دار الثقافة - بيروت - لبنان، ط 1، 1973، ص 275.

2 - طفولته ونشأته العلمية:

لم يكن لبيت مُترجمنا نصيبٌ من رياسة أو ولاية، ولم تُسَعَفنا المصادر التاريخية عن أفراد هذا البيت، من أم أو أخ أو أخت، باستثناء الوالد الذي حرص على تنشئة ابنه الأديب على العلم في سن مبكرة⁴. وهو الذي قضى حياته في التحصيل العلمي على أكابر الشيوخ⁵. مُعدَّلاً عند الحكام⁶، مزاحماً للعلماء والرواة⁷. موصوفاً بالعلم والديانة والعفاف.

ومن ثمَّ عمل الوالد على إفادة ابنه سواء منه أو من الشيوخ المتصدرين يومئذ للعلم والفتيا تدرسيا وتحضيراً لقابل الأيام. ففضى ابن الأَبَّار فترة الطفولة، في سنوات الأمن والرخاء، التي أعقبت نصر الموحدين في معركة (الأرك) على ألفونسو السادس في شعبان سنة 591 هـ / 1195م.⁸

- 1 - تقع في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجاجة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، الحميري، مصدر سابق، ص 97، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1964م، ج 1، 295-303، وانظر عن أهميتها والحياة السياسية فيها: محمد نايف العمارة، التاريخ السياسي لمدينة بننسية 399 - 495 هـ / 1008 - 1102م، رسالة دكتوراه، إشراف، محمد عبده حتاملة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، تشرين أول، 1995م، ص ص 8 - 159.
- 2 - وقد أكدت جُلُّ المصادر التي ترجمت لابن الأَبَّار - بمن فيهم ابن الأَبَّار نفسه - هذا التاريخ، اللهم إلا ما كان من الغريبي، الذي انفرد بذكر تاريخ آخر هو: 575 هـ. انظر: ابن الأَبَّار، التكملة، ج2، ص 291، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 275، الغريبي، مصدر سابق، ص 313، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 418 - 419، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج 3، ص 283، محمد شاعر الكتيبي، فوات الوافيات والذيل عليها، تح، إحسان عباس، مج 3، دار صادر، بيروت، 1974، ص 404.
- 3 - أبي عبد الله محمد بن يعقوب.
- 4 - فتلا عليه القرآن الكريم بحرف نافع مرارا... ابن الأَبَّار، التكملة، ج2، ص 291، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص 254.
- 5 - وانظر قائمة المشايخ الذي أخذ عنهم والد ابن الأَبَّار مفصلة: ماهر سهيل جرار، ابن الأَبَّار الأندلسي الأديب (595 - 658 هـ / 1198 - 1259م)، رسالة ماجستير، تخصص الأدب العربي، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، حزيران، 1983م، ص ص 48 - 52.
- 6 - انظر كلام ابنه عنه وعن وصفه: ابن الأَبَّار، التكملة، ج2، ص 290 - 291.
- 7 - ابن الأَبَّار، التكملة، ج1، ص 89-90، نفسه، ج2، ص 290 - 291.
- 8- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989م، ص 42 - 43.

وصار يتردد على دار الإمارة وجامع بلنسية حيث مجالس المشايخ، فأخذ القرآن الكريم وتجويده، وضبطه وحفظ الأشعار واللغات والآداب وتعلم الخط وأخذ شيء من الفقه والحديث، واستجاز لنفسه عددا من الأشياخ.¹

ويُعدُّ الإمام أبو الربيع سليمان بن موسى سالم الكلاعي²، أهم شيخ أثر في مسيرة مترجمنا بطريق مباشر³. إذ لزمه التلميذ منذ كان سنه حوالي الخامسة عشر⁴. واستمرت الصحبة أزيد من عشرين سنة⁵، مختصا به⁶. ونجد التلميذ في الرابعة عشر من عمره مُواصلًا لطلب العلم رغم الفجيرة في أستاذه، وفي جمهرة من علماء المسلمين في واقعة العقاب المريرة⁷. ولم يكتف ابن الأَبَّار بالدراسة على علماء بلده بلنسية فقط، بل إنه شد الرحال إلى البلدان، حتى صارت له سيرةٌ وجريرةٌ، (ولم يزل يسمع العلم ويتلقاه عن الكبير والنظير والصغير شغفا به وحرصا عليه إلى منتهى عمره).⁸

3 - الوظائف التي تقلدها:

* - في مدينته بلنسية :

- 1 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص 253 وما بعدها وهو يُعددهم ويُسمِّيهم.
- 2 - انظر ترجمته الوافية: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأَبَّار، إعتاب الكتاب، تح، صالح الأَشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1380 هـ - 1961 م، ص ص 249 - 253، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س4، ص ص 83 - 95 وغيرها.
- 3 - شأنه في ذلك شأن أبرز تلامذته الآخرين على غرار: ابن عميرة وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى. ابن عبد الملك، مصدر سابق، س4، ص 85.
- 4 - منذ سنة 610 هـ تقريبا. جزار، مرجع سابق، ص 56، وانظر الهامش 5.
- 5 - الغبريني، مصدر سابق، ص310، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص 253.
- 6 - وهو الذي دعاه إلى وضع كتاب (التكملة).
- 7 - عبد القادر علي أحمد الدرة، العلماء الشهداء في الأندلس (400 - 897 هـ / 1009 - 1492 م) ، بحث مقدم للحصول على الماجستير، إشراف، خالد يونس الخالدي، قسم التاريخ، كلية الآداب، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة، العام الدراسي، 1430 هـ - 2009م، ص ص 14-231.
- 8 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص ص 253-257، الغبريني، مصدر سابق، ص ص 310 - 311.

اتجه ابن الأَبَّار في عشرينيات عمره، إلى السياسة وطلب الوظائف والجاه، في ظروف ضيقة عسيرة على الحاكمين والمحكومين معا، فأصابه من ذلك بلاء شديد كلفه حياته. ولو سار ابن الأَبَّار على نهج أبيه في الانصراف إلى العلم والتحصيل والانقطاع له لانتفع ربما بحياته بأكثر مما قُدر له.¹

والمقطوع به أن ابن الأَبَّار لم يتولَّ الكتابة لدى أمير بلنسية الموحدية: السيد أبو عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي، وأنه لم يكن مشاركا الوظيفة مع ابن عميرة. فإن ابن عميرة تولى الوظيفة بين سنتي 607 و 608 هـ / 1210 - 1211 م.

فحينها كان ابن الأَبَّار في حدود الثالثة عشرة من عمره. وهو ما يجعلنا نفترض تاريخا متأخرا قليلا تولى فيه مترجما الوظيفة (حوالي 615 أو 616 هـ / 1218 - 1219 م)، ولفترة قصيرة، لكون الوالي المذكور عُزل من بلنسية قبل أن يوافيه أجله²، وبهذا يرتبط رحيل ابن الأَبَّار - رفقة زميله - ومغادرة بلنسية، نحو اشبيلية للبقاء في خدمة الموحدية، ومزيد التحصيل على العلماء في طريقه. ويكون تاريخ ولايته حتى حوالي سنة 616 - 617 هـ / 1218 - 1220 م.³

ولكن المؤكد أنّ ابن الأَبَّار تولى الكتابة لابن الموحدية السيد أبي زيد من بعده، وخرج معه لملاقة الملك خايمي في سنة 626 هـ / 1229 م، ثم تركه وتولى بعدما أعلن رده ومكوثه في بلاد أراغون.

وقد سكت ابن الأَبَّار عن هذه الواقعة سكوتا غريبا، فلم يقل شيئا ينير لنا هذه النقطة الهامة، إلا ما كان من أبيات أوردها في معرض تبرير تصرفه:

قالوا الخروج لأرض الروم منقصة فقلت كلا ولكن صاها باء
إذا خرجت وفاء ثم عدت تقى أثنت بفعلي عداتي والأحباء
وكان لي في قريش أسوة وكفى مع النجاشي ترضاها الألباء.⁴

1- محمد عمارة، مرجع سابق، ص 90، ابن الأَبَّار، إعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 9.

2 - في اشبيلية، ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 243.

3 - ماهر، مرجع سابق، ص 61.

4 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأَبَّار، ديوان ابن الأَبَّار، قرأت وتعم، عبد السلام هراس، وزارة الأوقاف المغربية، 1420 هـ - 1999 م، ص 56، و ص 80.

والمهم أن ابن الأَبَّار عاد إلى بلده بعد حادثته تلك. وفي بلنسية عمل كاتباً للأمير الجديد¹، وعرفت الشهرة طريقها إليه، حتى صار ذات صيت وقربة من الحاكم والمحكوم، وأضحى قصر الإمارة منعقداً للمجالس العلمية مع نخبة البلد وأعيانه.

وكان من أخص مُقربيه قرينه أبو المطرف بن عميرة في العلم والوظيفة. ويبدو أن الأمير كان يؤثر ابن الأَبَّار، ما سبب وحشة غادر بسببها ابن عميرة بلنسية في سنة 628 هـ / 1231 م.²

* - السفارة نحو الحفصيين:

لقد تعرضت بلاد الأندلس الإسلامية وحواضرها الشهيرة؛ خلال القرن السابع للهجرة - الثالث عشر الميلادي - إلى هجمات الممالك النصرانية المُركزة؛ مما أدى إلى سقوط مُعظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عاماً فقط (627 - 655 هـ / 1230 - 1257 م)، في سلسلة مروعة من الأحداث والفتن والمحن.³

و بدأت الحملة النصرانية على بلنسية في أواخر سنة 631 هـ / أوائل سنة 1233 م، من خلال الاستيلاء على القواعد الأمامية للمدينة بهدف إطباق الحصار عليها⁴، ولم يزل أمر المدينة يضعف إلى أن أُطبِق عليها الحصار الخانق في الخامس من شهر رمضان سنة 635 هـ / أبريل سنة 1237 م⁵. فاستغاث الأمير زيان بن مردنيش بالسلطان الحفصي أبي زكريا، وبعث إليه بالبيعة مع وفد أهل بلنسية يتقدمهم كاتبه ابن الأَبَّار، فلما دخل على السلطان الحفصي قام بين يديه منشداً قصيدته السينية التي مطلعها :

- 1 - أبو جميل زيان ابن مردنيش. ابن سعيد، مصدر سابق، ج2، ص 303 وما بعدها.
- 2 - إلى مسقط رأسه في جزيرة شقر. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأَبَّار، كتاب الحلة السيرة، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1963، مقدمة التحقيق، ص 31، ماهر، مرجع سابق، ص 67 - 68.
- 3 - محمد عمارة، مرجع سابق، ص 38.
- 4 - انظر تفاصيل الحملة والحصار وسقوط أنيشة بيد النصارى، وما تلا ذلك من الهزيمة ونتائجها: ابن الخطيب، الإحاطة مج 4 ، ص 303، ابن الأَبَّار، إعتاب الكتاب، ص ص 249 - 253، نفسه، ديوان ابن الأَبَّار، ص ص 288 - 294 ، نفسه، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص ص 191 - 194، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المستملح من كتاب التكملة، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429 هـ - 2008 م، ص ص 376 - 378، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القراء، تح، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006 م - 1427 هـ، ج 1 ، ص 286.
- 5 - ابن الأَبَّار، الحلة السيرة، ج 2 ، ص 127.

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا

إن السبيل إلى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمتست فلم يزل منك عز النصر ملتتمسا¹.

وكان لهذه القصيدة المبكية أثرها في نفس أبي زكريا، فبادر إلى نجدة البلدة المحاصرة، وأسرع بتجهيز (12) سفينة حربية محملة بالمؤن والسلاح، وعهد بقيادة هذه النجدة إلى ابن عمه². وأقلعت هذه السفن على جناح السرعة إلى المحاصرين لنجدتهم، لكنها لم تتمكن من إيصال هذه النجدة إلى أهلها، نظرا للحصار الشديد المفروض على بلنسية من جهة البحر، وانتهى الأمر بأن أفرغت السفن شحنتها بعيدا عن بلنسية³. وهكذا فشلت محاولة إنقاذ المدينة وإمدادها بما يقويها على الصمود.

واستمر الحصار على بلنسية حوالي خمسة أشهر، وانتهى الأمر ببداية مفاوضات الاستسلام التي حضرها ابن الأثير كاتبنا عن السلطان ووصف أطوارها: (وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان ابن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة - وهو يومئذ أميرها - في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند، وأقبل الطاغية وقد تزيت بأحسن زي في عظماء قومه، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة. فتلاقيا بالولجة واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلما لعشرين يوما، ينتقل أهلها أثناءها بأموالهم وأسبابهم. وحضرت ذلك كله، وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك.

وابتدئ بضعفة الناس، وسئروا في البحر إلى نواحي دانية، واتصل انتقال سائرهم برا وبحرا. وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه، وعند ذلك استولى عليها الروم أحانهم الله⁴.

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية والأدبية - مع الأسف - كمًا هائلا من صفحاتٍ مطولة، حُط فيها الأسى والرتاء من كتاب الاندلس⁵ وشعرائها عن المدينة السليبية، سيما مترجمنا الذي بكأها مطولا، حتى بعد أن استقر مقامه بتونس في رغد من العيش⁶.

1 - انظرها بتمامها في: ديوان ابن الأثير، ص 408 - 412، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 386 - 388، المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 215.

2- أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى الشهيد.

3 - في ثغر دانية.

4 - ابن الأثير، الحلة السيرة، ج 2، ص 127، و ص 303، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 215.

5 - انظر رسائل نذب الفاجعة من ابن عميرة عن بلده السليب، السبتي، مصدر سابق، ص 220 - 225.

6- أنظر: ابن الأثير، ديوان ابن الأثير الذي تفجرت قصائده قريحة على وطنه حزنا وأسى، صفحات، 336، 212، 210، 189، 187، 186، 140، 307 - 337، 413، 406، وراجع أيضا نفس المصدر في محاولة

ابن الأثير استنهاض الحفصيين لاسترجاع بلنسية والأندلس عموما، ص 161 - 163، و ص 216 -

* في بلاط بني حفص:

لما رجع ابن الأَبَّار من سفارته (ألقى الأحوال قد أعضل دأؤها، وقواعد البلاد قد غلب عليها أعداؤها، فتركها هاجرا)¹، أي بعد سقوط بلنسية عقب حضوره مفاوضات التسليم. فاستقر بأهله في سنة 636 هـ / 1238 م ببجاية ثلاثة أو أربعة أشهر² (ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف و ألف، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له)³.

ثم ما لبث أن شدَّ الرحل الى تونس العاصمة، وحظي هنالك باستقبال يليق بكفاءته العلمية وذكرى بلنسية، فأقبل عليه السلطان، وأنزله منه بخير مكان، وعمل ابن الأَبَّار جهده ليكون شاعر الحضرة⁴، يمدح سلطانه ودولته، ويحث على انقاذ الاندلس. وصُرفت إليه الوجوه، وتولى خطة الكتابة العليا إليه⁵، وتعرف بكتابة الانشاء والعلامة⁶.

فكتب ابن الأَبَّار العلامة مدة بالخط المغربي، ثم رغب السلطان أبو زكريا أن تُكتب بالخط المشريقي⁷، فأمر بكفّه عن كتابتها، واقتصره على باقي المكاتبات والمخاطبات. وتكليف من يكتبها بالخط المشريقي¹.

-
- 1- ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 6، ص 269.
 - 2- ابن الأَبَّار، الحلة السيرة، مقدمة التحقيق، ج1، ص 39.
 - 3- انفراد الغبريني عن بقية من ترجم لابن الأَبَّار ببحر النزول لبجاية والبقية على أنه نزل تونس مباشرة، مصدر سابق، ص 311، جمعة شيخية، مجلة دراسات أندلسية، ع 2، خاص بابن الأَبَّار، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ / 1989 م، ص 119.
 - 4- راجع في ذلك لمزيد التفصيل: حميد طريفة، ابن الأَبَّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، دراسة موضوعية فنية، إشراف، محمد حجازي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010، ص ص 104 - 201.
 - 5- ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 6، ص 269.
 - 6- ارتفع شأن كاتب العلامة في البلاط التونسي حتى عُد بمنزلة وزير، والعلامة وهي توقيع مضاف الى المخاطبات السلطانية، وترفع الى السلطان ليضع ختمه عليها. ابن الأَبَّار، الحلة السيرة، مقدمة التحقيق، ج1، ص 39. الزركشي، مصدر سابق، ص 28، الهامش.
 - 7- يذهب حسين مؤنس الى كون ذلك حجة أخفت وراءها كره السلطان لابن الأَبَّار لسوء خلقه، وتفضيله الاندلس على افريقية، ومجاهرته بذلك، ولو كان ابن الأَبَّار فعلا يجذب المكوث في عز اللظى - كما أنشد - لمكث في الاندلس بعد

خصوصا مع كثرة النخبة المنافسة من الأندلسيين أو المحليين²، وتوفرها على الباع والمتاع العلمي³، ومرة أخرى تتفجر الأحقاد وتعمل الوشاية عملها، مما أسخط ابن الأَبَّار أنفةً من إثارة غيره عليه، واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رسائله، رادًا أمر السلطان، فعوتب في ذلك وروجع، فاستشاط لذلك غضيا ورمى القلم من يده وأنشد:

اطلب العز في لظى وذر الذل ولو في جنان الخلود

فأدرسته جفوة من قبل ولي نعمته، أفضت إلى صرفه عن العمل ولزومه بيته، ثم تغريبه وانتقاله الى بجاية.⁴

* - في منفاه الأول ببجاية :

أقام ابن الأَبَّار ببجاية زمنا يُعلم العلم وينشره بين الطلاب. ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه إليه عدَّ فيه من عوتب من الكتاب وأُعْتِبَ، وسمَّاه (إعتاب الكتاب)⁵، واستشفع فيه بابنه المستنصر بالله⁶، فغفر السلطان له وأقال عشرته، وأعادته إلى الكتابة دون العلامة.⁷

اشتعالها نارا ودمارا. الزركشي، مصدر سابق، ص 28، ابن الأَبَّار، الحلة السبراء، مقدمة التحقيق، ج1، ص 12 وما بعدها.

1 - تم تكليف الكاتب والأديب التونسي أبي العباس الغساني. انظر: أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988م، مج 2، ص 289، الزركشي، مصدر سابق، ص 28 - 29، ابن قنفذ، الفارسية، ص 116، 123 - 124.

2 - يأتي على رأسهم الرئيس أبو عبد الله ابن الحسين العنسي الذي سيكون له الدور البارز في محنة ابن الأَبَّار ونفيه لبجاية. انظر ترجمته وطرفا من أخباره عند قريبه: ابن سعيد، مصدر سابق، ج2، ص 168 - 169، ابن قنفذ، الفارسية، ص 116.

3 - أحمد الشاذلي الطويلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، تونس، 1986، ج1، ص 15 وما بعدها.

4 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص 269.

5 - المصدر السابق نفسه، س6، ص 269.

6 - انظر قصيدته عن ذلك في ديوانه، صفحات: 176، 271، 273.

7- ابن عبد الملك، مصدر سابق، س6، ص 274، ابن قنفذ، الفارسية، ص 116، الزركشي، مصدر سابق، ص 28

وعاد ابن الأَبَّار الى بلاط تونس مُصمما على استعادة مجده ودوره، وترسيخ حضوره وبصمته، من خلال معالجته لكل أحداث الدولة بالنظم وقرض الشعر¹، وظل بوظيفته إلى وفاة أبي زكريا، واستبقاه المستنصر.²

غير أن طبع ابن الأَبَّار ظهرت فيه الأنفة وضيق الخلق، حتى كان يُزري على المستنصر بالله في مباحثه، ويستقصر مداركه، فحشَّن له صدره، مع ما كان يُسخط به السلطان من تفضيل الأندلس وُؤلاتها على تونس. فضلا عن سعاية الوزير ابن الحسين العنسي، الذي كان يحمل لمترجنا حقدًا قديماً، سببه سوء خلق الأديب واستهزائه بوالد الوزير، وكانت ثمرة السعاية مع ما اجتمع من ابن الأَبَّار في حق السلطان، أن أصدر الأمر بنفيه إلى بجاية مجدداً³، وكان من العجب الاقتصار على تلك العقوبة، مع ما كان معروفاً به المستنصر من الشدة المطلقة مع مُناوئيه وخصومه، في وقت تفجرت فيه الصراعات على الحكم بجلاء، وظهرت التحالفات وحركات التمرد من الأقربين بعد خفاء⁴، ومما يُذكر أنه قتل ابن عمه وعمه، وجماعة من الأعيان والأقارب.⁵

* - في بجاية مجدداً:

نجحت السعائيات في حمل المستنصر على نفي ابن الأَبَّار الى بجاية⁶، وإنه لمن العجب حقا - كما قدمْتُ - عدم قتله يومئذ، في ظل أجواء الخوف والترقب من كل مؤامرة ودسياسة.

1 - افتراه مهنتا و معزيا ومادحا وواصفا ومستنهضا المهم لاستعادة الاندلس ومقارعة النصارى. انظر ابن الأَبَّار، ديوان ابن الأَبَّار، صفحات: 35 - 42 - 47 - 50 - 71 - 77 - 78 - 81 - 84 - 87 - 98 - 103 - 104 - 123 - 130 - 141 - 149 - 153 - 157 - 161 - 164 - 169 - 172 - 175 وغيرها.

2 - انظر القصيدة التي رثى فيها الوالد وهنأ الولد على الخلافة: المصدر السابق، ص ص 275 - 278.

3 - وملخص القصة أن ابن الأَبَّار لما وصل مع الأسطول البلنسي إلى مدينة بنزرت لغرض لقاء السلطان أول مرة، أرسل رسالة إلى الوزير الرئيس محمد بن الحسين ليستأذن له على السلطان، ووصف أباه في عنوان مكتوبه بالمرحوم، وتُبَّه على ذلك فاستضحك، وقال: (إن أبا لا تعرف حياته من موته لأبٌ خاملٌ)، وتُمَّيت إلى الوزير بن الحسين فأسرَّها في نفسه وحقد عليه . ابن الأَبَّار، الحلة السيرة، مقدمة التحقيق، ج1، ص 41.

4 - انظر تفاصيل ذلك عند المطوي، مرجع سابق، ص ص 176 - 185.

5 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 402 - 403.

6 - انظر كلام العبدري عن بجاية وأهلها ونخصتها العلمية، مصدر سابق، ص 83 وما بعدها.

فارتحل مترجمنا إل بجاية¹ وبقي عاطلا من الرُّتب، فاشتغل بالتصنيف في فنون العلم والأدب. واستنارت الحلقات يومئذ بعلمه وأدبه، نحوًا من سبع سنين، من سنة 650 هـ / 1252م إلى غاية سنة 657 هـ / 1259م. أو يزيد بقليل، لا سيما وقد انجلت عنه - ولو كرها - أعباء السياسة ومتاعبها.²

ومن غير المستبعد أن يكون ابن الأَبَّار - الرجل السياسي الطموح - قد سعى خلال هذه الفترة إلى الاتصال مجدداً بالبلاط الحفصي خاطباً وُده ورضاه، وهو ما تحقق على ما يبدو باستدعاء المستنصر له، مُجدداً راضياً عنه ومعيداً إياه إلى منصبه.³

4 - محنته ومقتله:

رجع ابن الأَبَّار مجدداً إلى تونس ليزاول مهنته بها، لكنها كانت أيامه الأخيرة، قبل أن يُسدل الستار على حياته غيلة وحرقة بأبشع صور، تدفعنا ولا شك لتلمس ظروف هذه الجريمة التي منشأها الوشاية وإيغار صدر متولي السلطة ولاشك بالإضافة إلى:

- ما كان في الشخصية الأندلسية - عموماً - من أمراض الفخر والتكبر والأنفة، وازدراء من لم يكن أندلسياً. وهو ما فتح المجال أمام المنافسة غير الشريفة على المناصب بين الوافدين، وأهل البلاد الذين لم يهضموا هذه المزاحمة بسهولة، فكثرت السعيات والأحقاد، مما أسال دماء كثيرة بحق وبغير حق، والعجيب أن أحد أسباب نكبة ابن الأَبَّار هو ابن الحسين الأندلسي لحقد قديم.⁴

- كما كان تُخلق ابن الأَبَّار ضيقاً وصعباً، موصوفاً بالتهكم على محيطه، حتى نُبِز بالفأر كما في قول ابن شلبون:

لا تعجبوا لمضرة عمّت جميع ع الخلق صادرة عن الأَبَّار

1 - يذكر ماهر أن الذي ترجح عنده دخول ابن الأَبَّار بجاية بين سنتي 646 و 647 هـ لشواهد، مرجع سابق، ص 118 وما بعدها.

2 - انظر كلام الغبريني عنه، مصدر سابق، ص 311.

3 - وردت إلى ابن الأَبَّار رسالة زميله الأسنّ ابن عميرة تخبره بذلك، فشد رحله مباشرة إلى تونس منشداً معتذراً مجدداً العهد على الاخلاص في الخدمة. انظر للمزيد: الغبريني، مصدر سابق، ص 299 - 300، ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 6، ص 274.

4 - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص 29.

أوليس فأرا خلقه حقيقةً والفاؤ مجبولاً على الأضرار¹

ولا شك أن وصف الفأر مع ما يتضمنه هذا الوصف من الخبث والمكر والإفساد². لدليل على ما كان يقع من ابن الأثير نحو أعلام الدولة والمجتمع عموماً، فضلاً عن أنه كان يتهاون بواجب الاحترام والطاعة لولي نعمته، ومجاهرته بتفضيل الاندلس كونها دار حضارة وما عداها أقل واحقر وعاوناً عليها...³

- الكفاءة المهنية العالية التي أبدتها ابن الأثير في إدارة ما أسند إليه، وتمرسه في شؤون الإدارة منذ أن كان في الاندلس متقلبا بين المناصب كتابة وسفارة. وهو ما انعكس بطبيعة الحال على المستوى لدى المقارنة مع أولياء نعمته وخدامهم، مما أشعل نار الغيرة والحقد والمكر به.⁴

- قيل أنه ألف تاريخاً وتكلم في جماعة، فقام عليه أعداؤه، وأوغروا السلطان عليه، ووصفوه بالفضولي المتكلم في الكبار.

فجرى في بعض الأيام إذن ! ذكر السلطان مولده ابنه⁵، فسائل عنه بعض من حضره فاستبهم، فغدا عليه ابن الأثير بتاريخ الولادة وطالعها، فأثم بتوقع المكروه للدولة والترئص بها، كما كان أعداؤه يشيعون عنه، بما كان ينظر في النجوم؛ وتنسب إليه ملحمة مضمنة في قصيدة بائية اشتهرت بأرض المغرب في حدثان الدولة الحفصية ومآل أمرها ؛ ومن أبياتها:

فإمّا رأيت الرسوم أمّحت ولم يُرع حق لذي منصب

فخذ في الترحل عن تونس ووَدّع معالمها واذهب

فسوف تكون بها فتنة تُضيف البريء إلى المذنب

فتقبض عليه بأمر السلطان، وفتشت داره وصودرت كتبه، ووجد بها رقعة - من غير المستبعد أن تكون مدسوسة عليه من مناوئيه - بأبيات أولها:

1 - أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، تح، احسان عباس، دار الثقافة - بيروت - لبنان، ط1، 1973، س 5، ص 274 وفيها ترجمة ابن شلبون.

2 - ماهر، مرجع سابق، ص 107 - 108.

3 - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 419، الحلة السرياء، ج1، مقدمة التحقيق، ص 43 - 44.

4 - انظر لمزيد التفصيل: جمعة، مقال سابق، ص 12 وما بعدها.

5 - الواثق بالله يحيى.

طغى بتونس حلف¹ سموه ظلما خليفة.

فاستشاط لها السلطان وأمر بامتحانه، ثم بقتله قعصا بالرماح، في يوم الثلاثاء 21 محرم من سنة 658 هـ الموافق لـ: 08 جانفي 1260 م. ولم يحصل الخلاف بين المصادر على هذا التاريخ². ثم أمر بإحراق جثته ومجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه.³

وتبقى في الحقيقة عندي وقفات ونقاط، لدى تتبع واقعة القتل عند الغبريني وابن قنفذ:

- اكتفى الغبريني بذكر تاريخ الوفاة دون التعرض لأسبابها أو ملامستها، مع أن ذكر ذلك كان جديرا بأن لا يُهمل لوزن المقتول والقاتل وطريقة القتل.⁴

- اكتفاء ابن قنفذ - أيضا - بذكر وفاة ابن الأَبَّار في كتابه الفارسية، باختصار دون التنبيه على أنه قُتل وتوابع ذلك، ثم عاد فوصفه بالشهيد، فهل كان ابن قنفذ ناقما على المستنصر وبطانته قتل ابن الأَبَّار ظلما؟⁵

5 - مكانته وشهادات الأعلام فيه:

كان الحافظ ابن الأَبَّار متفننا متقدما في الحديث والآداب، متخلقا فاضلا، بصيرا بالرجال المتأخرين، مؤرخا حلو التَّرحُّم، فصيح العبارة، وافر الحِشمة، ظاهر التحمل من بلغاء الكتبة.

- وصف بأنه الشيخ الفقيه المحدث المقرئ... له تأليف حسنة، ونزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة...⁶.

- وقيل أنه كان: (قد شرع في شرح البخاري... وكان شديد الرغبة في طلب العلم. ودارت بينه وبين أدباء عصره مكاتبات: مفااتحات ومجاوبات، ظهر فيها شغوفه وتبريزه، ولا سيما في النظم...¹).

3- خلف عند: الزركشي، مصدر سابق، ص 35، المقرئ، مصدر سابق، ج 2، ص 591.

2 - ابن الأَبَّار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص ص 15 - 18، وانظر: الغبريني، مصدر سابق، ص 313، ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 419، الزركشي، مصدر سابق، ص 35-36، ابن قنفذ، الفارسية، ص 123.

3 - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 419، الزركشي، مصدر سابق، يذكر أن عدد ما أُحرق مع جثة ابن الأَبَّار نحو من خمسة وأربعين تأليفا، ص 27.

4 - الغبريني، مصدر سابق، ص 313.

5 - ابن قنفذ، الفارسية، ص 123، ابن عبد الملك، مصدر سابق، ص 6، ص 275.

6 - الغبريني، مصدر سابق، ص 309، وص 311.

7 - آثاره العلمية والأدبية:

فاق مجموع ما ألفه ابن الأَبَر الأربعة كتابا في شتى الفنون، وقد ظهرت نهايته جليا في تواليه المتنوعة في الحديث والتاريخ والأدب وقد أحرق بعضها. فمن كتبه إجمالا²:

- تكملة الصلة
- قطع الرياض
- تحفة القادم في شعر الأندلس
- معجم أصحاب الصدي
- الحلة السيرة

المبحث الثالث:

3 - عبد الرحمان ابن خلدون (732 - 808 هـ / 1331 - 1405 م):

1 - اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم، ولي الدين أبو زيد الحضرمي، من ولد وائل ابن حجر - رضي الله عنه -³ الإشبيلي الأصل، التونسي النشأة ثم القاهري، المالكي، ويعرف بابن خلدون.

وترجع شهرته إلى جده خالد بن عثمان، أول من دخل من هذه الأسرة بلاد الأندلس⁴، واشتهر فيما بعد باسم خلدون، وفقاً للطريقة التي جرى عليها أهل الأندلس والمغرب، إذ كانوا يضيفون إلى الأعلام

1 - ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 259 وما بعدها.

2 - انظر: ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 258 - 259.

3 - الصحابي الجليل الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم زعيما على قومه في عام الوفود في السنة العاشرة للهجرة. وبسط النبي صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف له وأجلسه عليه وقال: (اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده إلى يوم القيامة). انظر: ابن عبد البر، مصدر سابق، مج 1، ص 756، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، ج 62، ص 388 - 391، ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 28.

4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 27 و ص 29.

واواً ونوناً؛ للدلالة على تعظيم من يحمل هذا الاسم، مثل: خلدون، وحمدون، وزيدون، وكثيراً ما يضاف إلى اسمه وصف المالكي، نسبة إلى مذهبه الفقهي.¹

قال ابن خلدون في التعريف به: "وأصل هذا البيت من إشبيلية، انتقل سلفنا عند الجلاء... إلى تونس في أواسط المائة السابعة".²

2 - مولده:

وُلد ابن خلدون بتونس في غرة رمضان سنة 732 هـ / 1331 م³، ولا يزال معروفاً في تونس، الدار التي ولد فيها. فهي تقع في إحدى الشوارع الرئيسية من المدينة القديمة ويعرف هذا الشارع بشارع (تربة الباي)، وهي الآن مدرسة الإدارة العليا، وقد أُلصق على مدخله لوحة رخامية سجل فيها مولد ابن خلدون.⁴

3 - حياته العلمية والعملية:

لقد مرت حياة ابن خلدون بأربع مراحلٍ متميزةٍ فيما بينها بمظاهر خاصة من نشاطه العلمي والعملية.⁵

أ. الحياة العلمية:

نشأ ابن خلدون وترعرع في حضان والده الذي رباّه تربيةً إسلاميةً؛ فشب على حب الإسلام، وتعليم مبادئ الدين الحنيف، وتطبيقها في ظل هذه الأسرة المحافظة، فحفظ القرآن الكريم على يد والده، وأخذ عنه مبادئ اللغة العربية، ثم توسع في العلوم الأخرى، ومع ذلك فقد راجع القرآن الكريم وختمه عدة مرات

¹ - حيث كان المذهب المالكي هو المذهب السائد في المغرب و الأندلس.

² - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 27 ، و عن ظروف استقرارا هذا البيت وأول الداخلين منه راجع: محمد عمارة، مرجع سابق، ص 79 - 80.

³ - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 36.

⁴ - علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمان بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة مصر، د ت، دط، ص 9 وما بعدها، خالد عزب، محمد السيد، مع ابن خلدون في رحلته، تقديم، إسماعيل سراج الدين، مجلة كتاب اليوم، عدد تذكاري، دار أخبار اليوم، ع 489، ديسمبر 2006، القاهرة، مصر، ص12.

5 - Allaoua AMARA, « Ibn Khaldoun et l'Occident chrétien », EI-MIAAR,

على مشايخ عصره¹، وتدرج في التعليم من دراسة علوم القرآن الكريم والقراءات العربية والتفسير والحديث والفقهاء وعلم المنطق والعقيدة.²

وقد درس ابن خلدون على مشايخ آخرين في تونس أثناء فترة وجوده بها، فأخذ منهم الحديث من مظانها في كتب الحديث، كصحيح البخاري ومسلم والسنن وغيرها، وأخذ أيضاً في الفقه المالكي، وتوسّع في العربية، وكتب الشعر، فحفظ الكثير منه³، حتى وقعت حادثة الطاعون، فمات فيها أكثر مشايخه.⁴

والقارئ لسيرة ابن خلدون يجد أنه قد واصل تتبع مجالس العلم في تونس، لا سيما ممن جاء مع السلطان أبي الحسن المريني في غزوه لتونس. لولا الحادثان العظيمان الخطيران اللذين كان لهما الأثر البالغ على مجرى حياته⁵. وهما حدوث الطاعون العام الجارف⁶ في سنة 749 هـ / 1348 م، حيث هلكت فيه أنفس كثيرة ومنهم والده، وجميع من كان يأخذ العلم عنهم⁷. يقول ابن خلدون في هذا الشأن: (إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصُدور، وجميع المشيخة، وهلك أبواي، رحمهما الله...)⁸.

بالإضافة إلى هجرة من بقي من النخبة، نحو المغرب الأقصى برفقة سلطان المرينيين المنسحب. وهو ما دعا ابن خلدون للخروج أيضاً، وهو ما يمكننا عدّه فاتحة المرحلة الثانية⁹ من حياة مُترجمنا، التي افتتحها بتولي الوظائف العامة التي برع فيها أسلافه من قبل.¹⁰

ب. رحلاته العلمية والعملية:

- 1 - انظر كلامه عن مشايخه بأسمائهم، والفنون التي أخذها عنهم: رحلة ابن خلدون، ص ص 36 - 64.
- 2 - انظر كلامه عن نفسه في الرحلة، ص 65، أبو عبد الله محمد بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، مرا وتع، بوزيان الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ق 4، ص 519.
- 3 - Allaoua AMARA, « Ibn Khaldoun et les Berbères », Revue des Lettres et Sciences Humaines , n 7 , shawwal 1427 / novembre 2006 , p 6 .
- 4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص ص 36 - 64.
- 5 - علي، مرجع سابق، ص ص 37 - 39.
- 6 - انظر عن أسباب حصوله وانتشاره وآثاره الوخيمة على العلماء وغيرهم: يماني رشيد، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، الجملة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، طباعة منشورات زين الحقوقية والأدبية، بيروت، لبنان، س 1، ع 2، 1436 هـ - 2015 م، ص ص 47 - 56.
- 7 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 40، و ص 57.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 65.
- 9 - الممتدة من (751 - 776 هـ / 1351 - 1374 م)، انظر: علي، مرجع سابق، ص 40.
- 10 - انظر عمارة محمد، مرجع سابق، ص 80 - 81، مسعود، مرجع سابق، ص 244 - 245.

وأول منصب تولاه ابن خلدون هو كتابة العلامة¹، في أواخر سنة 751 هـ / 1350 م، في عهد الوزير ابن تافراكين². الذي تسلط على حكم الحفصيين، بعد تحرر الدولة من الاحتلال المريني³ في سنة 750 هـ / 1349 م. وفي هذا يقول ابن خلدون عن نفسه: (لم أزل منذ نشأت وناهزت، مكباً على تحصيل العلم، حريصاً على اقتناء الفضائل، متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة، وهلك أبواي رحمهما الله، فلزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الأبلبي... واستدعاني أبو محمد بن تافركين... إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي إسحاق... وأداني منه، فكتبت العلامة للسلطان، وهي وضع " الحمد لله والشكر لله "، بالقلم الغليظ، مما بين البسمة وما بعدها، من مخاطبة أو مرسوم... فلما دُعيت إلى هذه الوظيفة، سارعت إلى الإجابة؛ لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب، وكان كذلك)⁴.

فبعد أن ابن خلدون استلم منصبه، سار مع رئيسه ابن تافراكين في حملته العسكرية⁵ في سنة 753 هـ / 1352 م؛ حيث انهزم ابن تافراكين؛ ففرَّ ابن خلدون خفية من العسكر المهزوم ناجياً بنفسه، وسار مطوّفاً في البلاد حتى أَلقت به عصا التسيار في بسكرة⁶، وقضى شتاء ذلك العام، ويتزوج حوالي سنة 754 هـ / 1353 م.⁷

1 - ابن الاحرر، مستودع العلامة، ص 64.

2 - المستبد على الحكم زمن أبي العباس الفضل، لكن وزيره خلعه وقتله في 751 هـ/1350 م مُنصبا مكانه أبا اسحاق ابراهيم الصبي، ثم ابنه أبو البقاء خالد، الذي توفي غريفا. انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص ص 433 - 554، ابن قنفذ، مصدر سابق، ص ص 143 - 178، ابن الشماخ، مصدر سابق، ص ص 83 - 109.

3 - تقدم الكلام عن ذلك في موضعه وللاستزادة يراجع: علال بن عمر، قسنطينة في العهد الحفصي، محور صراع وتنافس بين دول المغرب الاسلامي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ع 3، نوفمبر 2015 م، ص 62 وما بعدها.

4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 64 - 65.

5 - لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي.

6 - من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة البلاد... انظر المزيد من أوصافها عند: الحميري، مصدر سابق، ص 113.

7 - علي، مرجع سابق، ص 42 - 43.

سافر ابن خلدون إلى البلاط المريني على دعوة من أبي عنان، الذي حرص على ضم مترجمنا إلى مجلس علمائه¹. وكلفه شهود الصلوات الخمس معه²، ومازال السلطان يدينه إليه ويرفع من مكانته حتى عينه في العام التالي³ ضمن كُتَّابه ومُوقَّعيه⁴.

فعاود ابن خلدون الدرس والقراءة على العلماء والأدباء الذين كانوا قد نزحوا إليها من الأندلس ومن تونس وغيرها من بلاد المغرب، وسجل أسماء مشايخه الذين أخذ منهم. يقول ابن خلدون: (وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة، وحصلت منهم على البغية)⁵.

غير أنَّ العمل السياسي جرَّ ابن خلدون إلى بعض السقطات المظلمة، من التآمر على من أحسن إليه، وتغيير الولاء تبعاً للمصلحة، معتذراً بظروف أو أسباب ما⁶. ففي هذه الفترة يخبر ابن خلدون عن نفسه أنه تآمر مع الأمير الحفصي الأسير في فاس⁷، وأنه عمل على تسهيل هروبه، موعوداً من طرفه بمنصب الحجابة. الأمر الذي كلفه التوقيف والعذاب والسجن لسنتين كاملتين⁸.

لكن ابن خلدون لم ييأس من محاولة استعادة موقعه ومنصبه، والتغلب على الصعاب كلها. فعمل على استجلاب محبة السلطان له، حتى بعد أن سجنه، إلى أن تمكن من استرداد عطفه - قبيل وفاته - بقصيدة اعتذار وعتاب ومصارحة أرسلها له، بلغت حوالي مائتي بيت، فهش له السلطان، ووعد بالإفراج

1 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 67 وما بعدها، وهو يُعدّد جملة هؤلاء الأعلام، ممن حل أو ارتحل سواء من المغربين أو الأندلس، راجع للمزيد: رشيد خالدي، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف، لخضر عبدلي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، قسم التاريخ وعلم الآثار، السنة الجامعية، 1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011م، ص ص 38 - 104.

2 - علي، مرجع سابق، ص 44.

3 - أي في سنة 756 هـ / 1355 م ودخول ابن خلدون إلى فاس كان في 755 هـ / 1354 م .

4- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 67، ابن الخطيب، الاحاطة، ق 4، ص 520.

5- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص ص 67 - 72.

6 - كاعتذاره بإنعام الحفصيين على أسلافه ببجاية، ما دعاه للتآمر لتهريب الامير الحفصي الاسير بفاس. انظر كلامه في الرحلة، ص 73، و ص 92.

7 - وهو أبو عبد الله محمد الحفصي صاحب بجاية المخلوع.

8 - ألقى القبض عليه في 18 صفر سنة 756 هـ / 1355م. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 73،

و ص 93 - 94.

عنه، لكن وافته المنية، فبادر وزيره المستبد من بعده¹ إلى إطلاقه، وأعادته إلى مكانه في سنة 759 هـ / 1358 م.²

ثم سجل التاريخ سقطة أخرى لابن خلدون، الذي تنكر لفضل الوزير عليه، مع وثوب سلطان جديد³، ولازال به حتى ولأه الكتابة، وأقصى الوزير. ثم يسقط ابن خلدون مجدداً، بتشجيعه وتأميره مع السلطان أبي سالم ضد أخيه، بل ورسم له خطة محكمة، نجح من خلالها في تولي كرسي الحكم في سنة 760 هـ / 1359 م.⁴

والذي يهمننا أن ابن خلدون أُسْتُعْمِلَ زُهاء عامين، في وظيفة كتابة السر، والإنشاء للمخاطبات و الرسائل الرسمية، مُحررة من قيود السجع في سابقة من نوعها يومئذ، قلَّ من نافسه فيها لضعف الزاد⁵ ثم تولى خطة المظالم، فأداها بعدالة وكفاية⁶. قبل أن يعود للتقرب من المتغلب الجديد⁷، والاستفادة من الوضع للمحافظة على وظائفه، طامحا لمنصب أعلى في الدولة من وزارة أو حجابة، لكنه فشل في ذلك وتنحى وطلب الخروج من البلد في سنة 764 هـ / 1363 م، خوفاً من أي انتقام أو غدر، فلم يُجب لذلك خوفاً من استفادة بني عبد الواد منه، ثم نجحت الشفاعات في السماح له شريطة العدول عن المملكة المنافسة⁸، وهذا بعد أن خدم ثلاثة أمراء ووزيرين مستبدين خلال إقامته بالمغرب الأقصى طيلة ثمان سنين.⁹

* - سفره الأول إلى الأندلس:

- 1 - الحسن بن عمر.
- 2 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 73.
- 3 - منصور بن سليمان. انظر للمزيد: محمد محمد أحمد إسماعيل، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين (615 هـ - 891 هـ / 1213 - 1465 م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1432 هـ - 2008 م، ص 105 وما بعدها.
- 4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 74.
- 5 - هذا كلام ابن خلدون، في الرحلة، ص 75.
- 6 - المصدر السابق نفسه، ص 80.
- 7 - لما خلع الوزير عمر بن عبد الله وأعوانه أبا سالم. المصدر السابق نفسه، ص 80، ابن الخطيب، الاحاطة، ق 4، ص 521.
- 8 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 80 - 82.
- 9 - علي، مرجع سابق، ص 53 - 56.

سافر ابن خلدون إلى الأندلس، ونزل غرناطة عند سلطانها محمد ابن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر¹، وكان بين مترجمنا والسلطان ووزيره صداقة وتقارب مرجعه إلى أيام كان السلطان ووزيره ابن الخطيب لاجئين بفاس، وابن خلدون يومها كان كاتباً للسلطان المريني، فاعتنى بهما غاية العناية². فنظمه السلطان في مجلسه، وقربه إليه، وآثره بصحبته وسهراته الخاصة، واختصه في السنة الموالية لوصوله أي سنة 765 هـ / 1363 م للسفارة بينه وبين ملك قشتالة³.

وأدى ابن خلدون مهمة السفارة إلى إشبيلية⁴، ونجح في كسب ثقة السلطان النصري. ومما يُذكر أن ملك قشتالة كان قد طلب منه البقاء عنده، ووعد به بأن يرد إليه جميع أموال أسرته السليبية، لما رأى تأثره وحزنه على أطلال ملك فلّ وضاع⁵، لكن مترجمنا اعتذر عن ذلك بأمر قبلها منه الملك، وسمح له بالعودة، وقد كافأه ابن الأحمر بإقطاعات واسعة؛ فازداد رزقه، وتحسنت أحواله، واستأذن في استقدام أهله، فأمر السلطان قائد الأسطول بأن يأتي بهم، وعاش ابن خلدون بضعة أشهر بعد ذلك مع أسرته في رغد وطمانينة من العيش⁶.

ويخبرنا مترجمنا أن الأعداء وأهل الوشايات خيّلوا للوزير المستبد يومها - ابن الخطيب - أنه قد يأخذ مكائنته، فتنكر له. وشعر ابن خلدون بانقباض السلطان منه بتأثير من وزيره. فعزم على الرحيل، وما لبث أن جاءه خطاب من أمير بجاية⁷ - الذي كان أسيراً في فاس، وكان ابن خلدون يسعى إلى تحريره وتهريبه - بأنه استولى عليها في رمضان 765 هـ / 1363 م، ويطلبه الحضور، منفذا وعده بتوليته منصب الحجابة⁸،

- 1 - انظر كلام ابن خلدون عن السلطان ووزيره وحفاوتهما به أشد الحفاوة. رحلة ابن خلدون، ص 84-85.
- 2 - ابن الخطيب، الاحاطة، ق 4، ص 521، ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 82-83. وسيأتي الكلام عن ذلك في ترجمة ابن الخطيب.
- 3 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 85.
- 4 - (وهي الموطن الأول لآل ابن خلدون).
- 5 - بنسالم جيمش، عن سيرتي ابن بطوطة، وابن خلدون، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2014، ص 47-48.
- 6- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 86-90.
- 7 - المصدر السابق نفسه، ص 95.
- 8 - وهو المنصب الذي كان يسعى وراءه ابن خلدون من البداية لرفعه ونفوذ متوليه في الدولة. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم

نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، أبريل 1994، ص 47 -

وقد استوزر قبله أخاه الأصغر يحيى. فاستأذن ابن خلدون السلطان ابن الأحمر؛ فأذن له؛ وكتب له خطاباً إلى أمير بجاية بالوصاية والرعاية له.¹

* - سفره إلى بجاية:

وصل ابن خلدون إلى بجاية منتصف سنة 766 هـ / 1364 م. واستقبله أميرها وأهلها استقبالاً حافلاً، وولاه الحجابة، وكان منصب الحجابة أعلى منصب في الدولة عندهم. وقد عبر ابن خلدون عن انبهاره بطريقة الاستقبال التي حُصِّ بها. فيقول: (وأركب² أهل دولته للقائي. وتحافت أهل البلد عليّ من كل أوبّ يمسخون أعطافي، ويُقبّلون يديّ، وكان يوماً مشهوداً... وأصبحت من الغد، وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي، واستقلت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه، وقدمني للخطابة بجامع القصبية، وأنا مع ذلك، عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة؛ إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبية، لا أنفك عن ذلك).³

لكن لم يلبث أن حصل نزاع بين أمير بجاية وابن عمه⁴ فتقابلا، وانهمز أمير بجاية، وانتصر صاحب قسنطينة، والتقى ابن خلدون بالسلطان أبي العباس، فبايعه وسلّم له البلد، مُتفادياً فكرة منازعته فأكرمه وأبقاه على الحجابة زمناً، ثم شك في إخلاصه فتنكر له. وقبض على أخيه يحيى فيما فرّ عبد الرحمان إلى بسكرة⁵، ثم جاءه خطاب الأمير أبي حمو سلطان تلمسان بالمغرب الأوسط، يدعو فيه لبث الدعوة العبد وادية بين القبائل العربية⁶، خصوصاً بعد انكساره على أسوار بجاية رغم العدد الكثيف لجيشه وعُدته⁷، وكان كاتبٌ مترجمنا في سنة 769 هـ / 1367 م بالقدوم إليه، موعوداً بمنصب الحجابة، ومعها كتابة العلامة، موعوداً بالخير والإنعام والاعتناء والتكريم⁸، لكنه آثر الرفض والعزوف عن شؤون السياسة - بعد

1- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 90 - 92.

2- أي الأمير.

3- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 95.

4- أبو العباس صاحب قسنطينة. ابن الخطيب، الاحاطة، ق 4، ص 563.

5- انظر تفصيل ذلك.. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 96.

6- لقد كان للقبائل العربية دور هام وبارز في استقرار الزنانيين من عدمه، يُراجع في الموضوع: بن فرجة عبد المالك، القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزنانية، مذكرة ماجستير، تخصص، تاريخ وحضارة اسلامية، إشراف، بوركبة محمد، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، السنة الجامعية، 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م، ص ص 30 - 81.

7- والسبب في الهزيمة الخيانية والخديعة والجري وراء الكرسي والقيادة، انظر التفاصيل في الرحلة، ص 97 - 98.

8- انظر نص الكتاب، المصدر السابق نفسه، ص 98 - 99.

خيبة أمله في بجاية - التي لربما كان يطمح من خلالها دخول القصر السلطان¹ والترجع على عرشه حاكماً أو مستبداً.

ورغب عبد الرحمان في الرجوع إلى المطالعة والدرس²، فأرسل أخاه³ - بعد تحرره من سجنه - كالنائب عنه. بينما رغب هو أن يبقى في هذه الفترة بعيداً عن المناصب والوظائف، عاكفاً على طلب العلم والتأليف⁴، غير عالم بأن الظروف العامة لبلاد المغرب الاسلامي السياسة ستجره مجدداً الى الواجهة⁵. وهنا شهدت حياة ابن خلدون مرة أخرى، تقلباتٍ خطيرة بين ولاءات وانقلابات على المحسنين له سابقاً فنجد (لاجئاً إلى القبائل العربية مسانداً صاحب تلمسان طورا، وصاحب فاس طورا آخر...)⁶. فانتظم أول الأمر ابن خلدون في عقد أبي حمو، طمعا في استعادة مكانته ومكانة أسلافه في حكم بجاية⁷. وخاض ابن خلدون تحت إمرة أبي حمو المواجهات العسكرية ضد بجاية، التي فشلت إحداها في سنة 771 هـ / 1369م، ومهدت لانقلاب الولاء مجدداً عند مترجمنا، خصوصا بعد أن خرج أبو فارس المريني المتغلب لغزو تلمسان في سنة 772 هـ / 1370م.

عاد ابن خلدون - مجدداً - لسيرة الثقلب على من أحسن إليه، فاستأذن يريد الأندلس، غير أن جنود المريني أدركوه، يظنون معه وديعة مال، وحملوه لسلطان المغرب الذي وبَّخه وعنَّفه على خيانة العهد والانقلاب على بني مرين، فاعتذر وبرر، ونجا بشفاعة من شفع من رجالات الدولة⁸.

ثم انتظم ابن خلدون مجدداً في سلك بني مرين مُهونا عليهم تملك بجاية، ثم استدعي كرة أخرى ليؤلب القبائل العربية على أبي حمو⁹، وليقود حملة عسكرية، تفتش عن ولي نعمته السابق (أبي حمو) في

1 - مسعود، مرجع سابق، ص 249-250.

2- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 98-99.

3 - يحيى.

4- المصدر السابق نفسه، ص 99.

5 - بوبكر زاوي، عبد الرحمان بن خلدون والسلطة الزيانية (767 هـ - 780 هـ / 1366م - 1379م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، منشورات جامعة الجيلالي ليابس، بلعباس، الجزائر، ع3، 1437 / 2016، ص 173.

6 - الجابري، مرجع سابق، ص 23.

7 - انظر للتفصيل: زاوي، مقال سابق، ص 172.

8 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 120 - 121.

9 - زاوي، مقال سابق، ص 175.

الصحراء، ونجح مترجمنا - المتقلب الولاء - في تمزيق جيش العبد وادي شرمزق حتى (انتهب مخيم السلطان أبي حمو و رحائله وأمواله. ونجا بنفسه تحت الليل، وتمزق شمل ولده وحرمه...)¹.

لاشك أن ما قام به ابن خلدون، خيانة صريحة - لم تكن الأولى ولا الأخيرة - لمن أحسن إليه وأعانه. إلا أنه تستوقفنا مظاهر العبقرية عنده بما كان، إذ أنه ينجح في حشد دعم القبائل العربية أول الأمر لأبي حمو، ثم ينجح مرة أخرى في تأليبها عليه، وإن كنا نجهد حقيقة السبل والطرق التي اعتمدها. لكن من الواضح أنه كان دراسا فاحصا لطبائع تلك القبائل، يحسن بث الرعب في أشياخها ليدعموا أو يخضعوا أو ينقلبوا مع صعوبة ذلك.²

وانتهى المطاف لعبد الرحمان للخروج من بسكرة في سنة 774 هـ/1372م، لما أحس بالخطر من متوليها³. وتعرض للانتقام أبي حمو الذي استطاع استرداد ملكه، وسلط عليه من الأشيياء من آذوه ونهبوا متاعه، حتى مر عليه يومان في (قفره ضاحياً عارياً)⁴، وما وصل الى فاس إلا في أسوأ حال هو وأهله.⁵

* - رحلته ثانية إلى الأندلس ثم عودته إلى البحث والكتابة:

عزم ابن خلدون الرحيل إلى الأندلس مرة أخرى، بعد أن سدّت القصور المغربية أبوابها في وجهه، لغدره بساكنيها مرة بعد مرة. فترك أسرته بفاس، ونزل بغرناطة، في ضيافة سلطانها ابن الأحمر، ومكث عنده مدة وجيزة، لاحقته فيها أعين المراقبة والتوجس من الجميع، وطلب بلاط فاس تسليمه أو طرده، لما شاع من دسائسه، فأجاب ابن الأحمر الطلب - خصوصا بعد شفاعته في صديقه السجين-⁶.

فلم يجد ابن خلدون بُدا من التقرب من أبي حمو الناقم عليه والمستكتب لأخيه يحيى. ولعل يحيى كان أحد الشافعين الطالبين العفو عن عبد الرحمان⁷. وهو ما تم في عيد الفطر من سنة 776 هـ / 1374م⁸,

1 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 122 - 123.

2 - زاوي، مقال سابق، ص 175، مسعود، مرجع سابق، ص 245 و ص 248.

3 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 134 - 135، و ص 179.

4 - كما وصف حاله في رحلته، ص 180.

5 - المصدر السابق نفسه، ص 181.

6 - ابن الخطيب كاتب صديقه مستصرخا متوسلا كما سيأتي في موضعه، ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 186 - 187.

7 - زاوي، مقال سابق، ص 176.

8 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 187.

كنتيجة لظروف مصلحة بلاط تلمسان المحتاج لشخصية عبقرية، موهوبة في تجييش القلوب والقبائل¹ لحرب العدو وتثبيت السلطة، رغم ما أضمره ابن خلدون في نفسه من اعتزال العمل السياسي ومعاودة القراءة والتأليف.²

وحتى لا ينكشف أمره عمد الى التظاهر، بالخروج في مهمات حشد التأييد في أرجاء المملكة، بينما ولى وجهه مكانا نائياً في قلعة ابن سلامة³. فأقام هو وأسرته - بعدما اضطر أبو حمو للنفو مجددا عنه لشفاعة من شفيع - ما يقرب من أربع سنوات، شرع فيها في تأليف كتابه في التاريخ المسمى بـ: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر"⁴، حتى أكمله مبتدئاً ببحث عام في شؤون الاجتماع الانساني وقوانينه⁵، وهو البحث الذي ستطير شهرته في الآفاق باسم المقدمة أو مقدمة ابن خلدون⁶. وكان الوقت قد حان - بعد نضجه الفكري والعلمي والسياسي - لكتابة الأحداث والوقائع السياسية والعلمية بالمغرب خصوصاً، قبل أن يتوسع الى بقية العالم، بالسرد والمقارنة والتحليل، ذاكراً النصوص الشرعية في الاستدلال لما يلزم له.⁷

* - عودته إلى تونس للمرة الأخيرة:

- 1 - انظر للسفارة التي كُلف بها ابن خلدون بعد العفو عنه من أبي حمو في الرحلة، ص 187.
- 2 - المصدر السابق نفسه، ص 187.
- 3 - انظر التعريف بها في الرحلة، ص 187، الهامش 4.
- 4 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 188، الجابري، مرجع سابق، ص 23.
- 5 - علي، مرجع سابق، ص 79 - 80، وانظر أيضاً: سيد شوريحي عبد المولى، الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون، الأسعار والنقود، دراسة تحليلية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، عمادة البحث العلمي، كلية الشريعة وأصول الدين بأبها، قسم الاقتصاد، 1409 هـ - 1989م، ص ص 13 - 71، و صلاح الدين بسيوني رسلان، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية للنشر والتوزيع، دط، دت، القاهرة، مصر، ص ص 4 - 199، ابن خلدون، المقدمة، مقدمة التحقيق، ص ص 7 - 10، الجابري، مرجع سابق، ص 17 - 306.
- 6 - قضى في كتابته حسب قوله خمسة أشهر، وأنهاه في منتصف سنة 779 هـ / 1377م. ابن خلدون، المقدمة، ص 613.
- 7 - راجع عن ذلك مثلاً: خلدون خليل سليم العباشته، ابن خلدون والتاريخ، أطروحة دكتوراه، إشراف، عبد العزيز الدوري، تخصص، تاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الثاني، 2010م، ص ص 4 - 197، و عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 5 - 132، علي، مرجع سابق، ص ص 79 - 83.

عزم ابن خلدون على تنقيح كتابه وإدخال التعديلات نظرا لعدم توفر المراجع الخاصة بذلك بحوزته في عزله، إنما كان يكتب من حفظه وما حمل معه ربما من مادة معينة، فلم يجد بُداً أن يشد الرحل نحو مسقط الرأس ومنطلق حياته في تونس الغنية بالعلم والمعارف يومئذ.¹

واستطاع ابن خلدون أن يحصل على عفو من السلطان أبي العباس، بعد حديث طويل عن الدسائس والمؤامرات السياسية نصرته له أو لابن عمه عليه². وأكرم السلطان وفادة مترجمنا وأمر له بكل ما يريح خاطر وينعش المهوبة، وكان ذلك في سنة 780 هـ / 1378م.

وظل ابن خلدون عاكفا على البحث والكتابة والتنقيح، حتى نجح في اتمام عمله، مُهديا نسخة منه الى السلطان في أوائل سنة 784 هـ / 1382م³. على أن ابن خلدون سيواصل تنقيح عمله بالإضافة والحذف خلال إقامته بمصر⁴. ويظل البلاط الحفصي يفخر بانتساب علم مثل ابن خلدون اليه نشأة وخدمة.⁵

4 - رحلته إلى مصر:

رأى ابن خلدون أن الوقت قد حان ليضع عصا الترحال بين القصور، وتولي الوظائف السلطانية بمغصاتها ومسؤولياتها الخطيرة، خصوصا وقد بدأت السعيايات تؤتي ثمارا واضحة في بلاط تونس⁶. فأضمر في نفسه الخروج للمشرق، متظاهرا بالرحلة للحج. فاستأذن من السلطان، وما زال به حتى أذن له، والحقيقة أنه كان يريد النجاة من محيط امتلاء بالدس والمؤامرات⁷. فخرج إلى مرسى السفينة في حفل حاشد من الأعيان والأصدقاء والتلاميذ؛ مودعاً بمظاهر الأسى والفرح في سنة 784 هـ / 1382م، فركب البحر،

1 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 188.

2 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 189.

3 - المصدر السابق نفسه، ص 190 - 198.

4 - Allaoua, « Ibn Khaldoun et les Berbères », p 7.

5 - السعيد بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، دراسة تاريخية فنية، مذكرة ماجستير، تخصص، الأدب العربي القديم، إشراف، الربيعي بن سلامة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية،

1427 هـ - 1428 هـ / 2006 - 2007، ص 23، وص 43، ص 46 - 47.

6 - انظر كلامه عن محمد بن عرفة وبطانة السلطان في الرحلة، ص 190 و ص 198 - 199.

7 - المصدر السابق نفسه، ص 199، الجابري، مرجع سابق، ص 35 - 36.

ووصل الإسكندرية، وقد أقام بها شهرًا يهيئ العدة للحج، ولم تتح له فرصة السفر إلى مكة، فانتقل إلى القاهرة أول ذي القعدة.¹

* - توليه منصب التدريس والقضاء:

تولى عبد الرحمن التدريس بالجامع الأزهر أول ما دخل القاهرة بسبب شهرته التي سبقته²، وانثال عليه الطلاب ييغون العلم والحكمة. وارتفع شأنه عند سلطانها، الذي أكرمه غاية الكرم. ووفد أهله إليه من تونس بشفاعة السلطان المصري³. وسرعان ما ارتفع شأن ابن خلدون أكثر، ليتولى التدريس بالمدرسة القمحية. ثم منسبا حساساً⁴، وهو قاضي المالكية - رغم اعتذاره عنه - في سنة 786 هـ / 1384م. ويخبر عبد الرحمان عن نفسه بما كان يُرفع إليه، من الشكاوى والاحوال، لينظر فيها دون قبول أي وساطة، وهو ما تسبب له من إثارة أحقاد ومشاكل مع كبراء الدولة وما سعوا به ضده عند السلطان.⁵

وفضّل ابن خلدون في الأخير التخلي عن المنصب في سنة 787 هـ / 1385م، خصوصاً بعد كثرة السعائيات عن جدارته بما أسند إليه⁶، ثم المصيبة بأهله الذين غرقوا قبيل قدومهم عليه⁷. ورغب ابن خلدون في الحج، وهو ما تحقق له في سنة 789 هـ / 1387م، قبل أن يعود بعد رحلة طويلة إلى القاهرة في سنة 790 هـ / 1388م.⁸

* - توليه التدريس بالمدرسة الظاهرية:

- 1- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 199.
- 2 - الجابري، مرجع سابق، ص 36.
- 3 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 201 وما بعدها.
- 4 - الجابري، مرجع سابق، ص 36.
- 5 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 205 - 208.
- 6 - الجابري، مرجع سابق، ص 36.
- 7 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 209.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 209 - 210.

عُيِّنَ ابن خلدون مُدرسا بالظاهرية بعد فراغ السلطان من بنائها في سنة 788 هـ / 1386م، ثم عُزل من أثر السعايات. فسافر وحج عامه ذاك 789 هـ / 1387م. ولدى رجوعه، تم تعيينه للتدريس بمنصب كرسى الحديث¹ مجددا سنة 791 هـ / 1389م، مقررًا الموطنًا على الطلاب...²

وتسببت السعايات في جر محن كثيرة على عبد الرحمان، فبين معزولٍ وبين فاقد لممتلكاته. وبين معفوٍ عنه³، مُعيَّنًا كَرَّةً أُخرى قاضياً لقضاة المالكية سنة 801 هـ / 1398م.

ورغب ابن خلدون في زيارة بيت المقدس، فأذن له، فزار المسجد الأقصى ومدنا أخرى هناك⁴، ثم رجع إلى مصر، فوجد نائبه على القضاء⁵ قد حُرِّضَ للسعي إلى المنصب، ونجح في ذلك، ورجع ابن خلدون من حينه للتدريس والتأليف⁶. لكن ذلك لم يمنع من أن يكون له دور فعال خصوصا بعد هجوم التتار المدمر، إذ سعى ابن خلدون - وقد عاوده الحنين- لمغامراته السياسية للانتظام في بطانة تيمورلنك⁷، ولكن محاولته فشلت مع ما صاحبها من تحشم للهدايا وضياع للممتلكات⁸. فعاد مصرًا مجددا... وخلال خمس سنين متعاقبة (803 - 808 هـ / 1400 - 1405 م)، سيتولى عبد الرحمان منصب القضاء أربع مرات بين تولية وعزل⁹... لتنتهي بوفاته فجأة.

5 - وفاته:

كانت وفاته في مصر في يوم الأربعاء، لأربع بقين من رمضان، عام 808 هـ / 1405م، عن ست وسبعين سنة، قضاها منتقلاً في بلاطات كثيرة ومتناحرة من العالم الإسلامي، وتقلد وظائف عديدة كان آخرها القضاء في مصر، إذ توفي فجأة، وهو يُباشِر عمله الرسمي. ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر (أحد الأبواب المشهورة في القاهرة المملوكية العثمانية)، ولا يزال معروفاً حتى الآن.

- 1 - بمدرسة صلتمش أو صلغتمش. وبعد ثلاثة أشهر من توليه كرسى الحديث، أضاف إليه السلطان وظيفة شيخ بيت الخانقاة - وهى مساكن الزهاد والفقراء وأهل التصوف - والإشراف على الأوقاف والأربطة والأراضي الزراعية التابعة لهم. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 245 وما بعدها.
- 2 - المصدر السابق نفسه، ص ص 226 - 245.
- 3 - انظر تفصيل كل ذلك في الرحلة، ص ص 246 - 263.
- 4 - مدينة الخليل وبيت لحم. وانظر تفاصيل الرحلة: ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 274.
- 5 - نور الدين بن الخلال.
- 6- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 274 - 275.
- 7 - انظر تعريف ابن خلدون به وبمذهبه ومنشأ دولته. الرحلة، ص ص 275 - 286، و ص 299.
- 8 - المصدر السابق نفسه، ص 288 - 299.
- 9 - انظر تفصيل ذلك في الرحلة، ص ص 299 - 300.

6 - مؤلفاته وآثاره:

نظرا لموسوعية الرجل فقد تعددت تصانيفه، وتنوعت في مختلف الفنون والآداب والسياسة والاجتماع والفقهاء على غرار¹:

- 1- لباب المحصول في أصول الدين.
- 2- شرح الرجز في أصول الفقه.
- 3- تقييد في المنطق ونقده.
- 4- المقدمة.
- 5- العبر وديوان المبتدأ والخبر.
- 6- وصف بلاد المغرب لتيمورلنك.

7 - مكانته وما قيل فيه:

لقد حظي ابن خلدون بالكثير من ثناء علماء عصره، وكذلك ذوى الجاه والسلطان والحكم. قال له أبو حمو خاطباً وُدّه، يعرض عليه منصب الحجابة: (أكرمكم الله، يا فقيه أبا زيد، ووالى رعائتكم، إنا قد ثبت عندنا، وصحّ لدينا ما انطويتم عليه من المحبة في مقامنا، والانقطاع إلى جنابنا، والتشيع قديماً وحديثاً لنا، مع ما تعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم، ومعارف فُتتم فيها نظراءكم، ورسوخ قدم في الفنون العلمية والآداب العربية، وكانت خطة الحجابة ببابنا العلي - أسماء الله - أكبر درجات وأمثالكم، وأرفع لخطط لنظرائكم...)².

وقال ابن الخطيب فيه: (هذا الرجل الفاضل حسن الخلق، جم الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصيّ الزيّ، عالي الهمة، عزوف عن الضيم، صعب المقاد، قوى الجأش، طامح لقتن الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون نقلية وعقلية، متعدد المزاي، سديد البحث،

1 - انظر الحديث عنها عند ابن الخطيب، وطبعاً ليست بتمامها باعتبار الغرناطي قُتل قبل أن يحيط علماً بها. الاحاطة، ق 4، 539 - 540، لمزيد التفصيل يراجع: ابراهيم حركات، تحليل موجز لمقدمة ابن خلدون، مجلة دعوة الحق، وزارة

عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رمضان 1386 - يناير 1967، س 10 - ع 3، ص ص 98 - 101

² - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 98 - 99.

كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، مُعزّي بالتجلة، جواد الكف، حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التعيين، عاكف على رعي خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التحوم المغربية).¹

وأما الكتاب المعاصرون فقد تعددت نظرتهم على اختلاف ألسنتهم واختصاصاتهم وتوجهاتهم²،
فمنهم من يعتبره:

* عالم الاجتماع الأول في فترة الإسلام الوسيط

* أب علم الاجتماع

* رجل سياسة محنك

* رائد المادة التاريخية، وحامل لخطاب تاريخي جديد

* رجل فقه أصولي³

* صاحب بصمة على العلاقات والسياسات بترائه.⁴

المبحث الرابع:

4 - ابن الخطيب (713 هـ - 776 هـ / 1313 م - 1374 م):

1 - اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله (محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي ابن أحمد السُّلْماني⁵ قرطبي¹ الأصل، ثم طليطليه²، ثم لوشيه³، ثم غرناطيه⁴... ويُلَقَّب من الألقاب المشرقية بلسان الدين⁵. كما سيُلَقَّب أيضاً بـ (ذي الوزارتين)؛ لجمعه بين وظيفتي الوزارة والكتابة.

⁻¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ق 4، ص 517، وانظر انظر المراسلات بينهما في الرحلة ص ص 110 - 118، ص 135.

2 - Allaoua, Article Précédent, p 6 - 7.

3- LUCIANI J.-D.): “ LA THEORIE DU DROIT MUSULMAN” d’après IBN KHALDOUN, REVUE AFRICAINE , volume 69, année 1928, A.

pp 49 - 64.-JOURDAN, LIBEAIRE- EDITEUR, ALGER,

4 - نادية محمود مصطفى، أفكار حول إسهام التراث الخلدوني في الفكر الدولي والنظرية الدولية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 13، ع 51، شتاء 1428 هـ / 2007م، ص ص 127 - 173.

5 - نسبة إلى (سلمان)، وهو حجيّ من مُراد من عرب اليمن القحطانية. المقري، مصدر سابق، مج 5، ص 22.

2 - مولده ونشأته:

وُلد مترجمنا بمدينة لوشا⁶، في الخامس والعشرين من رجب عام 713هـ، المُوافق للسادس عشر من نوفمبر عام 1313م.

3 - أولية البيت:

ينحدر ابن الخطيب من بيت علم وجاه وفضل وشرف⁷؛ كانوا يُسمَّون ببني الوزير. هاجروا من اليمن إلى الأندلس، واستقروا بقرطبة⁸، وانضم أعلام البيت إلى جملة المعارضين للحكم الأموي في حينه. وسرعان ما تطور الخلاف إلى صراع دموي، عُرف في التاريخ بوقعة الريض مالت كفة النصر فيها للسلطة الأموية⁹. هاجر بنو الوزير على إثرها إلى مدينة طليطلة¹⁰ في سنة 202هـ / 817م، واستقروا بها قرابة قرن ونصف.

ثم انطلق بنو الوزير في رحلة هجرة أخرى صوب مدينة لوشة، نظرا لتعاظم خطر النصارى وهجماتهم التي لن تهدأ على حواضر المسلمين، وسيحمل أعلام البيت لقباً جديداً هو: (بنو الخطيب) بدل (بنو

1 - نسبة إلى قرطبة.

2 - نسبة إلى طليطلة.

3 - نسبة إلى لوشة.

4 - نسبة إلى غرناطة.

5 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 439.

6 - من أقاليم البيرة... الحميري، مصدر سابق، ص 513.

7- انظر كلام ابن الخطيب عنهم وما حلاهم به من الصفات في مفتتح تعريفه بنفسه، الاحاطة، مج 4، ص 438 - 439.

8 - قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها... الحميري، مصدر سابق، ص 456 - 459.

9 - نسبة إلى الثورة التي قامت ضد ابن هشام بتحريض من الفقهاء في رمضان 202 هـ / 817م، لكنها فشلت ومنيت بنكسة مدوية... فبين قتيل وصليب وشريد.

10 - هي مركز لجميع بلاد الأندلس... الحميري، مصدر سابق، ص 393 - 397، ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 439.

الوزير). وطارت شهرة بني الخطيب العلمية في المدينة، واكتسبوا شهرة بها على غرار: سعيد -الجد الأقرب
لمترجمنا-¹.

كان عبد الله² والد مترجمنا من علماء لوشا في زمانه³، ذا فضل وتقدم، يشهد لذلك مركزه داخل
بلاط غرناطة وقصورها، من خلال المناصب التي تقلدها وقدم لها منذ سنة 713 هـ / 1313م، لعل من
أهمها اشتغاله في (ديوان الكتاب مرؤسا بأبي الحسن بن الجيّاب)⁴، الذي كتب في بلاط بني الأحمر نحو
من خمسين عاما أو أكثر⁵.

خدمة الوالد امتدت نحو من ربع قرن في أعلى هرم السلطة (713 هـ - 741 هـ / 1313 -
1340م)، وهذا ما سيكون له ولاشك الأثر على توجه ولده، إن في تربيته ونشأته في أروقة القصور
السلطانية أو حوالبها، وإن في قابل أيامه إذا اشتد عوده، فمن يمنعه من الوصول لمراكز القرار وخدمة البلاط
وهو ابن البلاط!.

4 - طلبه العلم:

أخذ ابن الخطيب العلم والأدب عن جمهرة من العلماء المبرزين يومئذ. يقول عن نفسه: (قرأت
كتاب الله عز وجل على المكتّـب... أبي عبد الله بن عبد الولي العوّاد كُتّباً ثم حفظاً، ثم تجويداً إلى مقرئ أبي
عمرو... ثم نقلني [والدي] إلى أستاذ الجماعة... الشيخ الخطيب أبي الحسن القيحاطي، فقرأت عليه القرآن
والعربية، وهو أول من انتفعت به. وقرأت على الحسين الصدر أبي القاسم بن جزي. ولازمت قراءة العربية
والفقه والتفسير على الشيخ الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن الفخّار البيري... وقرأت على قاضي الجماعة
الصدر المتفتن أبي عبد الله ابن بكر... وتأدّبت بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى... أبي الحسن ابن
الجيّاب. ورويت عن كثير ممن جمعهم الزمان بهذا القطر من أهل الرواية... ومن أهل العُدوة الغربية والمشرق،
الكثير بالإجازة. وأخذتُ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هذيل ولازمته. هذا على
سبيل الإمام. ولو تفرغت لذكرهم، لخرج هذا التقييد عما وُضع له...⁶.

1 - وقد حكى ابن الخطيب عنه آثارا وورعا وعلما وتوليا لوظائف السلطان. ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 440 -
441.

2 - انظر نشأته المنعمة في كنف أمه الأيم ووصف ابن الخطيب لذلك. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 441 - 442.

3 - اقرأ عند ابن خلدون طرفا من أخبار طلبه للعلم والفنون التي أخذها ومشايخه. تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 440.

4 - المصدر السابق نفسه، ص 441 ويسميه ابن الحباب.

5 - انظر الترجمة التي حلاها بها ابن الخطيب. الاحاطة، مج4، ص 125 - 152.

6- ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 458 - 459.

5 - وظائفه السلطانية:

كان ابن الخطيب مترجماً في سن الثامنة والعشرين، عندما جاء الخبر بجزمة طريف القاسية للمرينيين وحلفائهم على يد النصارى، وكانت نتائجها كثيرة ووخيمة. عامة وخاصة، ولعل من أبرزها مقتل والده وأخوه الأكبر¹ في يوم الاثنين 27 جمادى الأولى سنة 741 هـ / 1340 م.

فلم يكن من بُدٍ من ترشيحه لخلافة والده في المنصب² تكريماً للمقتول، ومواساة لخاطر الابن، المظهر الاستعداد للنجاح، مع الكفاءة والنباهة، التي حرص والده على نقلها إليه. فحلَّ الولد في أمانة السر. لتنتفتح له أبواب القصور والنفوذ والشهرة غير المتناهية على مصراعيها.

وتلقى الأديب في ديوان الإنشاء، على يد شيخه ابن الجياب³، أرفع أساليب النظم والنثر في ذلك العصر، وبرع تحت إشرافه في تدبيج الرسائل السلطانية. قال عنه واصفاً: (هو شيخني الذي نشأت بين يديه وتأدبت به، وورثت خطته عن رضى منه).⁴

ولما انتشر الوباء المدمر⁵ في سنة 749 - 750 هـ / 1348 - 1349 م. كان ابن الجياب من بين ضحاياه⁶، رفقة الكثير من الناس سيّما الأعلام والكُبراء⁷. فيخلفه ابن الخطيب في رئاسة ديوان الإنشاء⁸، ويُسلمه السلطان النصري - أبو الحجاج - رتبة الوزارة بأقلامها وألقابها، (واستتابه بدار ملكه ورمى إليه بخاتمه وسيفه، واثمنه على صوان حضرته، وبيت ماله، وسجوف حرمه، معقل امتناعه...)⁹.

- 1 - انظر ما قاله مرافق الوالد لولده ابن الخطيب، عن آخر لحظات أبيه حيّاً. ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 442.
- 2 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج4، ص 443.
- 3 - انظر الترجمة الطويلة الغنية بالأخبار والأشعار التي خصّه بها ابن الخطيب تلميذُه وصنيعته. المصدر السابق نفسه، ص 125 - 152.
- 4 - المصدر السابق نفسه، مج 4، ص 125 - 126.
- 5 - William B. O ber, THE PLAGUE AT GRANADA , 1348 - 1349 : IBN AL- KATIB AND IDEAS OF CONTAGION , Bull. N . y Acad. Med, pp 418 - 420.
- 6 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441.
- 7- انظر: محمد حسن، مصدر سابق، ص 125 وما بعدها.
- 8 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 168.
- 9 - أحمد حسن بسبح، لسان الدين ابن الخطيب عصره، بيئته، حياته وآثاره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1412 هـ - 1994 م، ص 28.

فانفتح لابن الخطيب باب المجد غير المُعدِّ سلفاً¹. وُزِّعت مرتبة ابن الخطيب، فجُعِلَ كاتبَ سرِّ السلطان المختص المستخلص له، (من الوقوف على رأسه، والإمساك في التهاني والمبايعة بيده. والكتابة والإنشاء والعرض والجواب، والخِلة والمجالسة، جامعا بين خدمة القلم، ولقب الوزارة، معزز الخطط برسم القيادة، مخصوصا بالنيابة عنه في الغيبة....)².

وكتب الوزير المبرز عدداً كبيراً من المحادثات الرسمية لأرباب المناصب والهيئات في الدولة، وكتب تولية وتمنئة، ووثائق دستورية، ومحادثات سلطانية للرعية، وأخبار فتحٍ وفتحٍ، وحثٍ على الجهاد، وكذا رسائله الشخصية والإخوانية، وكتب الشكر والتهاني وغيرها، بالإضافة إلى المراسلات السلطانية إلى سلاطين المغرب، في أغراض الحرب والسياسة³. وازدهرت حياة الوزير الكاتب وصار تولية العمال وعزلهم على عينيه، فكثرت أمواله وجراياته⁴.

واستمر تألق ابن الخطيب مع المتولي الجديد - المخلوع -، الذي (أسبغ عليه ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة)⁵. فأبان عن براعة في المهام التي أُنيطت إليه، ومع توالي الأيام يسطع نجمه، وتبرز في سماء السياسة كلمته، وعظمت عند ابن الأحمر حظوته. حتى صار (رديفاً له في أمره وتشاركاً في الاستبداد معا)⁶.

أرسله البلاط الغرناطي مرارا على رأس سفارات نحو بلاط بني مرين⁷ القوي يومئذ، والعَضُدِ الشديد في مواجهة خطر النصارى المتزايد.

ومن أمثلة ذلك: سفارته الأولى في سنة 749 هـ / 1348 م على رأس وفدٍ للتعزية وللتهنئة⁸ في آنٍ واحد، باسم السلطان أبي الحجاج، لما تولى أبو عنان خلفاً لوالده أبي الحسن، ورابطاً علاقات الود مع البلاط المريني بعد المآسي العظيمة التي مرت بها الدولة في طول البلاد وعرضها، والنكبات التي أصيبت بها

1 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441.

2 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 17، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441.

3 - ابن الخطيب، رجحانة الكتاب، مج 1، ص 4 - 548، المصدر السابق نفسه، مج 2، ص 5 - 248.

4 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441.

5 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 1، مقدمة التحقيق، ص 23.

6 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441.

7 - المصدر السابق نفسه، ص 441.

8 - ابن الخطيب، اللوحة، ص 93 وما بعدها.

القوات المرينية في الأندلس من جراء تحاذل أمراء غرناطة وتلاعبهم حيناً وتآمرهم مع الغزاة الأسبان حيناً آخر...¹.

و) لعلها أول زيارة له للمغرب، في إطار مهمة سياسية، تلتها زيارات أخرى، سواء في أوجّ العز أو في فترات المحن، لهذا البلد...².

كما أن الغني بالله، أرسله سفيراً مجدداً نحو الدولة المرينية في سنة 755 هـ / 1354 م، بُغية استمرار العلاقات الودية بين البلاطين.

وحمل الوفد الغرناطي رسالة تشرح ظروف اغتيال الوالد، ومعها طلب النصرة المستمرة على النصراري³. وحظي ابن الخطيب ومرافقوه باستقبال رسمي، يليق به وبمركزه السياسي والأدبي من السلطان أبي عنان، ونجح ابن الخطيب في أداء ما أُنيط به⁴. إذ استجاب السلطان المريني له قبل سلامه عليه وجلسه في سابقة في السفارات.⁵

لقد كان ابن الخطيب من الكفاءات العلمية سياسة وعلماً وفقهاً، وهو ما جعل السلطة في الضفتين تعتمد على هذه النخب في السفارات⁶ سواء للاستعداد العلمي أو الفطري عندهم، الذي كان له الأثر البالغ في توطيد العلاقات بين مختلف البلاطات.⁷

- 1 - عبد القادر زمامة، لسان الدين ابن الخطيب في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، فبراير 1964 - شوال 1383، ص 7-5، ص 13 - 14.
- 2 - العياشي السنوني، أعمال الندوة، ص 77.
- 3 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441 - 442.
- 4 - عبد الهادي التازي، ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً، مجلة كلية الآداب، تطوان، المغرب، ع.2، ص 2، 1987م، ص 41-42.
- 5 - انظر كلام ابن خلدون عن أحد أعضاء الوفد الغرناطي وهو القاضي أبو القاسم الشريف. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 442.
- 6 - أمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق 13 - 14 م)، إشراف، عبید بوداود، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، تخصص، الغرب الإسلامي، تاريخ وحضارة، جامعة مصطفى اسطمبولي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم، العلوم الانسانية، معسكر، الجزائر، السنة الجامعية، 1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016 م، ص ص 40 - 112.
- 7 - راجع للمزيد عن ذلك: إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201 هـ - 897 هـ) (817 م - 1492 م)، رسالة ماجستير في التاريخ

* - نكبته الأولى:

نتيجة لظروف الحكم والسياسة، والتنافس غير البريء، ولا الشريف على الحكم، وانتشار الاغتيالات¹ والانقلابات السلطانية!، خُلِعَ السلطان الغني بالله من السلطة²، وخلفه أخوه أبو الوليد إسماعيل³. الذي جدَّ في تغيير واجهة الحكم وأجهزته الإدارية وبطانته، فتم اغتيال الحاجب رضوان في رمضان 760 هـ / 1359 م⁴ بين أهله وولده بفضيع الفعل وقُبِح الوصف⁵، وعُزِل - ذا الوزارتين - ابن الخطيب⁶ وسُجِن. ومن هنا ستبدأ محنة الوزير؛ إذ صودرت جنَّاته وقُراه، وبيعت أملاكه في الأسواق، ومنها ما استولى عليه أعداؤه في القصر، وقد سطرَّ ابن الخطيب حزيناً كثيراً ذلك يصفه ويصف حاله⁷.

ومن حُسن حظِّ الوزير السجين، أن تدخل القصر المريني⁸، لدى سلطان غرناطة الجديد لإطلاقه، والسماح له بالعبور إلى المغرب رفقة سلطانه⁹، بل! وتعليق استمرار العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين بالاستجابة لذلك¹⁰. خصوصاً مع حاجة المستولي على القصر النصري الملحة، لاستقرار الأوضاع الداخلية بعد ثورته¹¹.

* - سفره إلى المغرب:

- الاسلامي، اشراف، وفاء عبد الله المزروع، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، 1430 هـ - 2009 م، ص ص 65 - 71.
- 1 - عبد القادر زمامة، لسان الدين إبن الخطيب²، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، مارس 1964 - ذو القعدة 1383، ص 7- ع 6، ص 34.
 - 2 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 14 - 15.
 - 3- انظر وصف ابن الخطيب الشنيع له بفقد الأدب والجفوة ويُعد التمرن... الاحاطة، مج 1، ص 398.
 - 4 - وصفه ابن الخطيب بحسنة الدولة وفخر موابيها، أصله رومي قشتالي برشلوني. انظر تنمة ترجمته الوافية. الاحاطة، مج 1، ص ص 506 - 513، الاحاطة، مج 2، ص 15 - 16، ص 26 - 27 عن مقتله.
 - 5 - انظر وصف ابن الخطيب للكائنة. الاحاطة، مج 1، ص 399، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 405.
 - 6 - ولا يُصرح ابن الخطيب في الملحة بذلك. ص ص 114 - 119. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 405، و ص 442.
 - 7 - انظر كلامه في الاحاطة، مج 4، ص 443 - 444.
 - 8 - أبي سالم. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 441 - 442.
 - 9 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 28.
 - 10 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 4، ص 443 - 444.
 - 11 - حمزة محسن، اللجوء السياسي وتأثيره في العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة العربية الاسلامية ودول المغرب العربي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، مجلة جامعة أهل البيت، ع 8، ص 381.

نجح ابن الخطيب والمخلوع في النجاة من قبضة معتقليهم المنقلبين، فدخلوا إلى المغرب في سنة 761 هـ / 1360 م . نازلين في كنف وضيافة بني مرين، الذين بالغوا في إكرام الوفادة¹ وعظيم الإقطاع من الضيعات الشاسعة والأموال والجرايات الجزيلة²، اعترافا بوزن الشخصيتين ومركزها³، وتعويضا عن الضرر وجبرا للخاطر فيما جرى وضاع⁴.

و تهيأ لابن الخطيب في عاصمة بني مرين اللقاء بقريته في العلم والوظيفة ابن خلدون لأول مرة⁵، (وكان آنذاك لا يزال شابا يافعا في مقتبل العمر، وأن تتوطد بينهما صداقة أخوية⁶ متينة أشار إليها كل منهما في مؤلفاته)⁷.

ثم استطاع المخلوع استعادة ملكه بمعاونة حلفائه المغاربة والقشتاليين مجددا⁸، خصوصا مع تفجر ثورة في غرناطة⁹.

- 1 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 442 - 443، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 28 - 29.
- 2 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 4، ص 444، وانظر الظهير السلطاني المريني له في سنة 761هـ/1360م بالنفوذ والصلاحيات الكبيرة. ص ص 450 - 453، وظهير مريني آخر في سنة 761هـ/1360م أيضا بتثبيت جرايات ابن الخطيب وامتيازاته وتجديد حظوته، ص ص 453 - 455، وظهير سلطاني آخر في سنة 763هـ/1362م بإكرامه غاية الإكرام، وتجديد حظوته أيضا. ص ص 455 - 457.
- 3 - محمد بن أحمد اشماعو، مدينة سلا و ابن الخطيب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، ربيع الأول 1391 - ماي 1971، س 14- ع 5، ص ص 134 - 139.
- 4 - انظر كلام ابن خلدون في أبهة اللقاء وغاية الإكرام، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 409، وانظر ما خلّده التاريخ من أشعار ابن الخطيب وهو بالمغرب يومئذ. عبد الحق المريني، نظرات على مقام لسان الدين بن الخطيب بَعْدُوة المغرب من خلال بعض أشعاره، أعمال الندوة الدولية، فاس، 15 - 16 نوفمبر 2013م، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1439 هـ / 2017م، ص ص 37 - 38.
- 5 - راجع عن العلاقة الأخوية والعلمية التي نشأت بين الرجلين: فاطمه علي نزاد جماركتي، الإفتتان والإفادة في رسائل ابن خلدون وابن الخطيب، مجلة دراسات الأدب المعاصر، س 9، 1396، ع 35، ص ص 9 - 26.
- 6 - رغم أن ابن الخطيب كان يكبر ابن خلدون بعشر سنين.
- 7 - أحمد مختار العبادي، لسان الدين بن الخطيب وكتابات التاريخية، مجلة عالم الفكر، مج 6 - ع 2، ص 39 وما بعدها. راجع ما قاله ابن خلدون عن ذلك، رحلة ابن خلدون، ص 82.
- 8 - انظر تفاصيل ذلك: حمزة محسن، مقال سابق، ص ص 383 - 386.
- 9- قد قدمنا طرفا من أخبار النائر، انظر للتفصيل: الاحاطة، مج 2، ص ص 26 - 30، و مج 1، ص ص 524 - 531، ابن الخطيب، اللمحة، ص ص 116 - 118.

وكتب العائد عام 763هـ/1362م لوزيره بالعودة¹، وبتوليته مناصبه القيادية حيث كان²، وتمسك المخلوع بوزير له معنيان كلاهما صحيح، فالوفاء لمن خدمه وأوذي بسببه، والكفاءة التي كان الملك يعول عليها لإدارة الحكم مجدداً، والحيلولة دون تكرار التمرد مجدداً بسد أسبابه ووسائله من خلال تخطيط ذكي وتنفيذ حذر بفكر ذي الوزارتين.

* - عَوْدٌ عَلَى بَدَأُ:

عاد ابن الخطيب الى البلاط - كما وصف نفسه - صنما يُعبد وجبلا إليه المستند³، كتابةً ودرايةً وعنايةً وحرايةً، دون الوزارة التي أغفلها المخلوع، حذراً فيما يبدو من أي ثغرة تسبب أي انقلاب عليه.⁴

وقد ارتفعت حظوة ابن الخطيب حتى قال ملكه عنه: (فليتصرف أعزه الله في ذلك بما شاء من أنواع التصرفات... من غير حجر عليه، ولا تعقب لما لديه. وشمل حكم هذا التسويغ الجسيم، والإينعام العميم، جميع ما يُستغل على الأرض والجنات والكروم، والثمرات من العوايد المستقبلية عليها، والغلات، شمولاً تاماً، مطلقاً عاماً...).⁵ وهكذا واتت الفرصة ذا الوزارتين للتربع والحكم، والانتقام من كل منافس، والحيلولة دون ظهور ما يُنغص سعادته بحكم القصر.⁶

* - اللقاء بابن خلدون ثانية:

وَقَدَ عَلَى الأندلس في سنة 764 هـ / 1363م ابن خلدون المنكوب في حظوته في القصر المريني، فاستقبله الغني بالله استقبالاً حازماً، وفعل الشيءَ نفسه وزيره ابن الخطيب⁷. كيف لا وهو الذي تولى العناية

- 1 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص 30 - 31.
- 2 - انظر فحوى الظهيرين الصادرين من طرف السلطان. ابن الخطيب، الاحاطة، مج 4، ص ص 447 - 452.
- 3 - لاشك بقبح العبارة وأن أقل ما فيها غلو ذميم، وغرور أثيرم، وقد سُقَّتْهَا لِيَتَّبِينِ أَمْرَانِ: أولهما الحظوة والنفوذ اللذان وصل اليهما ابن الخطيب، وثانيهما المقاتل والمداخل التي أهداها لمعارضيه، فكفَّرُوهُ واستحلُّوا دمه... هذا دون أن نناقش مدلولات العبارة وانعكاساتها على عقيدة الرجل كفر ابتداء أو ردة انتهاء.
- 4 - وإن كان ولاها على كُرْهِه في أثناء طريقه للأندلس علي بن يوسف بن كُماشة، وانظر طرفاً من أخباره وما كان منه من محاولة لافتكاك الحكم، وما حصل له من النفي الى تونس بعد مداخلته للنصارى... ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص ص 31 - 33. وترجمته في الاحاطة، مج 4، ص ص 74 - 77.
- 5 - المصدر السابق نفسه، مج 4، ص 444 - 445.
- 6 - بعد أن أبعد عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة المرينيين، الذي كان يشكل أكبر منافس له في البلاط الغرناطي. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 443 - 444، ابن الخطيب، الاحاطة، مج 2، ص ص 33 - 36.
- 7 - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص ص 84 - 86.

بهما زمن نكبتهما. وبقي ابن خلدون في الأندلس زمناً قويت خلاله مكانته عند سلطان غرناطة؛ فبعثه سفيراً إلى قشتالة - كما تقدم الحديث عنه-، ونال السفير الوافد الحظوة والقربى فيك يا غرناطة. وسرعان ما تحركت كوامن النفس الأمارة بالسوء لابن الخطيب، خصوصاً في أروقة البلاط وظلال الحكم، حيث لا وقوف لمن سقط، ولا رجوع من فقد.

وانقلب الحب والود من ابن الخطيب الى تحريض وتأليب ملكه على ابن خلدون، خوفاً من ضياع النفوذ والمنصب السياسي. ونجحت أقاويل ذي الوزارتين في تغيير الملك على الضيف. وبدأت علاقة الغني بالله بابن خلدون تفتّر. ولما اتضح لابن خلدون إغراض السلطان عنه، وتغيّر علاقته به، وأحسّ بأثر ابن الخطيب في هذا التحول المفاجئ، شدّ رحله عائداً سنة 766هـ/ 1364م. وفترت العلاقة بين الأديبين وضعفت.¹

* - نكبته الثانية وسفره الى المغرب:

وصف ابن خلدون مكانة صديقه في غرناطة بقوله: (وخلا لابن الخطيب الجو، وغلب على هوى السلطان، ودفع اليه تدبير المملكة، وخلط بينه بندمائه وأهل خلوته، وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد، وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال، وغشي بابه الخاصة والكافة. وغصّت به بطانة السلطان وحاشيته، فتوافقوا على السعاية فيه...)².

هذا النص من الأهمية بما كان، لأنه يوضح لنا الوضع العام الذي نشأت فيه المؤامرات داخل القصر وخارجه بهدف اغتيال ابن الخطيب. فإن الرجل كان قد وصل مركزاً ليس فوقه إلا منصب الملك ولو إسمياً، ونحن نقرأ أنه صار رديفاً للملك وصنما يُعبد ونال الحظوة والسطوة.

فهل تم تخويف السلطان من انقلاب يقضي على حكم بني الأحمر؟، الذي بين أيدينا أنّ السلطان كان لا يصغي للسعائيات ويُعرض عنها، وفجأة! بدأ نجاحها مع الدسّ والمكر.

ولما أحس ابن الخطيب بتغيير ملكه اتجاهه، أعمل فكره في الخلاص من مصير كان ربما يتوقعه، فراسل سرا سلطان المغرب المريني³ وهو في تلمسان يومئذ، وأخبره بالرغبة في اللحاق به والانتظام في سلك عماله وموظفيه. فوافق المريني ورحب به.

1 - المصدر السابق نفسه، ص ص 90 - 92.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 444.

3 - أبو فارس عبد العزيز بن علي.

لنتوقف قليلا!... كيف يتنازل ابن الخطيب عن نفوذه ومُلْكِه فجأة؟، لا بد أنه افْتُضِح أمره، أو أنّ السُّعَايَات كانت أكبر من مجرد أقاويل وهمسات في مجلس السلطان.

لما استراب مترجمنا بالخطر استأذن ملكه للسفر بحجة تفقّد الثغور، وسار مع لمة من فرسانه، ومعه ابنه عليّ، فعرّج على جبل طارق، حيث كان قائده من قبل المريني ينتظره لإجازته نحو سبتة في سنة 773 هـ / 1371 م. ومنها توجه الى بلاط المريني في تلمسان، أين حظي باستقبال رسمي لائق، وأرسل المريني من جاء بأهل الوزير وولده.¹

وهنا لنا أن نتخيل ردود الأفعال في القصر الغرناطي من ساكنه وعُمَّاره وبطانته، فإنّ فعلك يا ابن الخطيب هو هروب ولبوء سياسي، ما يُعزّز ويقوي موقف أعدائك، ويقضي على أي شك في قلب ملكك من براءتك.

واهتبل خصوم ابن الخطيب الواقعة، وعملوا على تتبع عثراته فيما كتبه وصنّفه، فاتهموه على إثر ذلك بالإلحاد والردة عن الشرع الحنيف، وانتقاص جناب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم². وكان الذي تولى كبر محنته وقتله، تلميذه وخلفه على الوزارة أبو عبد الله ابن زمرك الذي تنكر لأستاذه³. وجاءت فتوى القاضي النباهي⁴ بالزندقة اتجاهاه، رغم ما كان من ود سابق بينهما⁵ (فكم قبل يده)⁶.

فلا عجب إذن أنّ اجتهدت السلطة الغرناطية في استعادة الوزير اللاجئ الهارب بأسرار الدولة. وعليه، فقد أرسلت غرناطة فوراً إلى نظيرتها المرينية بسجلات فيها التُّهم، مع التماس إمضاء حكم الله - الاعدام - بحق ابن الخطيب. لكن الطرف المريني رفض ذلك حفاظا على قدسية الجوار الذي منحه للوزير الأندلسي.⁷

1- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 444 - 445.

2 - المصدر السابق نفسه، ص 444 - 445، المقرئ، مصدر سابق، مج 5، ص 118 - 119.

3 - انظر الترجمة الرائعة التي حلّاه بها ابن الخطيب، وكيف كان ابن زمرك يُنادي أستاذه بوليّ نعمتي ومُعيد جاهي ومُقوم كمال... الاحاطة، مج 2، ص 300 - 315، وانظر المزيد عنه: محمد بن يوسف الصريحي ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، تح وتق، محمد توفيق النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مقدمة التحقيق، ص 5 - 24

4 - انظر الترجمة التي خصّه بها ابن الخطيب واصفا إياه بالصاحب والأوليّة، الاحاطة، مج 4، ص 88 - 100.

5 - محمد كمال شبانة، المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، صفر 1386 - جوان 1966، س 8- ع 9، ص 90 - 91.

6 - المقرئ، مصدر سابق، مج 5، ص 119.

7 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 445.

أما ابن الخطيب فحظي بحماية الدولة المرينية ورعايتها، وتعرّزت مكانته وتوطدت في بلاطها، ورغم وفاة مستقبّله في سنة 774 هـ / 1372 م، وتولي ابنه السعيد بالله الطفل¹، إلا أن حياة ابن الخطيب مرت بأزهى لحظات الأمن والدعة إلى حين، فنراه يستكثر من شراء الضيعات والتأنيق في بناء المساكن واغتراس الجنات.²

تشكل حلفاً بين الغرناطين وبين الثائرين على القصر المريني من المقصيين، واشترط الأوائل تسليم ابن الخطيب أو محاكمته بالمغرب مقابل الدعم والمساعدة في الوصول لكرسي الحكم المريني.

6 - ظروف مقتله:

استطاع أبو العباس المستنصر المريني أن يستولي على السلطة في سنة 776 هـ / 1374 م، بمساعدة كبيرة من غرناطة، وعمل فوراً على تنفيذ الاتفاق حول ابن الخطيب.

فتمّ إيداعه السجن، ورُفضت كل شفاعاة فيه³. وأرسل الغني الغرناطي كاتبه ووزيره ابن زمرك، لمحاكمة صورية لابن الخطيب الذي وُقّع مرسوم اغتياله قبل ذلك بزمن. فأحضر ابن الخطيب (بالشورى في مجلس الخاصة وأهل الشورى، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه، فعظم عليه النكير فيها، فوبخ ونكل وامتنح بالعذاب بمشهد ذلك الملاء⁴).

ثم أعيد ابن الخطيب الى محبسه. ليتم اغتياله لاحقاً في تلك الليلة على يد أوغاد جُنّدوا⁵ لذلك، فقتلوه خنقاً، وبعد أن دُفن، استخرجت جثته وتم احراقها، قبل أن يُعاد أخيراً لمثواه الأول من الآخرة الأخير من الدنيا. في ربيع الأول من العام 776 هـ / 1374 م. وما يزال قبره قائماً في باب المحروق بفاس في ضريح صغير عليه هذه العبارة: (هذا ضريح العلامة لسان الدين ابن الخطيب).

* - تعليقي على الحادثة:

إنّ نظراً عاماً في ظروف اغتيال ابن الخطيب، جعلني أتلمس حقيقة السطحية التي تم التعامل بها معه، من خلال نقاط كثيرة:

- 1 - الذي كان في كنف الوزير أبي بكر بن غازي الحاكم الفعلي.
- 2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 445.
- 3 - كما رُفضت شفاعاة ابن خلدون فيه، وتسببت في طرده من الأندلس. ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 187.
- 4 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 453.
- 5 - تولى كَبَر ذلك خصمه الوزير سليمان بن داود. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 453.

- إن الكتاب¹ الذي كُفِّر لأجله ابن الخطيب، كان قد كتبه منذ سنوات متقدمة وهو في غرناطة، فأين كان المكفرون؟، وقد كان الكتاب والكاتب والسلطان متوافرون؟، وهذا المعنى هو الذي احتجَّ به السلطان المريني على الغرناطين، لما طالبوه باعتقال وعقوبة ابن الخطيب الفارَّ إليه. حيث قال لهم: (هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه).²

- نلمس محاولات متكررة ومستميتة لاستعادة الوزير الهارب أو محاكمته ولو على أرض أخرى وفي بلاط منافس. تُرى هل صار الاقتصاص من ابن الخطيب قضية القضايا التي تشغل مصير مملكة الاندلس التي حاصرها النصارى من كل جانب!. أم أن الوزير كان يحمل أسراراً تهدد أمن المملكة؟.

- ولدى تيسر الوصول لابن الخطيب أخيراً، نرى عجلة الجميع في القضاء عليه، فإنه لم يُنقل حتى معتقلاً لبلده المطالب برأسه، بل أرسلت السلطة من ينوب عنها في عقابه وقتله!. ترى لم كل تلك العجلة؟.

- ونرى كذلك أن جمع المُكفِّرين من قُضاة وعلماء، يخالفون الشريعة الإسلامية في أحكام الردة، فإن المرتد يستتاب ثلاثاً³، وهو ما لم يحصل بحسب ما نقلته الروايات، بل إن ابن الخطيب المتهم سيق إلى مجمعٍ امتحن فيه بالعذاب مباشرة، وُوبِخَ على كلمات قالها...

- وعلى فرض صحة الردة وصحة حكم الله فيه، لماذا دُسرَّ أوغاد لقتل الرجل ليلاً في محبسه خنقاً؟، أكان حاقده يبخشون ظهور براءته؟، ولماذا اغتيل على غير ما أمرت به الشريعة الإسلامية؟. ولماذا دُفن ثم نُبش قبره وأحرقت جثته ثم دُفن. أليس هذا مخالفاً لحكم الله تعالى⁴!.

فالذي يخلص إليه أبسط تتبع أن القضية برمتها لم تكن لأجل كفر أو ردة طارئة من ابن الخطيب⁵، بل لغير ذلك مما كان له الخطر على سلامة ووحدة المملكة الغرناطية الترابية (وإذا نحن تتبعنا سياسة ابن

1 - وهو روضة التعريف بالحب الشريف. راجع مقدمة تحقيقه، عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي، د ط، د ت، ص 25 - 26.

2 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 445.

3 - راجع في ذلك: نعمان عبد الرزاق السامرائي، أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط 2، 1403 هـ - 1983 م، ص ص 163 - 176.

4 - راجع: نبيل قرقور، حرية المعتقد وحكم الردة في الشريعة الإسلامية، مجلة المنتدى القانوني، ع5، ص ص 242 وما بعدها.

5 - وهو الرأي الذي نصره: محمد عبد المالك الكتاني، أسباب مصرع ابن الخطيب بين السياسة والتصوف، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، محرم الحرام 1392 - مارس 1972، س 15 - ع 1، ص ص 74 - 75

الخطيب الخارجية... نجد أنها كانت فعلاً تهدف إلى الاتحاد مع المغرب والارتباط بعجلة فاس، محاولة إرضاء سلاطين بني مرين في كل ما يطلبونه من مملكة غرناطة... وهذه السياسة اصطدمت بنزعة الأندلسيين الاستقلالية، واثارت في نفوسهم مخاوف الماضي عندما سيطر المرابطون والموحدون على بلادهم... وظل ابن الخطيب حتى بعد استقراره بالمغرب يزين لسلطانه بني مرين ضرورة الاستيلاء على الأندلس، وأن هذه السياسة صادفت هوى في نفس السلطان عبد العزيز، فوعد بتنفيذها بعد انتهائه من توحيد المغريرين الأوسط والأقصى...¹

وإذا انضاف إلى ما سلف الرغبة الدفينة من القراء والمنافسين، في الانتقام السافر والحاقد على شخص الوزير الشهير، وهو الذي أهداهم الفرص الذهبية لتكفيره وقتله سواء بما كتبه وسطره، أو بما فعل من إقصاء لكل منافس. استطعنا أن نجمع أطراف القضية ونفهمها على حقيقتها.

وانتهت حياة الوزير الأديب غيلة بشر صورة (ضحية الجهالة والتعصب والأحقاد السياسية الوضيعة)².

7 - آثاره العلمية:

ترك ابن الخطيب آثاراً متعددة تناولت مختلف فنون العلم، منها على سبيل الاجمال³:

- الإحاطة في أخبار غرناطة
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قيل الاحتلام من ملوك الإسلام
- أوصاف الناس في التواريخ والصلوات.
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان.
- مفاخرات مالقة وسلا
- تحفة الكتاب ونجعة المنتاب.
- السحر والشعر
- روضة التعريف بالحب الشريف - سبب اغتياله -

1 - العبادي، مقال سابق، ص 43 - 44.

2 - ابن الخطيب، الإحاطة، مج 1، مقدمة التحقيق، ص 43.

3 - ابن الخطيب، الإحاطة، مج 4، ص 459 - 462 وما بعدها.

8 - مكانته وما قيل عنه:

أنجبت إمارة غرناطة، خلال القرن الهجري الثامن، عدداً من الشعراء والكتاب والأدباء الذين أعادوا للأدب الأندلسي المتميز الكثير من شبابه وبريقه وقوته. من أبرزهم جميعاً الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي كان عبقرية فذة، (وسفيراً ومؤرخاً ورحالة وسياسياً...)¹، وأديباً موسوعياً خاض غماراً مختلف ميادين المعرفة والإبداع من شعر² ونظم وترسل وموسيقى وطب³ وتصوف ورحلة وتاريخ...⁴

قال عنه ابن خلدون وهو يصف أهل المملكة من اللغة والشعر من الأندلسيين: (وقفاهم الن الخطيب من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية أعدائه، وكان له في اللسان ملكة لا تدرك...)⁵. وحلّاه المقرئ المنبهر به وبشخصيته بأكثر من وصف وثلة⁶، حتى أنه وضع كتاباً من أكثر من مجلد عنه وقرن اسمه باسم الكتاب (نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب).

يقول الوراكلي: (وعلى قدر ما عُرف به تراث ابن الخطيب من تعدد ووفرة، وتنوع وغزارة، تعددت الكتابات حوله وتنوعت سواء لدى الدارسين العرب وخاصة المغاربة، أو لدى المستعربين وخاصة الاسبان...)⁷.

- 1 - زمامة، ابن الخطيب 1، مقال سابق، ص 12.
- 2 - راجع في ذلك ديوانه الشعري، تح، محمد مفتاح، مج 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1409 هـ / 1989 م، ص ص 24 - 446، راجع أيضاً: سعيد بن مسفر بن سعيد العاصمي المالكي، المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (ت 776 هـ): البعد والتشكيل، رسالة ماجستير، إشراف، حسن بن عبد الكريم الوراكلي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، فرع الأدب، مكة، السعودية، 1422 هـ - 1423 هـ، ص ص 14 - 285.
- 3 - Raihan Othman , Contributions of Muslim Scientists to Medicine and Related Sciences , IIUM Press, International Islamic University Malaysia , First Edition , 2011, p p 64 - 67.
- 4 - محمد عبد الله عنان، الاحاطة، مقدمة التحقيق، ص 17 - 18.
- 5 - ابن خلدون، المقدمة، ص 565.
- 6 - المقرئ، مصدر سابق، مج 5، ص 7 وما بعدها.
- 7 - حسن الوراكلي، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، دراسة و بيبلوجرافية، منشورات عكاظ، 1408 هـ، د ط، ص 5 وما بعدها.

يقول محمد عبد الله عنان: (كان ابن الخطيب...عبقريّة متعدّدة النواحي...كان ابن الخطيب من أعظم كتاب عصره وشعرائه، بل هو من أعظم كتاب الأندلس وشعرائها على الإطلاق. وقد بلغ في النظم، كما بلغ في النثر، مرتبة التفوق التي لا يدانيه فيها سوى القليل..)¹.

وهكذا ! يكون الغرض من إيراد هذه التُبذ التاريخية المختصرة المركزة، قد بان ولاح لك أيها القارئ، بحيث أنّ الفكرة تكون قد اكتملت عن هؤلاء الأعلام، وزال اللبس وارتفع الجهل عن مُظلمات حياتهم وسيرتهم، خصوصاً وقد طغى جانب العلم والأدب، على بقية الجوانب لاسيما السياسية منها، وحياة البلاط والقصور، والوظائف السلطانية، وما تُنتجه من ترف وبذخ، ونفوذ وُزُلفى، واستبداد وُقُرى، و دسائس ومؤامرات، وانقلاب للولاءات، وفساد النوايا، مما يكون سببه حب السلطة ولذة الرياسة!. حتى إنك لترى انقلاب الصديق على صديقه، والتلميذ على أستاذه...كل ذلك يُوقِف على أهمية الوظائف السلطانية وأثرها، وكذلك خطرهما وضررها.

1 - ابن الخطيب، الاحاطة، مج1، مقدمة التحقيق، ص 44 وما بعدها لمزيد الاستفادة.

خاتمة

في تمام هذه الدراسة العلمية، أسأل الله - عز وجل - النفع بها لكل قارئ ومتخصص، وأحسب أنّها - إن شاء الله تعالى - قد أزلت من اللبس أغلبه، ومن الظلمات أكثرها عن الوظائف السلطانية، وتأثيراتها في فترة ورقة البحث.

وقد استطاع البحث أن يجيب عن إشكالات المقدمة، بترتيب متناغم، وتسلسل منطقي معزز بالمصدر والمرجع فالمقال المتخصص. فتبين إذن! الأهمية البالغة للوظائف السلطانية، سيما الوزارة والحجابه والكتابة، وأنها كانت رديف الملك والحكم، فعظّم تأثيرها، خلال فترة ما بعد الموحدين، وقبيل ظهور العثمانيين؛ فاشتد نفوذها على مُتوليها، ومُوليها رأياً وحكماً وقراراً.

وأودُّ في نهاية هذه الدراسة تسجيل أهم التوصيات ونتائج البحث في النقاط الآتية:

- تتمتع صاحب السُلطة بالقوة والفوقية على من دونه، وبيان خطورة ذلك إن لم يوضع في محله ومكانه.

- أنَّ النظام في اللغة التأليف والاتساق... واصطلاحاً مجموعة القواعد والأحكام المتسقة والمرتبطة. بينما لفظ السياسة يحتل الولاية والرئاسة والقيادة والأمر والنهي والرعاية والتربية، مع التوع الاصطلاحي في ضبط مفهومها بين الإدارة، والاجتماع الانساني والتدبير الذي لا يستغني عنه البشر.
- للنظام السياسي في الاسلام خصوصيته، من خلال مصدره الإلهي، وأهميته في تنظيم علاقة الخلق بالخالق وعلاقة الخلق بالخلق. وأنَّ غاياته سامية، والخصائص الوافية، والقواعد الراسخة له، وأنه ليس مجرد أمر وتسلط ونفوذ، بل حياة منظمة، وحقوق مرعية، وأمانات مصونة.
- بيان أنَّ الدولة تقوم على ثلاثة أركان ومقومات جوهرية هي الشعب والاقليم والسُّلطة.
- السُّلطة في اللغة ذات اشتقاقات خمس، كلها تدور حول القوة والحجة، وأنَّ اللفظة لم يرد في الذكر الحكيم، ولكن وردت اشتقاقاته، بخلاف السنة النبوية.
- السُّلطة السياسية كانت أحد شقي بناء الدولة الاسلامية في المدينة النبوية، وأنَّ استقلالية السُّلطات والفصل بينها، مبدأ رباني نبوي قائم على العدل والحكمة.
- أهمية السُّلطة في المجتمع الإسلامي خصوصاً والانساني عموماً، وأن ظهورها أقدم من ظهور الدول، وأنَّها أساس لحفظ توازن الفرد والجماعة، وتنظيم الحياة العامة.
- وجوب إيجاد السُّلطة والنظام في الاسلام، وإجماع المسلمين على ذلك إلا من شذ وقل حجة وبرهاناً، وتواتر النصوص الشرعية في تحريم شق عصا الطاعة وتفريق جماعة المسلمين، وسوء المصير للحاكم الظالم وأعدائه.
- امتداد بلاد المغرب والاندلس على مساحات شاسعة وموقع استراتيجي متقارب، أهلها لتكون الجناح الغربي بحق للإسلام على مدار القرون المتوالية. رغم الاختلاف الكبير بين المؤرخين والباحثين في تحديد معالم وحدود بلاد المغرب وتقسيماته.
- ورود لفظة الغرب والمغرب في السنة - إن صح - ذلك يدل على اصطفاء الله من خلقه ما يشاء لنصرة دينه، وفيه معجزة لصدق النبي صلى الله عليه وسلم، بالبشارة بالفاحين الناصرين قبل أن يراهم صلى الله عليه وسلم، أو تُفتح أرضهم.
- شساعة وامتداد الاندلس، وكونه أرضاً طيبة الهواء ووافرة الغذاء، لم يخطئ من سماها فردوساً على الارض. على الطرف الجنوبي منه دارت رحى القتال على الانتماء والديانة والعتاء والحضارة.

- دعوى انتساب مؤسسي الممالك الثلاثة المغربية إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو أحد تجليات الحرب لكسب المصداقية، وشرعنة المملكة وكسب الأتباع من الخاصة والعامة، سواء تمّ من الأسر المعنية، أو بإيعاز منها إلى بطانتها، بغض النظر عن صحة الانتساب أو كذبه، مع شديد العقوبة التي حددتها الشريعة الإسلامية من اللعن والطرء، كما أن صحة النسب لو فرضناها لا تعني ورقة على بياض لكل فعل أو إلى اللجنة طريقاً، كما جاءت بذلك النصوص الشرعية.

- مجارة ابن خلدون والتنسي وغيرهما ممن تولى الوظائف السلطانية في الممالك المغربية الثلاثة، دليل على انحطاط الدولة في حد ذاتها، ووصمة سيئة للأعلام إن شهدوا زورا وطمعاً.

- تأسيس الدول الأربع راجع إلى عجز الموحدين عن الاستمرار في الدفاع عن امتدادات دولتهم، والتحديات الجديدة منذ هزيمة العقاب، بالإضافة إلى مكانة المؤسسين السياسية، وسابقة المغاربة في البلاط الموحد. مع مرور هذه البلاطات بمراحل متطابقة من التأسيس، فالعنفوان، فالضعف، فالانهيار.

- اتفاق كلمة المؤرخين على تحلية بني الأحمر بالنسب العربي، إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه سيد الخزرج.

- ساهمت ظروف مهمة لقيام الدولة النصرية في الركن الجنوبي للأندلس المتهاوي يومئذ، لعل من أبرزها التدايمات السلبية لهزيمة العقاب، على واقع الأندلس ومستقبله يومئذ، وتراخي قبضة الموحدين على ضبط شأن الأندلس وحمايتها من التفكك أو الانهيار. بالإضافة إلى اشتعال الثورات في الجزيرة، والجري وراء كرسي زائل ورسم حامل بدل الوحدة!.

- ساهمت ظروف في ثبات موقف بني الأحمر ودولتهم من البداية، منها مناعة موقع غرناطة، ولجوء المقاتلة والعلماء وأرباب الحضارة إليه، وكذا القرب من الضفة المغربية التي توفر الصريح.

- أدى استبداد بعض الكتاب والوزراء إلى تفجر الفتن والثورات التي دفع ثمنها بنو الأحمر أنفسهم قتلاً وتعريياً وعزلاً.

- يعود الفضل للفقهاء النصري في وضع الرسوم والألقاب، وتنظيم الدواوين وجبايتها، وخلع على المملكة الصفة الملوكية الزاهية.

- سجّل التاريخ والواقع اليوم - دون رحمة - تقاتل المسلمين الداخلي والحواري الطاحن، في وقت أمن العدو الحقيقي، وتمتع مُتفرجاً على تلكم المهازل، تارة داعماً وتارة مخططاً، وتارة مُفجراً، وتارة كلها معاً.

- بيان أن الملك والسلطان ضعيف لوحده، يحتاج إلى الأعوان المخلصين، لدوام ملكه واستمراره في الحكم إلى ما شاء الله تعالى.

- بيان أهمية الوظائف السلطانية من باب كونها، عصب الحكم في الدولة، ومركز نجاح القرار السياسي، واستمرار بقاء قوة البلاط.
- بيان خطورة تقريب الموظفين، وتمكينهم من مزاحمة الملك في قراراته، وأنه كثيراً ما تحول المنفذ إلى موظف مُفوضٍ فوق العادة، فحكم واستبد بالدولة.
- بيان أن أهم وأخطر الوظائف السلطانية الوزارة والكتابة والحجابه، لكونها تتعلق بكيان السلطان والقصر ولسانه وحاله وقراره وماله.
- بيان الاشتقاقات اللغوية لمصطلح الوزير، وكونه من المعاونة والمؤازرة والمظاهرة، وأنَّ الوزير ظل الملك، وظهره ومشاوره، ومنفذ سياسته.
- توضيح الاشتقاق اللغوي لمفرد الكتابة، وأنها رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، والاصطلاح على كون الكتابة وظيفة سلطانية تُعنى بتدوين سجلات ومراسلات السلطان وكتبه، ومحاطبات الدولة الداخلية والخارجية، وبيان شرفها كمنصب سلطاني دنيوي بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة.
- يعود الاشتقاق اللغوي للفظه الحجابه إلى السِّتر والمنع، وورودها في الوحيين، واصطلاحاً بأثما منصب سلطاني خطير؛ يشمل حجب ذات السلطان عن العامة، بالقيام على بابه، فيمنع الازدحام والفوضى، ويجول دون اغتياله.
- بيان ظهور الوظائف السلطانية في الإسلام، في صورتها السهلة غير المعقدة أو المتعددة منذ العصر النبوي.
- عرفت الوظائف السلطانية في جهاز الحكم تطورات جمّة، فرضتها ظروف توسع الفتوحات الاسلامية، ودخول الأعاجم وأنظمتهم للإسلام كالفرس.
- عرفت الوظائف السلطانية تفاوتاً في الأهمية، وتداخلاً في الصِّلاحيات، حتى جُمعت أحيانا لموظف واحد.
- تحولت الوظائف السلطانية بفعل ضعف الحكام الى الاستبداد وادارة سياسات الدُول.
- بيان انفراد جزيرة الأندلس في صلاحيات وطبيعة وظيفة الحاجب التي كانت ملخصة في رئاسة الوزراء، وهجرة وصل بين السلطان والوزراء.
- شهدت القرون الثلاثة محل الدراسة قيام أنظمة بديلة وشبيهة لنظام الحكم الموحد، وكان من مصلحة أصحاب هذه الانظمة الوارثة تقوية مركز نفوذهم وسلطتهم، ولذلك عملوا على تكريس توارث الحكم، وتقريب البطانة التي تخدم هذا المشروع، وحماية النظام القائم، وكانت هذه البطانة في بداية نشأة

- الممالك، وعموم عمرها من الموظفين المحنكين المتمرسين، في سياسات الدول من جهة، وكذا من أرباب صنعة القلم والعلم والأدب، لتتكرس علاقة الفقيه بالسياسة، بين مدّها وجزرها، وسقطاتها المظلمة.
- عرف جهاز الحكم في دول ما بعد الموحدين الوزارة والكتابة والحجابه، مع التفاوت في تقديم منصب على آخر، أو ضمها، نظراً لظروف التأسيس، وقوة السُلطان، ثم استبداد الأعوان.
- تشابه اعتماد حُكام البلاطات على معايير الثقة والقرابة القبلية، والبراعة الأدبية، والدربة السياسية، والخبرة العسكرية، في تعيين أصحاب الوظائف السُلطانية.
- ارتقى العنصر الأندلسي في البلاطات الأربعة، ما نتج عنه دفعٌ لعجلة الحضارة، مع السلبات التي تخللها من تفجّر الصراعات الدموية على النفوذ بينهم وبين المحليين.
- خصَّ أبو حمو الثاني ولي عهده، ومن ورائه كل متولي للحكم الزياني، بوصايا سياسية وعسكرية جلييلة، للحفاظ على قوة البلاط أمام كل التحديات والفتن يومئذ.
- عُدَّ حسن اختيار الأعوان، من علامات فضل السُلطان، وعقله الراجح، لدورهم في تنفيذ سياسته المرسومة، للحفاظ على تماسك القصر واستمراره، مع فتراتٍ تحوّل الأعوان فيها إلى المباشرة في الحكم؛ فمن تنفيذ إلى تفويض وقهر!.
- سَطَّر التاريخ أن من تولى الوظائف السُلطانية - زمن الدراسة، كانوا إما أعلاماً فلتات، أو أُسراً خدمت ثم هيمنت على البلاطات الأربع، وصارت بتوليها الوظائف السُلطانية كابراً عن كابر، طرفاً مهماً في صناعة القرار السياسي وبلورة النسيج السياسي والتأثير فيه.
- ابن عميرة من الأعلام الأندلسيين الذي تقلبوا في الوظائف السُلطانية ذي النسب العربي بالإجماع، مع الغموض الذي صاحب بداياته.
- تتلمذ ابن عميرة على ثلّة من كبراء العلم والأدب ومختلف الفنون، أعطاه ملكة علمية فيما بعد للعمل السُلطاني بمقتضى هذا الزاد الوفير، الذي كان يستهدفه من البداية.
- تقلد ابن عميرة أثناء إقامته بالأندلس وظائف سلطانية، على رأسها الكتابة لمدة تناهز الثلاثين عاماً لأمراء الموحدين، بحيث لا يخفى عظيم أثرها في الخبرة والتمكين مرفوقاً بحسن الصياغة والابداع.
- غادر ابن عميرة الأندلس وهو يرى تماوي عواصمه التالدة، وسَطَّر بحزن كبير شهادة حَيِّ مُعاین لسقوط ميورقة، واستوطن بلاد المغرب في سنة 637هـ / 1239م.
- أُسْتُكْتب ابن عميرة في البلاط الموحيدي لكفاءته، ولم يمنع ذلك من صرفه عنها، وتوليته القضاء في أكثر من مدينة مغربية، وسُرعان ما أعيد للكتابة بعد وساطات. رغم تقلب ولاءه.

- اضطرت حوادث القتل والاعتقالات، التي فشلت في الطبقة السياسية الموحدية المنهارة ابن عميرة، للفرار بنفسه الى بلاط بجاية الحفصية سنة 646 هـ / 1248م.
- عرفت مسيرة ابن عميرة العلمية والسياسية نُقلة باستقراره في عاصمة الحفصيين تونس، فتقلد القضاء، ثم صار من خواص المستنصر في مجالسه السُلطانية، لولا الدسائس ضده حَقداً وغيره من موسوعيته.
- انتشار الدسائس والمكر والتطاحن السُلطوي، في بلاطات الأندلس المتناحرة، كان له تجليات على نفوس أعلامه المهاجرين لبلاد المغرب، فظهرت زلَّاتُ غُرورهم، وسهَّل الايقاع بهم من مُنافسيهم!.
- أنتج الكاتب الأندلسي عددا هائلا من الرسائل الديوانية والإخوانية، وظل يحظى في تونس بالمنزلة الرفيعة إلى وفاته.
- ينتسب ابن الأَبَّار الى القبيلة العربية اليمانية قضاة، التي سيستوطن أفرادها - بعد الفتح الاسلامي - شرق الأندلس.
- نشأ ابن الأَبَّار عند والد حرص على تنشئته علمياً، خصوصاً الإمام أبي الربيع الكلاعي.
- بدأت المسيرة المهنية لابن الأَبَّار في عشرينيات عمره، فدخل جَوَّ السياسة، والوظائف السُلطانية، بدايةً بالكتابة للموحدى أبي زيد المرتد لاحقاً.
- تولى ابن الأَبَّار الكتابة لأمير بلنسية الجديد أبي جميل زيان ابن مردنيش، ورحل سفيراً، مُستنجداً ببني حفص، لفكِّ الحصار النصراني على بلنسية سنة 635 هـ / 1237م.
- حضر الكاتب السُلطاني أطوار مفاوضات تسليم المدينة للنصارى، متولياً العقد، وواصفاً بهم، ثم راثياً بشعرٍ، مأساة بلنسية. ثم ولى وجهه شطر أرض المغرب، بحثاً عن وطن جديد.
- استقر ابن الأَبَّار أول أمره مع أهله ببجاية الحفصية، ثم سرعان ما استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له.
- عانى ابن الأَبَّار من الغرور، فأدركته جفوة السُلطان، بعد أن رفض أمراً منه. وسرعان ما عوقب بالنفي إلى بجاية، التي أقام بها يُعلم ويستعب سلطانه ويعتذر.
- لم يستطع ابن الأَبَّار معالجة أمراض قلبه وسوء خلقه مع السُلطان، وتطاوله عليه غرورا وأنفء. ونجحت السعايات في الايقاع به مجدداً.

- أعيد ابن الأبار للمرة الأخيرة لوظيفته السلطانية، قبل أن تجتمع ظروف وأسباب أدت في مجملها إلى اغتياله في النهاية.
- يرجع نسب عبد الرحمان ابن خلدون، إلى الصحابي: وائل ابن حجر رضي الله عنه.
- اجتمع في ابن خلدون الأصل العربي اليمني، ثم الإشبيلي الأندلسي، فالتونسي المغربي مولدا ونشأة، فالقاهري المشرقي وفاءً.
- نشأ ابن خلدون نشأة علمية على يد والده، فحفظ القرآن الكريم على يده، وأخذ عنه مبادئ اللغة العربية، ثم توسع في العلوم الأخرى، وطلب العلم على مشايخ عصره.
- تسبب الطاعون في هجرة من بقي من النخب في ركاب أبي الحسن المريني، ورافقهم ابن خلدون، حيث بدأت مسيرته المهنية.
- أول وظيفة سلطانية تقلدها ابن خلدون هي كتابة العلامة، في أواخر سنة 751 هـ / 1350 م، في عهد الوزير ابن تافراكين. الذي استبدد بأمور دولة بني حفص، بعد تحررها من الاحتلال المريني.
- لم يطل بقاء ابن خلدون في الوظيفة، إذ هُزم الوزير في حملته العسكرية، وتلقى الكاتب السلطاني دعوة رسمية من البلاط المريني سنة 755 هـ / 1354 م، ومازال السلطان يُدنيه إليه، ويرفع من مكانته، حتى عينه في العام التالي ضمن كُتَّابه ومُوقِّعيه.
- تسبب العمل السياسي في سقطات مظلمة في حياة ابن خلدون الكاتب السلطاني، والعالم المتفاني، واعترف بتأمره البغيض على وليِّ نعمته، مع الأمير الحفصي الأسير في فاس.
- سجّل التاريخ سقطة أخرى لابن خلدون، في حقِّ منقذه ومطلق سراحه الوزير: الحسن بن عمر الفودودي، إذ تنكر لفضله مع وثوب سلطان جديد.
- سقط ابن خلدون مجدداً، من خلال تأمره مع النائب أبي سالم ضد أخيه - وليِّ نعمته .
- شغل ابن خلدون الكتابة السلطانية سنتين، حيث ظهرت بصمته المميزة في المخاطبات.
- دفع الطموح السياسي بابن خلدون إلى الانقلاب على وليِّ نعمته مجدداً، مناصراً للوزير الحسن بن عمر، طمعاً لمنصب أعلى في الدولة من وزارة أو حجابة، لكنه فشل في ذلك وتنحى، وطلب الخروج من البلد في سنة 764 هـ / 1363 م، خوفاً من أي انتقام أو غدر.

- سافر ابن خلدون الى الاندلس شريداً، أين باستقبال حافل، خصوصاً من الوزير ابن الخطيب، القرين الصديق، لا سيما وقد تقدم إحسان ابن خلدون له ولسلطانه زمن المحنة والنفي.
- اختص ابن الاحمر ضيفه بمجالسه وصحبته، وكلفه بالسفارة الى مملكة قشتالة، وهو ما حرَّك كوامن الغيرة والحسد في نفس الوزير ابن الخطيب، ما عجل برحيل ابن خلدون نحو بجاية لاستلام منصب الحجابة في منتصف سنة 766 هـ / 1364م.
- لم يلبث ابن خلدون على حاله إلا يسيراً، حتى حصل نزاع بين أمير بجاية وابن عمه، وانتصر صاحب قسنطينة، وسلَّم ابن خلدون المدينة للأمير الجديد، الذي استبقاه فترة قبل أن ينقم عليه نِيَّاتِهِ، وفرَّ عبد الرحمان إلى بسكرة، بينما اعتُقل أخاه يحيى.
- خطب البلاط العبد وادي وُدَّ ابن خلدون، في سنة 769 هـ / 1367 م، يدعو فيه لبث الدعوة العبد وادية بين القبائل العربية، واعداء إياه بمنصب الحجابة، وكتابة العلامة، والخير والإنعام، لكن ابن خلدون استراب، فأثر الاعتذار، وتحجج بالعودة لمراجعة العلم والدرس، وأرسل أخاه - بعد تحرره من سجنه - نائباً عنه، وهو ما يتناقض مع رواية أخيه يحيى لاحقاً.
- أجبرت الظروف العامة لبلاد المغرب الاسلامي، ابن خلدون على العودة إلى مُعتزك السياسة، وعرفت حياته تقلبات خطيرة، وولاءات كثيرة، بين بلاطات بني عبد الواد وبني مرين والأندلس، ودفع ثمناً غالباً جرَّاء خياناته لأولياء نعمته؛ فتعرض لسخطهم وحقنهم.
- أضمّر ابن خلدون اعتزال العمل السياسي نهائياً، فاستقر بقلعة بني سلامة لكتابة مقدمته الشهيرة وتاريخه، مُعتمداً على حفظه ومدوناته، وخبرته الطويلة السياسية في التحليل.
- حاجة ابن خلدون لتطعيم بحثه بالمصادر والتنقيحات، دفعته للسفر الى تونس الحفصية، وقطع خلوته التي امتدت نحواً من أربع سنين. واستطاع أن يحظى بعفو السُلطان أبي العباس.
- استمر ابن خلدون في تصحيح بحثه وتخرجه والزيادة عليه نحواً من أربع سنين، وأهدى النسخة الأولى من عمله لوليِّ نعمته الحفصي أوائل سنة 784 هـ / 1382م.
- انسدل الستار على مسيرة ابن خلدون المهنية في المغرب والأندلس في سنة 784 هـ / 1382م، حينما قرر بلا تراجع، الهجرة نحو مصر للمكوث، بعدما فشل في استعادة أي دورٍ في البلاطات المغربية. قبل أن تُدرکه الوفاة فجأة، عام 808 هـ / 1405م.

- اشتهر ابن خلدون بين أقرانه وحكامه، بالعلم والأدب، والمغامرات السياسية بما فيها من سلبيات، فحصد ثناء عَظَماً، وذكرًا كثيرًا من علماء عصره، وذوي الجاه والسُلطان والحكم. فجمهرة المؤرخين!.
- انتسب ابن الخطيب أصلاً إلى اليمن، فقرطبة، ثم طليطلة، فلوثة، ثم غرناطة مستقراً ووظيفة، ولقب ابن الخطيب مشرقياً، كما لُقّب أيضاً ب(ذي الوزرتين)؛ لتوليه الوزارة والكتابة.
- لبیت ابن الخطيب أولية وصدارة في العلم والفضل والجاه، كانوا يُسمّون بني الوزير، وشاركوا في معارضة حكم بني أمية. قبل أن يُهاجروا إلى طليطلة زمنًا طويلاً، ثم مدينة لوثة، وفيها حملوا لقب بني الخطيب.
- عمل عبد الله والد ابن الخطيب في البلاط النصري، ونظراً لكفاءته وزاده العلمي، اشتغل في ديوان الكتاب مرؤسا بأبي الحسن بن الجيّاب، نحو من ربع قرن، وهو ما انعكس على نشأة الولد، وتكوينه العلمي وتحضيره، لخلافة أبيه في المسؤولية والحظوة الملوكية.
- نشأ ابن الخطيب نشأة علمية محضّة، وطلب العلم تحت إشراف والده على نُثَّة من مشايخ العصر المشهورين، ثم عمل في حياة والده مترجماً في سن الشباب، وسرعان ما قُدم لخلافة والده، لما قُفد وولده الآخر خبرهما، فيمن قُفد في واقعة طريف.
- عُيّن ابن الخطيب في أمانة السر، وانفتح له باب المجد والشهرة. وتلقى على يد شيخه ابن الجياب، أرفع أساليب النظم والنثر في ذلك العصر، وبرع في تدبيج الرسائل السُلطانية.
- كان للوباء المدمر آثار سلبية على جمهرة العلماء، إذ قُفد فيه ابن الجياب، وغيره الأعلام والكُبراء. ليتولّى ابن الخطيب خلافة معلمه في رئاسة ديوان الإنشاء، وتسلم مقاليد الوزارة معها كاملة. مع العزّ والشهرة والنفوذ والاستبداد.
- تعرض ابن الخطيب إلى النكبة الأولى في حياته، حين تم الانقلاب على سلطانه، وتمّ سجنه ومصادرة أمواله وجنّاته وأملاكه، وحال تدخل القصر المرين دون اغتياله. وأطلق سراحه وعبر نحو المغرب رفقة سلطانه في سنة 761 هـ / 1360م.
- عاش ابن الخطيب في كنف بني مرين، الذي بالغوا في إكرامه وجبر مصابه، قبل أن ينجح المخلوع في استعادة حكمه عام 763هـ/1362م، وكتب لوزيره بالعودة، وتولي الوظائف السُلطانية، حيث صُرفت له أعناق الناس، وتحكم بمصائر الحكم، وسياسة الدولة.

- تعرض ابن الخطيب لنكبة ثانية، حين انقلب عليه سلطانه، بفعل المؤامرات التي حدّرتّه من مغبة تعاضم نفوذ وزيره الكاتب، وعندما أحسّ ابن الخطيب بالبرود والشُّرود، خطط ونجح في الهروب واللجوء الى البلاط المريني.

- اهتبل خصوم الوزير اللاحق فرصة هروبه، لإلصاق كل تهمّة ودسيسة وخسيسية، وتبعوا كتبه، وسبروا نياتّه، ووجدوا فرصاً ذهبية في كلام ابن الخطيب، ومفرداته زمن قوته، فكفّروه واستحلوا دمه.

- تولى كبير محنة ابن الخطيب علماء وفقهاء منهم تلاميذه وأقرانه، كانت قد سبقت المودة بينهم والقربى!، واجتهد السُّلطات الغرناطية في استرجاعه، لكنها مُنيت بالفشل تلو الفشل.

- كان من الممكن أن يظل ابن الخطيب في مأمنه، لولا تقلب أحوال بني مرين، وتحول قوتهم لضعف، وفشلهم وذهاب ريحهم. فتشكل حلفٌ بين الغرناطيين وبين الثائرين على القصر المريني من المقصيين، واشترط الأوائل تسليم ابن الخطيب أو محاكمته بالمغرب مقابل الدعم والمساعدة في الوصول لكرسي الحكم المريني. وهو ما تحقق عند استيلاء أبي العباس على السُّلطة في سنة 776 هـ / 1374م.

- اعتُقل الوزير وسُجن، وزُدت كل شفاعة فيه، وتولى تلميذه وخليفته ابن زمرك محاكمته وتعذيبه!. ثم استعجل اغتياله خنقاً في محبسه، قبل أن يُنفذ فيه الحكم صباحاً في سنة 776 هـ / 1374م، وبعد أن دُفن، استخرجت جثته وتم احراقها، قبل أن يُقبر مجدداً.

- إنّ ظروف المحاكمة الصورية، وقبلها الفتاوى الهزلية، ثم استعجال قتل الرجل؛ للدليل على كون وظائفه السُّلطانية، مكنته من الاطلاع على أسرار الدولة، ولربما حاول تغيير سياستها بإقناع بني مرين على ضمّها.

- استخدام السُّلطة للدين لتحقيق مآرب الحاكم الظالم، مآله وخيمٌ، ونهايته مأساوية، فلقد خالف الملاء من قضاة وعلماء سوء، الشريعة الاسلامية في أحكام الرّدة، في كون المرتد يستتاب ثلاثاً.

- عُدّ ابن الخطيب خلال القرن الهجري الثامن؛ أحد أهم شخصيات العلم والأدب والسياسة، في غرناطة وحواليها. فأثنى عليه أقرانه، وزملاءه، ولا يزال الناس يحكون خبره ويشرحون أدبه، ويُنظرون سياسته.

- وضوح الصورة واكتمالها عن أعلام الأدب والسياسة، مهم لفهم وقائع التاريخ، وحوادث الدهر. خصوصاً عند تولّيهم الوظائف السُّلطانية، بإيجابياتها وسلبياتها، فبين نفوذ وبلاط، وبين قتل وإسقاط.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الملاحق

الملاحق الأول¹: رسالة عميرة بالنيابة عن أحد موظفي الدولة الحفصية في وفاة الأمير أبي زكريا الحفصي

(فكتب العبد الفقير كتب الله للمقام الكريم توالي النعم الجسام، وقسم له من صالح ثوابه أوفر الأقسام، من فلانة ورأيه في الأمور المهمة، والخطوب المدلهمة، إليه يعيش من عدم الإبصار، وبه يقتدي من عدل عن السبيل وجار.

والحمد لله الذي أمره ماض، وقضاؤه به ينتقض حكم كل قاض، وإنا لله وإنا إليه راجعون رضى بمجاري الأقدار، وتجهداً على الخطب الذي أظلم له وجه النهار، وعند الله نحتسب فلاناً² جزاه الله خير جزائه، ورفع في أعلى منازل أوليائه، فقد ترك الجوانح ملتهبة، والمدامع منسكبة، والقلوب دامية، والأيام مظلمة داجية، وهذا الخطب وإن تناول الخلق عموماً، وكان فيهم بالسوية مقسوماً،

1 - ابن عميرة، بُغية المستطرف، ص 112 - 113.

2 - أي أبا زكريا الحفصي.

فقد ضعف على العبد منه ما يؤدّ الأفتدة، ولا يجد منجداً عليه إلا الزفرات المتصاعدة، والعبرات المسعدة.

وكان في هذه المدة في سبيل الخدمة التي وجه لها متعرفاً فيها ببركة النظر العليّ ما عوّد الله عبيده من الصنع الجميل، ومقاصد التيسير والتسهيل، وقد صدر عنها عند هذه الحادثة العظيمة، وخلف الأحوال وراءه على مجاريها مستقيمة، وعجّل خدمة المطالعة يوم وافى فالانة وبدأ بقصد التربة المقدسة مستشفياً بلثم ثراها¹، وداعياً لساكنها بأشرف المنازل وأعلاها².

الملحق الثاني³: خريطة المغرب إبان الحكم الموحد:

-
- 1 - تقديس أشياء أو أماكن بعينها، واعتقاد البركة والشفاء وقضاء الحاجات يحتاج دليلاً شرعياً صريحاً، وإلاّ فإنّ فاعل ذلك بين بدعة وبين طريق إلى الشرك، كما حصل مع قوم نوح مع صالحهم، حتى عبدوهم في آخر المطاف!.
 - 2 - ابن عميرة، المصدر السابق، ص 112 - 113.
 - 3 - حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ - 1987م، ص 166.

الفهارس العامة

أ

ابن الأَبَّار: 134 – 146 – 148 – 206 – 208 – 209 – 210 – 211 – 214 –
215 – 216 – 217 – 218 – 219.

أبو أحمد جعفر بن عبيد: 128.
أحمد بن أبي سالم: 173 – 179 – 180.
أحمد بن عبد الله أبو المطرف ابن عميرة: 134 – 197 – 198 – 200 – 201 – 202 –
203 – 204 – 205 – 206 – 207 – 210 – 211.
أحمد بن علي القبائلي: 173.
أحمد الغساني الأندلسي: 148.
ابن الأحمر: 69 – 73 – 74 – 75 – 76 – 77 – 79 – 84 – 85 – 86 – 87 –
88.

ابن أزرقان: 143.
الأغلب بن عبد الله: 113.
ألفونسو السادس: 209.
الأمير زيان بن مردنيش: 212.
إبراهيم بن عمران: 168.
إدريس: 137.

ب

بدر الجمالي: 112.
إبراهيم بن إسماعيل: 66.
أبي البقاء خالد: 57 – 141 – 142 – 143.
أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب المرسي: 161.
أبي بكر أبي بكر السعيد: 168 – 178.
أبي بكر بن الصائغ: 125.

أبا بكر بن عبد الرحمان: 142 – 143.

أبي بكر الحفصي: 144.

ت

أبو تاشفين: 68 – 70 – 72 – 151 – 153 – 162.

ابن تافراجين: 134 – 137 – 139 – 222.

التنسي: 62 – 63.

ابن تومرت: 51 – 52.

ث

أبي ثابت: 70 – 172 – 176 – 177 – 178.

أبي ثابت عامر بن عبد الله: 79 – 172 – 177 – 178.

ج

جابر بن يوسف بن محمد: 66.

ابن أبي جبي: 141 – 142.

جعفر بن عثمان المصحفي: 129.

أبو جعفر بن عطية: 125.

ح

الحاج أبا عمران موسى بن علي بن برغوث: 151.

الحاج محمد بن أبي مدين: 176.

-
- حامد الزجالي: 125.
- ابن الحبير: 136 – 137.
- أبي الحجاج: 89 – 91 – 182 – 184 – 187 – 193 – 239 – 240.
- الحسن: 60.
- الحسن بن عمر: 164 – 166.
- حسن بن ابراهيم بن ثابت: 143.
- الحسن بن حيون المعابدي: 66.
- أبي حسون علال: 173.
- أبي الحسن بن الجيّاب: 237 – 238.
- أبي الحسن: 69 – 79 – 175 – 177 – 178 – 222.
- أبي الحسن القيجاطي: 237.
- الحسن بن ناقد: 128.
- ابن الحسين: 217.
- أبي حفص عمر: 58.
- عبد الحلّيم: 81.
- أبي حمو: 68 – 70 – 71 – 91 – 158 – 152 – 154 – 159 – 162 – 227 – 229.

خ

الخادن: 129.

خالد بن عثمان

أبي الخطاب بن واجب: 200.

ابن الخطيب: 185 – 187 – 188 – 189 – 192 – 193 – 206 – 225 – 226 –
– 235 – 236 – 238 – 239 – 241 – 242 – 243 – 244 – 245 – 247 – 248 –
249.

ابن خلوف: 143 – 144.

خليفة بن حيون بن رقاصه: 172.

الخليفة الناصر: 53 – 54 – 65.

د

داود بن علي بن مكن: 151.

ابن الدباغ: 142 – 143.

أبو دبوس: 78.

ر

رسول الله صلى الله عليه وسلم: 21 – 23 – 24 – 31 – 33 – 34 – 40 –
41 – 42 – 43 – 63 – 73 – 106 – 107 – 108 – 116 – 118 – 120 – 127.

سليمان: 29.

أبو الربيع سليمان: 79 – 125 – 199 – 209.

الرشيد الموحدي: 67 – 202.

رضوان: 177 – 178 – 185 – 187 – 188.

الرئيس أبي جميل: 201.

ز

أبو زكريا يحيى بن محمد الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون: 63 - 153 - 162 - 175 - 226.
أبي زكريا: 54 - 55 - 56 - 57 - 60 - 136 - 144 - 148 - 149 - 202 -
212 - 214 - 223 - 224 - 225 - 229.

أبي زكريا بن هذيل

زيادة الله الأول: 113.

أبو زيان: 156.

أبو زيان محمد ابن عثمان: 68 - 81.

زيدان بن زيان: 67.

أبي زيان المتوكل: 168.

س

أبو سالم ابراهيم بن أبي الحسن: 81.

أبي اسحاق ابراهيم: 57 - 139 - 145 - 223.

سعد بن عبادة: 84.

ابن أبي سعيد: 147.

سعيد بن أبي الحسين الأندلسي: 136.

السعيد: 156 - 203.

السعيد بالله أبو بكر: 168.

أبا سعيد عثمان: 70 - 76 - 77 - 134.

السلطان عبد العزيز: 57 - 58.

سليمان بن داوود بن أعراب العسكري: 164.

السهروردي: 203.

ابن سيد الناس: 140.

السيد أبو عبد الله محمد بن أبي حفص: 210.

ش

شعيب بن ميمون: 163.

الشيخ أبو حفص: 50 – 53 – 54.

ص

صلاح الدين: 112.

ظ

ظافر الكبير: 139 – 143.

ع

ابن عاصم الغرناطي: 186 – 191 – 193.

عامر بن فتح الله السدراقي: 170.

أبي العباس أحمد الثاني: 59 – 145 – 231.

أبو العباس أحمد بن علي القبائلي: 171 – 173.

أبي العباس محمد بن الأغلبي: 113.

أبو العباس المستنصر المريني: 247.

عبد الرحمان ابن خلدون: 50 – 52 – 62 – 73 – 74 – 76 – 95 – 104 – 113 –
– 115 – 158 – 166 – 179 – 220 – 221 – 222 – 223 – 226 – 227 –
228 – 230 – 231 – 232 – 233 – 234 – 244 – 250.

عبد الله الزرهوني: 172.

أبو عبد الله ابن زمرك: 181 – 185 – 246.

أبي عبد الله بن عبد الولي العواد: 237.

عبد الله بن علي بن سعيد: 165.

أبي عبد الله بن فرج: 200.

أبي عبد الله بن محمد التميمي: 169.

أبو عبد الله بن مدورة: 162.

أبا عبد الله محمد بن علي العصامي: 162.

أبو عبد الله محمد الثالث: 86 – 183 – 185.

أبو عبد الله محمد بن جدار: 161.

أبا عبد الله محمد بن الحجر: 148.

أبو عبد الله محمد بن الرقام الهسكوري: 161.

أبو عبد الله محمد بن سعود: 156.

أبو عبد الله محمد بن عامر الولهاصي: 156.

أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس: 161.

عبد الله بن علي: 165 – 168.

-
- أبا عبد الله محمد القلشاني: 148.
- أبو عبد الله محمد بن هدية: 161.
- عبد الله بن أبي مدين: 172 – 176 – 177 – 178.
- أبو عبد الله محمد بن المعلم: 161.
- أبي عبد الله بن محمد: 169.
- أبي عبد الله المنتصر: 59.
- عبد الله ابن يعقوب: 163.
- ابن عبدون: 124.
- عبدون بن محمد الحباك: 156.
- أبو محمد بن غالب: 161.
- عبد المؤمن: 52 – 65.
- عبد الملك بن يزيد: 125.
- عبد الواحد بن ناصح: 173.
- عثمان بن يعقوب أبي سعيد: 76 – 79 – 77.
- أبو عصيدة: 141.
- أبي علي الشلوين: 200.
- علي بن عبد الله: 157.
- أبي عنان: 74 – 79 – 80 – 81 – 83 – 164 – 165 – 166 – 167 – 168 –
- 173 – 177 – 178 – 179 – 223.
-

-
- عتيق: 172 – 182.
- عثمان أبي سعيد: 76 – 79 – 77 – 173.
- عثمان بن يوسف: 66.
- عقبة بن نافع: 64.
- علي بن أبي طالب: 108.
- علي بن عثمان أبي الحسن: 69 – 79.
- أبو عنان: 74 – 79 – 80 – 81 – 83.
- عنبر الخصي: 172.
- علي بن محمد بن نخيل: 148.
- عمر: 50-51-77 – 108 – 116 – 118 – 119 – 126.
- أبو عمر تاشفين الموسوس: 81.
- عمر ابن السعود الحشمي: 163.
- أبي عمر بن عات: 200.
- عمر بن عبد الله بن علي الياباني: 167 – 173.
- أبي عمرو عثمان الحفصي: 59.
- عمر بن ميمون بن محمد بن أصمود الهسكوري: 173.
- عمر الحفصي: 77.
- عموش بن مكن: 153.
- عيسى بن الحسين: 165.

عيسى بن ماساي: 168.

غ

ابن غمر: 139 – 142.

الغني بالله: 89 – 90 – 91 – 240.

الغبريني: 218 – 219.

ف

أبو فارس: 57 – 58 – 229.

أبو الفضل جعفر بن علي: 129.

أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج: 200.

ق

أبي القاسم بن جزي: 238.

أبي القاسم بن الشيخ أبا القاسم بن الشيخ: 138.

أبا القاسم ابن عميرة: 205.

م

المأمون الموحيدي: 66.

ابن محرز البلنسي: 203.

أبو محمد بن تافراكين: 140.

محمد بن أبي الخصال: 125.

أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي: 152.

-
- محمد المزدوري: 133.
- محمد الأيسر: 92.
- أبي محمد بن حوط الله: 200.
- محمد الرابع: 86 – 87.
- محمد بن سيد الناس: 140.
- أبي محمد عبد الحق: 82.
- محمد بن أبي عبد الرحمان يعقوب: 81.
- محمد أبي عبد الله: 91.
- محمد الغني بالله: 89 – 90 – 91.
- محمد الفقيه: 86 – 88.
- محمد بن قرهب: 128.
- محمد ابن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر: 225.
- المرتضى: 78.
- المستعين بالله أبي سالم: 81 – 225.
- المستنصر: 56 – 204 – 205 – 214 – 215 – 216 – 217 –
- مسعود بن ماساي
- مسلم السجلماسي: 128.
- معاوية: 120.
- أبو معرف محمد: 77.
- المقري: 74.

المنصور بن أبي عامر: 130.

موسى بن علي: 153.

أبو موسى عمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي: 152.

ن

النباهي: 246.

نصر بن حمزة: 113.

نصر بن محمد أبي الوليد إسماعيل: 86 – 87.

هـ

ابن هود: 85.

و

وائل ابن حجر: 220.

الواثق: 57 –

أبو الوليد إسماعيل: 87 – 89.

ي

أبي يعقوب المريخي: 73 – 79.

يغمراسن: 62 – 67 – 68 – 70 – 78.

يوسف الثالث: 91 – 92.

يوسف بن عبد المؤمن: 52.

يوسف بن يعقوب: 79.

أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق: 77 - 79 - 80.

أ

أرجونة: 84 - 85.

الأندلس: 47-49-54-59-60-61-65-71-75-80-84-85-86-88-90-
29-130-198-212-213-217-218-244.

ب

بجاية: 203-215-216-227-228.

البرتغال: 48-83.

بسكرة: 223.

بلنسية: 201-208-209-210-211-212-213-214.

ت

تلمسان: 62-64-65-66-67-68-69-73-75-79-81-
245.

تونس: 46-47-56-61-204-213-214-215-216-217-220-
221-222.

ج

جبل طارق: 92-93.

الجزائر: 46-47.

جزيرة شقر: 197-198.

الجزيرة الإيبيرية: 48.

ح

حصن العقاب: 54-66.

ر

الرباط: 48 – 202.

س

اسبانيا: 48.

سبتة: 203.

ش

شاطبة: 202.

اشبيلية: 211 – 226.

ط

طرابلس: 65.

غ

غرناطة: 61 – 86 – 91 – 92 – 202 – 237 – 242 – 243 – 246 – 247 – 249.

ف

فاس: 225 – 229.

افريقية: 47 – 201.

ق

قابس: 204.

القاهرة: 232.

قرطبة: 84 – 236.

قسطنطينة: 227.

ل

لوشة: 236 – 237.

م

المغرب: 46-47-48-49-55-64-76-90-113-202-242.

المغرب الأدنى: 47 – 51 – 55.

المغرب الأقصى: 46 – 47 – 48 – 69 – 75 – 78 – 83 – 222.

المغرب الأوسط: 47-48-64-65-66-67.

المغرب العربي: 56.

المغرب والأندلس: 46 – 49 – 50 – 54 – 55 – 83 – 93 – 96 – 115 – 125

– 206.

المدينة: 33.

مراكش: 77 – 79.

مرسية: 202 –

مصر: 46 – 122 – 231.

مكة: 33 – 56.

مكناسة الزيتون: 202 – 203.

ي

اليمن: 236.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم.

1 - المصادر:

- 1 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، كتاب الحلة السرياء، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1963، ج1 - 2.
- 2 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ديوان ابن الأَبَّار، قرا وتغ، عبد السلام هراس، وزارة الأوقاف المغربية، 1420 هـ - 1999م.
- 3 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، التكملة لكتاب الصلوة، تح، عبد السلام هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415 هـ / 1995م، ج2.
- 4 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، تحفة القادم، تح، إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1406 هـ / 1986م.
- 5 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1، 1410 هـ - 1989م.
- 6 - ابن الأَبَّار. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، التكملة لكتاب الصلوة، تعل، ابن أبي شنب و ألفريد بل، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1337 هـ - 1919 م.
- 7 - ابن الأحمر. أبي الوليد إسماعيل، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تح، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407 هـ - 1987 م.
- 8 - ابن الأحمر. أبي الوليد إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1362 هـ - 1962 م.
- 9 - ابن الأحمر. أبي الوليد إسماعيل، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الدراسات التاريخية، ط1، 1421 هـ - 2001م.
- 10 - ابن الأحمر. أبي الوليد إسماعيل، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح، مجموعة باحثين، د ط، دت، معهد مولاي الحسن للبحوث، المغرب.
- 11 - الأشعري. أبو الحسن، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين-تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 1411 هـ - 1990م، ج1.

- 12 - الألباني. محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، اعتنى به، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1425 هـ - 2004 م.
- 13 - ابن أنس. مالك، الموطأ، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1985 م، ج 1.
- 14 - البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط1، 1423 هـ - 2002 م.
- 15- بردي. يوسف بن تغري، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح، سعيد عبد الفتاح عاشور وغيره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ج 1، 1984.
- 16- البلاذري. أبو العباس أحمد، فتوح البلدان، تح، عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1407 هـ - 1987 م.
- 17 - بن بلبان. علاء الدين علي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تح، شعيب الأرنؤوط، مج 9، ك الحج، وك النكاح، باب معاشره الزوجين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414 هـ - 1993 م.
- 18 - التجاني. أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981.
- 19 - التلمساني. أحمد بن محمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988 م، مج 1 - 4 - 5 - 6.
- 20 - التلمساني. محمد ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، در وتحق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401 هـ / 1981 م.
- 21 - التنسي. محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح، محمود آغا بوعبيد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
- 22 - ابن تيمية. تقي الدين أحمد، السياسة الشرعية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1419 هـ.

- 23 - ابن الجزري. شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، غاية النهاية في طبقات القراء، تح، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006 م - 1427 هـ، ج1.
- 24 - ابن حزم الأندلسي. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة.
- 25 - الحاكم. أبو عبد الله محمد، المستدرك على الصحيحين في الحديث، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، 1341 هـ، ج3.
- 26 - الجهشيارى. أبو عبد الله محمد، كتاب الوزراء والكتّاب، المكتبة العربية، بغداد، العراق، ط1، 1357 هـ - 1938 م.
- 27 - الحميري. محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.
- 28 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، ديوان ابن الخطيب، تح، محمد مفتاح، مج1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1409 هـ / 1989 م.
- 29 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1400 هـ - 1980 م، مج1.
- 30 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، ط2، 1397 هـ - 1977 م، 1393 هـ - 1973 م، مج1 - 2 - 4.
- 31 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، الاحاطة في أخبار غرناطة، مرا وتع، بوزيان الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ق4.
- 32 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، تاريخ اسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويق قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تح، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956.
- 33 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تص، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، 1347.

- 34 - ابن الخطيب. أبو عبد الله محمد، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تص، البشير الفورقي، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ.
- 35 - ابن خلدون. عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421 هـ - 2000م، ج 4 - 6 - 7.
- 36 - ابن خلدون. عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح، أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، 1428 هـ / 2007م.
- 37 - ابن خلدون. عبد الرحمان، رحلة ابن خلدون، مرا، محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م - 1425هـ.
- 38 - ابن خلدون. يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيبير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ - 1903م، مج 1.
- 39 - ابن خلدون. يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400 - 1980، ج 1.
- 40 - ابن خلدون. يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق و تح، بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2.
- 41 - ابن خلكان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، د ط، أوت 1968، مج1.
- 42 - ابن الدباغ. أبو زيد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ومعه ذيل معالم الإيمان، تح، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1.
- 43 - الدكالي. محمد بن علي بن عبد الواحد، كتاب المذمة في استعمال أهل الذمة، تح، عبد الله ابراهيم بن علي الطريقي، شبكة الألوكة، د ط، دت.
- 44 - الذهبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المستملح من كتاب التكملة، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

- 45 - الذهبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1401 هـ - 1981م، ج7.
- 46 - الزبيدي. محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر بيروت، تح، علي يسري، ج 1 - 10.
- 47 - الزركشي. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، د ت.
- 48 - الزمخشري. أبو القاسم جار الله محمود، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1430 هـ - 2009م.
- 49 - زمرك. محمد بن يوسف الصريحي، ديوان ابن زمرك، تح وتق، محمد توفيق النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 50 - الزباني. أبو حمو موسى الثاني، كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، 1279 هـ، د ط.
- 51 - السجستاني. أبو داود، سنن أبي داود، تح، شعيب الأرنؤوط، ج4، دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، ط خ، 2009 م / 1430 هـ.
- 52 - السيوطي. جلال الدين عبد الرحمان، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003م.
- 53 - ابن الشماخ. أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984.
- 54 - السبتي. محمد بن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بشعر سبته من سني الآثار، تح، عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1403 هـ - 1983 م، الرباط.
- 55 - السبتي. محمد بن هانيء اللخمي، رسائل ابن عميرة الديوانية والإخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، تح، محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2014م.

- 56 - السملالي. العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مرا، عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، ط2، 1413 هـ - 1993، ج1.
- 57 - الصفدي. صلاح الدين خليل بن أيك، كتاب الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج3.
- 58 - الاصفهاني. الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط4، 1430 هـ - 2009 م.
- 59 - ابن طباطبا. محمد بن علي ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 60 - الطبري. محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ - 200 م، ج19.
- 61 - الظاهري. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ، القاهرة، مصر، دت، ج4.
- 62 - ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح، علي محمد الجاوي، دار الجليل، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1992م، مج1.
- 63 - ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، س1 - ق1.
- 64 - ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح، احسان عباس، دار الثقافة- بيروت - لبنان، ط1، 1973، س4 - 5 - 6.
- 65 - العثماني. محمد ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح، عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1408 - 1988.
- 66 - ابن عساكر. أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، تح، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ج62.

- 67 - العسقلاني. ابن حجر ، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح، حسن حبشي، القاهرة، مصر، 1415 هـ - 1994م، ج2.
- 68 - العسكري. أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1371 - 1952.
- 69 - العمري. شهاب الدين أحمد ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح، كامل سلمان الجبوري، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 70 - العيني. بدر الدين، عُمدة القاري شرح صحيح البخاري، تص، عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 - 1421، ج2.
- 71 - الغبريني. أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببهاية، تح، عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، ابريل، 1979.
- 72 - الغرناطي. أبو يحي محمد بن عاصم، حنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تح، صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، 1410 هـ / 1989م.
- 73 - الفاسي. الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، تر محمد حجي وغيره، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ج 2.
- 74 - الفاسي. علي ابن أبي زرع، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، 1972.
- 75 - الفاسي. علي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972.
- 76 - الفراء. أبو يعلى محمد، الأحكام السلطانية، تصح وتبع، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1421 هـ - 2000م.
- 77 - الفيروزبادي. مجد الدين محمد، القاموس المحيط، ط 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1398 هـ - 1978 م، ج1، 4.

- 78 - القرطبي. محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح، أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1384 هـ، ج5.
- 79 - القلقشندي. أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، د ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر 1340هـ- 1922 م، ج 1 - 2 - 3 - 5 - 7.
- 80 - ابن القطان المراكشي. أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، در وتحق، محمود علي مكّي، دار الغرب الاسلامي، مصر، 1410هـ / 1990 م.
- 81 - ابن قنفذ. أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتحق، محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.
- 82 - ابن قيم الجوزية. أبو عبد الله محمد، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تح، بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، بيروت، لبنان، ط1، 1410 هـ - 1989 م.
- 83 - ابن قيم الجوزية. أبو عبد الله محمد، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تح، محمد سيد كيلاني، ج1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1381 هـ - 1961 م.
- 84 - ابن قيم الجوزية. أبو عبد الله، أحكام أهل الذمة، تح، يوسف بن أحمد البكري وغيره، رمادي للنشر - الدمام، السعودية، ط1، 1997 - 1418.
- 85 - الكتيبي. محمد شاكر، فوات الوافيات والذيل عليها، تح، إحسان عباس، مج 3، دار صادر، بيروت، 1974.
- 86 - ابن ماجة. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ج1، 1373 هـ - 1954 م.
- 87 - المالقي. أبو القاسم ابن رضوان، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تح، علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1404 - 1984.
- 88 - الماوردي. أبو الحسن علي، كتاب الأحكام السلطانية، اعتنى به، مفسس أنعر، دط، بن، 1853 م - 1399 هـ.

- 89 - مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح، بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 90 - مجهول، مفاخر البربر، تح، عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 1، 2005.
- 91 - المراكشي. عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، ك 3، 1963.
- 92 - المراكشي. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 3، 1983، ج 1-2.
- 93 - المراكشي. ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين -، تح، مجموعة من الأساتذة دار الغرب الاسلامي - بيروت - لبنان، ط 1، 1406 - 1985.
- 94 - المقرئزي. تقي الدين أحمد بن علي ، دُرر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة، تح، محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1423 هـ - 2002 م، مج 2.
- 95 - المغربي. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 4، 1964م، ج 1-2.
- 96 - المكناسي. أبو العباس أحمد بن محمد، درة الحجال، مج 2، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 1، 1391 هـ / 1971 م.
- 97 - ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ت.
- 98 - النباهي. أبو الحسن بن عبد الله، تأريخ قضاة الأندلس، تح، مجموعة باحثين، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 5، 1403 هـ - 1983م.
- 99 - النسائي. أبو عبد الرحمان أحمد، تعل، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 1، دت.

- 100 - النويري. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، علي بوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 م - 1424 هـ، ج 6-7-24.
- 101 - النيسابوري. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1374 هـ - 1954 م، ج 1.
- 102 - ابن هشام. محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، تحق، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 3، 1410 هـ - 1990 م بيروت، ج 1.

2 - المراجع:

أ - باللغة العربية:

- 103 - أبادي. محمد حميد الله الحيدر، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط6، 1407 هـ - 1987 م.
- 104 - أحمد. فؤاد عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب، 1422 هـ.
- 105 - أحمد. نهلة شهاب، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دراسة تحليلية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، 1433 هـ - 2003 م.
- 106 - أرسلان. شكيب، خلاصة تاريخ الاندلس، مطبعة المنار، مصر، 1343 هـ - 1925 م.
- 107 - أرسلان. شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسوريا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1352 هـ.
- 108 - آل سعود. سعود بن سلمان وآخرون، النظام السياسي في الاسلام، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط16، 1436 هـ / 2015 م.
- 109 - الألوسي. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، ج3.

- 110 - أحزون. محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، 1428 هـ - 2007م، الاسكندرية، مصر.
- 111 - إبراهيم. أياد حميد، مفهوم السلطة في القرآن الكريم، قسم القانون الخاص، جامعة ميسان - كلية القانون، 1436 هـ - 2015م.
- 112 - إسماعيل. محمد محمد أحمد، ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين (615 هـ - 891 هـ / 1213 - 1465 م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 1432 هـ - 2008 م.
- 113 - بالنشيا. آنخل جنتالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تر، حسن مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955.
- 114 - بسبح. أحمد حسن، لسان الدين ابن الخطيب عصره، بيئته، حياته وآثاره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1412 هـ - 1994 م.
- 115 - البدوي. اسماعيل، الوزارة في الدولة الاسلامية، د ط، د ت، بيروت، لبنان.
- 116 - برغوث. الطيب، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416 هـ / 1996م.
- 117 - برنشفيك. روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1988، ج 1 - ج 2.
- 118 - بريكة. مسعود، النخبة والسلطة في بجاية الحفصية (7 - 9 هـ / 13 - 15 م)، ط 1، 2004م، دار ميم للنشر، الجزائر.
- 119 - بلعربي. خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن - دراسة تاريخية وحضارية - 633 - 681 هـ / 1235 - 1282 م، دار الأملية، الجزائر، ط 1، 2011.
- 120 - بن عاشور. محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 27.
- 121 - بوجندار. محمد بن مصطفى، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تح، أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1435 هـ / 2014م.

- 122 - بنسباع. مصطفى، السلطة بين التسنن و" التشيع " والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تق، احمد بنعبود، مطابع الشويخ، تطوان، ط1، 1999.
- 123 - بوعباد. محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (9 هـ / 15 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م.
- 124 - بوقربة. صالح وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ط خ.
- 125 - تانسي. ستيفن، نايجل جاكسون، أساسيات علم السياسة، تر، محيي الدين حميدي، دار الفرقد، دمشق، سورية، ط1، 2016م.
- 126 - ابن تاويت. محمد، تاريخ سبتة، دار الثقافة، المغرب، ط 1، 1402 هـ - 1982م.
- 127 - التر. عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1409 هـ - 1989 م.
- 128 - توات. الطاهر، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ج1.
- 129 - الجابري. محمد عابد، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، أبريل 1994.
- 130 - جاد المولى. محمد أحمد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1361 هـ - 1942 م، مج 1.
- 131 - الجزائري. نعمة الله، الأنوار النعمانية، دار القارئ، ط1، 1429هـ/2008م، ج2.
- جمال الدين. عبد الله محمد، الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1411 هـ - 1991م.
- 132 - جمعة. علي، المساواة الانسانية في الاسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.

- 133 - جواتياين. س.د، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، تعر وتحق، عطية القوصي، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط1، 1980.
- 134 - الجيلالي. عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزائر، ط، 2009، ج 2.
- 135 - حاجيات. عبد الحميد، أبو حمو موسى الزباني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1982.
- 136 - حامد. التيجاني عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1416 هـ / 1995م.
- 137 - حتامله. محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، 1420 هـ / 2000م.
- 138 - الحججي. عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1402 هـ - 1981م.
- 139 - حركات. ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1420 هـ - 2000 م، ج 2.
- 140 - حركات. ابراهيم، السياسة والمجتمع في عصر الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985م.
- 141 - الحريري. محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610 هـ / 1213 م) - (869 هـ - 1465 م)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 2، 1408 هـ - 1987 م.
- 142 - حساني. مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج 1، الأحوال السياسية، منشورات الحضارة، 2007.
- 143 - حسن. علي ابراهيم، حسن ابراهيم حسن، النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
- 144 - حسن. ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج 3، العصر العباسي الثاني في المشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، ط 15، 1422 هـ - 2001 م.

- 145 - حسن. محمد، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، 2002.
- 146 - حسين. حمدي عبد المنعم محمد، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1997، الاسكندرية، مصر.
- 147 - حسين. محمد الخضر، الحرية في الإسلام، دار الاعتصام، 1324 هـ.
- 148 - حقيقت. صادق، توزيع السلطة في الفكر السياسي الشيعي، دراسة فقهية فلسفية مقارنة، تر، حسين صلفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2014.
- 149 - حلواني. محمد أمين شاكر، عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم، دار القلم، دمشق، سوريا، دت، دط.
- 150 - حمادة. محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا 64 - 879 هـ / 683 - 1492 م، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1986 م.
- 151 - حمودة. عبد الحميد حسين، الحضارة العربية الإسلامية و تأثيرها العالمي، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2014.
- 152 - حموده. علي محمد، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، ط1، القاهرة، 1957.
- 153 - خدوري. مجيد، مفهوم العدل في الاسلام، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998 م.
- 154 - الخضير. عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمان، الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1425 هـ.
- 155 - الخطيب. محمد عجاج، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، موفم، الجزائر، 1989 م.
- 156 - خلاف. عبد الوهاب، السياسة الشرعية، أو نظام الدولة الاسلامية، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، 1350 هـ.

- 157 - خليل. رشاد حسن، نظرية المساواة في الشريعة الإسلامية، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ج1.
- 158 - الخميس. عثمان بن محمد، حُقبَة من التاريخ، تق، محمد بن إسماعيل، دار الإيمان، الاسكندرية، مصر، 1999.
- 159 - خياط. سلام، اقرأ، صناعة الكتابة وأسرار اللغة، شركة رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، كانون الثاني، يناير، 1999.
- 160 - الخياط. عبد العزيز عزت، النظام السياسي في الإسلام، النظرية السياسية، نظام الحكم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ - 1999م.
- 161 - دغفوس. راضي، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1425 هـ - 2005 م.
- 162 - الدراجي. بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- 163 - دراج. أحمد السيد، صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية، دعوة الحق، د ط، مكة، 1400 هـ - 1980 م.
- 164 - الدشراوي. فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- 165 - الدوري. عبد العزيز، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، فبراير، 2008.
- 166 - دوقرجيه. موريس، مدخل إلى علم السياسة، تر، جمال الأتاسي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، د ط، د ت.
- 167 - ديدات. أحمد، عتاد الجهاد، نقلها إلى العربية، علي الجوهري، د ط، د ت.
- 168 - الذيب. سليمان بن عبد الرحمان بن محمد، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، 1427 هـ / 2006 م، الدار العربية للموسوعات، د ط، د ت.

- 169 - رستم. محمد بن زين الدين، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1430 هـ - 2009م.
- 170 - رسلان. صلاح الدين بسيوني، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية للنشر والتوزيع، دط، دت، القاهرة، مصر.
- 171 - الريحاني. أمين، نور الأندلس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2015.
- 172 - الريحاني. أمين، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2009.
- 173 - الزركلي. خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 5، أيار (مايو) 1980، ج 2.
- 174 - زناقي. أنور محمود، دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال عصر المرابطين، دورية كان، س7، ع25، دار ناشري، الكويت، يونيو 2014.
- 175 - الزبياري. إباد كامل إبراهيم، التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م.
- 176 - سالم. سحر السيد عبد العزيز، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، منذ إنشائها حتى نهاية عصر بني مرين، مؤسسة شباب الجامعة، 1996.
- 177 - سالم. السيد عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1986.
- 178 - سالم. السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1983.
- 179 - السامرائي. نعمان عبد الرزاق، أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط 2، 1403 هـ - 1983 م.
- 180 - السامرائي. أسامة عبد الحميد حسين، تاريخ الوزارة في الأندلس (138-897 هـ / 755-1492 م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- 181 - السامرائي. نعمان عبد الرزاق، النظام السياسي في الإسلام، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، ط 2، 1421 هـ - 2000 م.
- 182 - السرحاني. أسماء محمد فراس، محاضرة السلطة (المفهوم - المصادر - الأنواع - الأنماط)، قسم الادارة والتخطيط التربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السنة الجامعية، 1434 - 1435 هـ.
- 183 - سرور. محمد جمال الدين، قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1371 هـ - 1952 م.
- 184 - سعيدان. عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م، منشورات سعيدان، سوسة، الجمهورية التونسية، ط 1، نوفمبر 2002.
- 185 - السفياني. عابد بن محمد، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، السعودية، ط 1، 1408 هـ - 1988 م.
- 186 - سليمان. عصام، مدخل إلى علم السياسة، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1989 م.
- 187 - سمارة. احسان عبد المنعم عبد الهادي، النظام السياسي في الاسلام - نظام الخلافة الراشدة-، دار يافا، عمان، الأردن، ط 1، 2000 م - 1420 هـ.
- 188 - السويسي. عبد الله، تاريخ رباط الفتح، تق، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، 1399 هـ - 1979 م.
- 189 - السيف. توفيق، نظرية السلطة في الفقه الشيعي، ما بعد ولاية الفقيه، ط 2، 2014، د ت.
- 190 - شاكر. محمود، التاريخ الاسلامي، الدولة العباسية، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط 6، 1421 هـ - 2000 م، ج 1.
- 191 - شاهين. حمدي، الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.

- 192 - الشرقاوي. محمود، المغرب الأقصى مراکش، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، دت.
- 193 - الشريف. محمد بن شاكر، إدارة الدولة الإسلامية، مركز البحوث والدراسات، ط1، 1434هـ.
- 194 - شريط. عبد الله، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون في الاجتماع والسياسة والثقافة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 195 - شلبي. أبو زيد، الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1433 هـ - 2012 م.
- 196 - الشيب. هادي، مقدمة في علم السياسة والعلاقات الدولية، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، 2017.
- 197 - الصالح. صبحي، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت.
- 198 - الصلابي. علي محمد محمد، المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1435 هـ - 2014 م.
- 199 - الصلابي. علي محمد محمد، البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1435 هـ - 2014 م.
- 200 - الصلابي. علي محمد محمد، الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1434 هـ - 2013 م.
- 201 - الصلابي. علي محمد محمد، الحريات من القرآن الكريم، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 145 هـ - 2014 م.
- 202 - الصلابي. علي محمد محمد، الشورى فريضة إسلامية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1431 هـ - 2010 م.
- 203 - الصلابي. علي محمد محمد، العدالة والمصالحة الوطنية، ضرورة دينية وانسانية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1434 هـ - 2013 م.

- 204 - الصلابي. علي محمد محمد، التداول على السلطة التنفيذية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 2، 1435 هـ - 2014 م.
- 205 - الصلابي. علي محمد، الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانحيار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـ - 2008 م، مج 1.
- 206 - صوفي. عبد القادر بن محمد عطا، دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية - دار أضواء السلف-، ط 1، 1426 هـ/2005 م.
- 207 - الضحيان. عبد الرحمان بن إبراهيم، الإدارة والحكم في الإسلام، الفكر والتطبيق، أجه، السعودية، ط 3، 1411 هـ - 1991 م.
- 208 - ضيف. شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989.
- 209 - الطالبي. محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184 296 هـ 800 909 م، تعر، المنجي الصيادي، مرا، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1405 هـ - 1985 م.
- 210 - طقوش. محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط 2، 1432 هـ - 2011 م.
- 211 - طقوش. محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 7، 1430 هـ - 2009 م.
- 212 - الطوخي. أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، تق، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1997 م.
- 213 - الطويلي. أحمد الشاذلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، تونس، 1986، ج 1.
- 214 - الطيب. مولود زايد، علم الاجتماع السياسي، منشورات السابع من أبريل، ط 1، 2007 م، بنغازي، ليبيا.

- 215 - الطيبي. أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، 1997، ج 2.
- 216 - الطيبي. أمين توفيق، دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا.
- 217 - العاملي. محسن الأمين، أعيان الشيعة، تح، محسن الأمين، دار التعرف للمطبوعات، 1403هـ/1983م، ج 10.
- 218 - العبادي. أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، دط، دت.
- 219 - عبد اللطيف. عبد الشافي محمد، العالم الاسلامي في العصر الأموي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط 1، 1429 هـ - 2008م.
- 220 - عبد الفتاح . هدى محمدي السيد، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخرّيج الدلالات السمعية للخزاعي، ط 1، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، 1429هـ/2008م.
- 221 - عبد الوهاب. محمد حلمي، ولائاً وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تق، رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2009، بيروت، لبنان.
- 222 - عبد المولى. سيد شورنجي، الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون، الأسعار والنقود، دراسة تحليلية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، عمادة البحث العلمي، كلية الشريعة وأصول الدين بأبها، قسم الاقتصاد، 1409 هـ - 1989م.
- 223 - العزاوي. عبد الرحمان حسين، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1432 هـ - 2011م.
- 224 - عزاوي. أحمد، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج 1، عصر الانقسام (القرون الأولى)، مطبعة ربا نيت، ديور الجامه، الرباط، المغرب، ط 2، 1430 / 2009.
- 225 - عزاوي. أحمد، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج 2، ط 2، 1430 - 2009، ربا نيت، ديور الجامع، الرباط، المغرب.

- 226 - عزاوي. أحمد، رسائل موحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، المغرب، ق1، ط1، 1416 - 1995.
- 227 - عطية. شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425 هـ - 2004 م.
- 228 - علي. وفاء محمد، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ.
- 229 - علي. محمد كرد، الإدارة الاسلامية في عز العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، القاهرة، مصر.
- 230 - عمورة. عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، 2002.
- 231 - ابن عميرة. محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 232 - عنان. محمد عبد الله، نماية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1416 هـ - 1997 م، ع4.
- 233 - الغنوشي. راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أغسطس، 1993، بيروت، لبنان.
- 234 - الغنيمي. عبد الفتاح مقلد، موسوعة المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1414 هـ - 1994 م، مج 3 - 5.
- 235 - غمق. ضو مفتاح، السلطة التشريعية في نظام الحكم الإسلامي والنظم المعاصرة (الوضعية)، دراسة مقارنة، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، 2002.
- 236 - غوردو. عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: جدلية التمدين، تق، عبد الرحيم تمحري، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، ط2، 1432 هـ - 2011م.
- 237 - عوض. عبد الفتاح، إشرافات أندلسية، صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2007م.

- 238 - الفاسي. محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى الترتيب الادارية، تح، عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ج1.
- 239 - فرحات. يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1412 هـ - 1993م.
- 240 - فريدريش. يوهانس، تاريخ الكتابة، ، تر، سليمان أحمد الضاهر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م.
- 241 - الفهدوي. خالد، الفقه السياسي الإسلامي، تد، إسماعيل الكردي، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سورية، ط3 ، شباط، 2008.
- 242 - فيلاي. عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، موفم، الجزائر، 2007، ج1.
- 243 - القاسمي. ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ك1، الحياة الدستورية، دار النفائس، ط2، دت، ج1.
- 244 - القاضي. محمد محمود، عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1419 هـ - 1999م.
- 245 - القرضاوي. يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1404 هـ - 1983 م.
- 246 - القطان. مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، 1995م.
- 247 - قيرنيت. خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، تر، نهاد رضا، تق، فاضل السباعي، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، حزيران / يونيو، 1997م.
- 248 - القيسي. مروان إبراهيم، حقوق الانسان في الاسلام (الميسرة)، دار الكتاب الثقافي، 1435 هـ - 2014 م.
- 249 - الكرمي. حافظ أحمد عجاج، الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط2، 1428 هـ - 2007 م.

- 250 - الكزبي. محمد أحمد مصطفى، العدالة تعريفها، مكانتها في الشريعة الإسلامية وأهم أنواعها، د ط، دت.
- 251 - الكيالي. عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، لبنان، ج 6.
- 252 - مجموعة باحثين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 1425 هـ - 2004 م.
- 253 - محمود. زعرور إبراهيم، مظاهر الحضارة العربية في الإسلام في العصور الوسطى دمشق، منشورات جامعة دمشق، د.ط، 2006م.
- 254 - المزاري. الأغا بن عوده، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح، يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، 2009، ج 1.
- 255 - المسعودي. أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، مطبعة بيكار وشركائه، تونس، ط3، 1323.
- 256 - المطوي. محمد العروسي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406 هـ - 1986 م.
- 257 - المطيري. حاكم، الحرية أو الطوفان، دراسة موضوعية للخطاب السياسي الشرعي ومراحل التاريخ، 2003 م.
- 258 - المليي. مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق، محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت، ج2.
- 259 - المظفر. محمد رضا، السقيفة، موقع الضياء للدراسات المعاصرة، النجف، العراق، 1400 هـ.
- 260 - موسى. عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، دت.

- 261 - موير. وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ - 1995م.
- 262 - مؤنس. حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1407هـ - 1987م.
- 263 - الناصري. أبو العباس أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح، جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج 3.
- 264 - نصر الله. سعدون عباس، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172 - 223 هـ / 788 - 835 م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1408 هـ - 1987 م.
- 265 - نصر الله. سعدون عباس، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985م.
- 266 - النشار. محمد محمود، تأسيس مملكة البرتغال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1995م.
- 267 - الهاشمي. السيد أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، قر و تع، يحي مراد، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، د ط، د ت.
- 268 - هوارى. زهير، السلطة والمعارضة في الإسلام، بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11 - 132 هـ / 612 - 750 م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م.
- 269 - هوبكنز. ج. ف. ب، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر، أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980.
- 270 - وات. مونتغمري، في تاريخ اسبانيا الإسلامية، تر، محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.
- 271 - وافي. علي عبد الواحد، عبد الرحمان بن خلدون حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، الجمهورية العربية المتحدة، مكتبة مصر، د ت، د ط.

272 - الوراكلي. حسن، لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، دراسة و بيبليوجرافية، منشورات عكاظ، 1408 هـ، د ط.

273 - يحيى. جلال، المغرب الكبير، الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.

274 - ياقوت. محمود سليمان، فن الكتابة الصحيحة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

ب - باللغة الفرنسية:

275 - De Oriola. Antonio , Cortada , «LA COURONNE D'ARAGON ET LES HAFCIDES AU XIIIe(1229 – 1301)».

276 - GIEDROYC. RMUALD, RESUME DE L'HISTIRE DU Portugal AU XIX ° SIECLE, LIBRAIRIE D'AMYOT, EDITEUR, PARIS.

277 - GSELL. STÉPHANE, HISTOIRE ANCIENNE DE L'AFRIQUE DU NORD , TOME I, LIBRAIRIE HACHETTE, PARIS.

3 - الرسائل الجامعية:

278 - أحمد الدرة. عبد القادر علي، العلماء الشهداء في الأندلس (400 – 897 هـ / 1009 – 1492 م) ، أطروحة ماجستير في التاريخ (مرقونة)، قسم التاريخ، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، العام الدراسي، 1430 هـ – 2009م.

279 - بحري. السعيد، الشعر في ظل الدولة الحفصية، دراسة تاريخية فنية، أطروحة ماجستير، تخصص، الأدب العربي القديم، (مرقونة)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 1427 هـ – 1428 هـ / 2006 – 2007.

280 - بشار. قويدر، دور أسرة البرامكة في تاريخ الخلافة العباسية، أطروحة ماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1985 – 1986.

281 - بكاي. هوارية، العلاقات الزبانية المرينية سياسيا وثقافيا، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2007 – 2008.

282 - بلعيدى. سهيلة، شعر أبي حمو موسى الثاني الزياني (دراسة موضوعية وفنية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم، (مرقونة)، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، السنة الجامعية، 1428 هـ - 1429 هـ / 2007 م - 2008 م.

283 - بن أحمد. نادية، تنظيم السلطة السياسية في الجزائر منذ 1989، أطروحة ماجستير، تخصص، سياسات مقارنة، (مرقونة)، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2012 - 2013.

284 - بن فريحة. عبد المالك، القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية، أطروحة ماجستير، تخصص، تاريخ وحضارة اسلامية، (مرقونة)، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، السنة الجامعية، 1435 - 1436 هـ / 2014 - 2015 م.

285 - بوحسون. عبد القادر، الأندلس في عهد بني الأحمر، دراسة تاريخية وثقافية، (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1433 هـ - 1434 هـ / 2012 م - 2013 م.

286 - بوخضار. فايذة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية)، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية، (مرقونة)، معهد الآثار، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2010 - 2011.

287 - بوشريط. أحمد، ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي 300 هـ - 460 هـ / 912 م - 1067 م، أطروحة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ علم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1432 هـ - 1433 هـ / 2011 - 2012 م.

288 - بوشيبان. عيسى، التعددية السياسية في الفكر الاسلامي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، تخصص، أصول الفقه، (مرقونة)، قسم الشريعة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، السنة الجامعية، 1435 هـ - 1436 هـ - 2013 م / 2014 م.

- 289 - بوعامر. مريم، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و 9 هـ / 13 و 15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ والآثار، شعبة تاريخ المغرب الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010م.
- 290 - جابر الحربي. علي بن علي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1401 هـ - 1981 م، السعودية.
- 291 - جاسم. فاخر، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة، أطروحة دكتوراه، تخصص، العلوم السياسية، (مرقونة)، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008.
- 292 - جرار. ماهر سهيل، ابن الأبار الأندلسي الأديب (595 - 658 هـ / 1198 - 1259م)، أطروحة ماجستير، تخصص الأدب العربي، (مرقونة)، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، حزيران، 1983م.
- 293 - الجرايدة. جمالات محمود نايف، السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، أطروحة ماجستير، تخصص، أصول التربية، (مرقونة)، عمادة الدراسات العليا، قسم أصول التربية - التربية الإسلامية، كلية التربية، الجامعة الإسلامية - غزة، 1431 هـ / 2010م.
- 294 - خالدي. رشيد، دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7 و 8 هـ / 13 و 14 م، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، تخصص، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية، 1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011م.
- 295 - حال. هبة محمد، النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، الدراسات العليا، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنها، السنة الجامعية، 2013م.
- 296 - دراجي. محمد، الإطار العام للسلطة والمسئولية في الفكر الإداري الإسلامي، أطروحة ماجستير في الحقوق والعلوم الادارية، (مرقونة)، كلية الحقوق والعلوم الإدارية، ابن عكنون، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1425 هـ / 2004م.

- 297 - ذوقان. وجيه لطفي، ولاية العهد في العصر الأموي (41 هـ / 661 م - 132 هـ / 750 م)، أطروحة ماجستير، تخصص، التاريخ، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1426 هـ / 2005م.
- 298 - الذيابات. آمنة محمود عودة، الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316 - 423 هـ / 928 - 1030 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ، (مرقونة)، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 1999 - 2000.
- 299 - رزقي. عبد الرحمان، النظم الإسلامية في الأندلس، الكتابة نموذجاً 316 - 422 هـ / 929 - 1031م، أطروحة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، الجزائر، السنة الجامعية، 1431 - 1432 هـ / 2010 - 2011 م.
- 300 - أبو زهري. سامي حمدان، يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، عمادة الدراسات العليا، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ذو القعدة 1424 هـ - يناير 2004م.
- 301 - السائس. هيثم محمد محمد، الحجابة في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة بني مرين 86 - 869 / 681 - 1465 م، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (مرقونة)، قسم التاريخ والآثار المصرية الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1434 هـ / 2013 م.
- 302 - أبو سدرية. خديجة عبد الله علي، الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرائية والثقافية في المغرب الادنى خلال العصر الحفصي من القرن السابع إلى التاسع الهجري / القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر الميلادي، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة السابع من ابريل، الزاوية، 2006 م.
- 303 - ابن سعد الحسيني. عبد الرحمان، منهج الإسلام في سلامة الإنسان، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، قسم العلوم الشرطية / حماية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف للعلوم الأمنية، السعودية، 1425 هـ - 1426 هـ.

- 304 - ابن سعيد. سعيد بن مسفر، المذحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (ت 776 هـ): البعد والتشكيل، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا العربية، فرع الأدب، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة، السعودية، 1422 هـ - 1423 هـ.
- 305 - السليحات. أماني عادل عطا، الحجابة في الأندلس ودورها الوظيفي، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م.
- 306 - سيدي موسى. محمد الشريف، الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري (13 - 16م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1421 - 1422 هـ / 2000 - 2001م.
- 307 - شنعة. خديجة، اعتناق البربر للإسلام، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص الدين والمجتمع، (مرقونة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1432 - 1433 هـ / 2011 - 2012 م.
- 308 - صبح. محمد علي محمود، إدارة الدولة في الإسلام، دراسة تأصيلية لمفهوم إدارة الدولة في الفكر السياسي الإسلامي، أطروحة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، 2011م.
- 309 - طريفة. حميد، ابن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، دراسة موضوعية فنية، (مرقونة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1430 - 1431 هـ / 2009 - 2010.
- 310 - عابد. فريال عبد القادر بكر، منهج القرآن في المرحلة المدنية في تقرير مسائل الاعتقاد، أطروحة ماجستير، تخصص، العقيدة، (مرقونة)، الدراسات العليا، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1434 هـ - 2013م.
- 311 - العباشنة. خلدون خليل سليم، ابن خلدون والتاريخ، ، أطروحة دكتوراه، تخصص، تاريخ، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الثاني، 2010م.
- 312 - عبدلي. الأخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 - 962 هـ / 1236 - 1554 م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 1425 - 1426 هـ / 2004 - 2005 م.

313 - عبده حال. هبة محمد، النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)، أطروحة مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ، الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، 2013م.

314 - عزيز الأعرجي. نضال مؤيد مال الله، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني " 685 - 706 هـ / 1286 - 1306 م " دراسة سياسية و حضارية، أطروحة من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425 هـ / نيسان 2004 م.

315 - العصيمي. إيمان بنت دخيل الله، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201 هـ - 897 هـ) (817 م - 1492 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1430 هـ - 2009 م.

316 - عطية. أمال سالم، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (ق 13 - 14 م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، تخصص، الغرب الإسلامي، تاريخ وحضارة، (مرقونة)، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر، السنة الجامعية، 1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016 م.

317 - عمارة. سماعين، الآثار السياسية للهجرة المالكية في المغرب الأدنى والأوسط من سنة 443 هـ / 543 هـ إلى سنة 1052م- 1152 م، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2010 - 2011.

318 - عمارة. سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7 هـ / 13 م) ودورهم الثقافي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، (مرقونة)، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانبا -، السنة الجامعية، 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م.

- 319 - العمارة. محمد نايف، التاريخ السياسي لمدينة بنسية 399 - 495 هـ / 1008 - 1102م، أطروحة دكتوراه، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، تشرين أول، 1995م.
- 320 - عياش. محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان (دراسة تاريخية وأثرية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، (مرقونة)، معهد الآثار، تخصص، آثار إسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2005 / 2006.
- 321 - غربي. محمد، أصول الفلسفة السياسية والأخلاقية في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي هو موسى الزياني الثاني، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التنظيم السياسي والإداري، (مرقونة)، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1423 هـ / 2002 م.
- 322 - غرداين. مغنية، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين، دراسة مقارنة (ق 5 - 7 هـ / 11 - 13 م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقائد، تلمسان، السنة الجامعية، 1436 - 1437 هـ / 2015 - 2016م.
- 323 - فرج. صلاح الدين طلب، الدور الإنساني للنظام السياسي الإسلامي في زمن السلم، أطروحة ماجستير، تخصص الفقه المقارن، (مرقونة)، قسم الفقه المقارن، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1427 هـ - 2006 م.
- 324 - القحطاني. علي أحمد عبد الله، الدولة العامرية في الأندلس، دراسة سياسية وحضارية (368 - 399 هـ / 978 - 1009 م)، أطروحة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، السنة الجامعية، 1401 هـ - 1981 م.
- 325 - قدور. منصورية، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية 633 هـ - 1236 م / 962 هـ - 1554 م، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعية، 1432 هـ - 1433 هـ / 2011 م - 2012 م.

- 326 - أبو لبدة. سهيل أحمد، تطور جهاز الشرطة في صدر الإسلام والعهد الأموي، (1 هـ - 132 هـ / 622 - 750 م)،، أطروحة ماجستير في التاريخ، (مرقونة)، قسم التاريخ والآثار، عمادة الدراسات العليا، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية - غزة، 1432 هـ - 2011م.
- 327 - لونس. فريدة، الدور السياسي للتعليم في دولة الموحدين (524 هـ - 667 م) / (1130 م - 1270 م)، أطروحة للحصول على شهادة الماجستير في تاريخ المغرب والمشرق الإسلامي، (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، السنة الجامعية، 2011 - 2012.
- 328 - محاسنة. أحمد توفيق محمد، الحياة السياسية في دولة بني الأحمر من 629 هـ / 1232 م إلى 897 هـ / 1492 م، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، تموز، 1997.
- 329 - مزدور. سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 - 927 هـ / 1192 - 1520 م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429 - 1430 هـ / 2008 - 2009 م.
- 330 - المسعودي. جميلة سبطي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ / 1224 م وحتى سنة 893 هـ / 1488 م، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية، 1421 هـ / 2000 م.
- 331 - الهباش. محمد فاروق محمد، النظام السياسي في ضوء القرآن الكريم، دراسة قرآنية موضوعية، أطروحة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، (مرقونة)، قسم التفسير وعلوم القرآن، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 1421 هـ - 2011م.
- 332 - ابن هلال السلمي. إبراهيم بن عطية الله، العدة الاندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الأسيبان (422 هـ - 867 هـ / 1030 م - 1462 م)، دراسة سياسية حضارية، أطروحة مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 1430 هـ.

333 - هلال. فؤاد، خطة مشيخة الغزاة بين بني الأحمر وبني مرين 670 هـ - 783 هـ /
1271 م - 1381 م، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ،
تخصص، تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة
الجامعية، 2008 - 2009.

334 - الوادعي. علي حافظ بن سالم، فقه الدعوة في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى
الملوك والأمراء، أطروحة ماجستير، (مرقونة)، كلية الدعوة، جامعة طيبة، السعودية، العام الجامعي،
1425 - 1426هـ.

335 - واعظ. نويوة، أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580 هـ - 1184 م / 633 هـ
- 1235 م، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، (مرقونة)، قسم التاريخ والجغرافيا،
المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الانسانية، بوزريعة، الجزائر، السنة الجامعية، 2007 -
2008م.

336 - ولد خسال. سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء نظام سياسي بين سنة (633
هـ - 922 هـ)، أطروحة ماجستير في أصول الفقه، (مرقونة)، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية،
جامعة الجزائر.

337 - ياسين. بلال خليل، منهجيات الإصلاح والتغيير في سوري الأنبياء والحج، دراسة
موضوعية، أطروحة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، (مرقونة)، السنة الجامعية، 1433 هـ / 2012م،
عمادة دراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية ، غزة،
فلسطين.

338 - Lachachi. Amina, Médersas Mérinides : Al Bou Inaniyya de Fès
et Sidi Boumediene de Tlemcen, Etude comparative, Mémoire pour
l'obtention du diplôme de magistère, Spécialité, Archéologie du Magreb
Islamique, publier, Département d' histire et d'archéologie, Filière
d'archéologie, Faculté des sciences humaines et sciences sociales,
Université Abou Beker Belkaid, Tlemcen, Année universitaire 2013 - 2014.

4 - المجلات والدوريات:

أ - باللغة العربية:

339 - بني ياسين. يوسف أحمد، نهاية الخلافة الأموية في الأندلس قراءة في المجرى والأسباب، 414 - 422 هـ / 1023 - 1031 م، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 38، ع 1، 2011م، الأردن.

340 - الجعفر. زين العابدين موسى، الكتابة الرسمية في صدر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مجلة آداب البصرة، العدد، 56، السنة 2011، العراق.

341 - أبو ريان. محمد علي، تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، مج 9، ع 1، دت.

342 - الأمراني. محمد بن أحمد، مكانة تازة العلمية من خلال النصوص التاريخية والإنتاجات الأدبية والفقهية، مجلة دعوة الحق، ع 286 صفر/ربيع 1/ربيع 2 / شتنبر-أكتوبر-نونبر 1991، الرباط، المغرب.

343 - إدريس. أحمد وآخرون، المغرب العربي وقضايا الهوية، مركز الدراسات المتوسطية والدولية، ع 07، جانفي / يناير 2012م.

344 - اشماعو. محمد بن أحمد، مدينة سلا و ابن الخطيب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، ربيع الأول 1391 - ماي 1971، س 14- ع 5.

345 - بكار. عبد الرحمان صالح، العلوم التطبيقية عند المسلمين، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، - المرج - جامعة بنغازي، ع 22، 27 نوفمبر، 2016م.

346 - بلحميسي. مولاي، نهاية دولة بني زيان، مجلة الأصالة، ع 26.

347 - بلعربي. خالد، الصراع العسكري الزياني المريني: أسبابه وتناججه، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 14، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، شعبان 1431هـ/ 2010م.

348 - بلعربي. خالد، الحركة العلمية بسببته في العهد المريني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، ع 2، شتاء 1436 هـ - 2015 م.

349 - بن عمر. علال، قسنطينة في العهد الحفصي، محور صراع وتنافس بين دول المغرب الإسلامي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ع 3، نوفمبر 2015م.

- 350 - بن قومار. لخصر، مفهوم العدل في الاسلام ونماذج من روائعه، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الاسلامية، مج 1، ع ت، جامعة غرداية، 2017م.
- 351 - بوداود. عبيد، (تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية والمرينية)، مجلة عصور، مخبر الأطروحة التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، جوان - ديسمبر 2005، ع 6 - 7.
- 352 - بوعقادة. عبد القادر، هل المغرب الأوسط خرافة؟، عصور الجديدة، ع 21 - 22، شتاء- ربيع، (ماي) 1437هـ/2016م.
- 353 - بوغازي. حكيم، منهجية البلاغة وعقلنة الاصطلاح - كتاب التنبيهات لابن عميرة أمودجا -، مجلة مقاليد، ع 12، جوان 2017م.
- 354 - التويجري. نورة بنت محمد بن عبد العزيز، الصراع بين أبناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة، مجلة جامعة أم القرى، س 10، ع 15، 1427هـ.
- 355 - التازي. عبد الهادي، ابن الخطيب سفيراً ولاجئاً سياسياً، مجلة كلية الآداب، تطوان، المغرب، ع 2، س 2، 1987م.
- 356 - الجندي. أنور، علمية الإسلام، مجلة اقرأ، ع 426، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 357 - حسين. أحمد ضياء الدين، أثر الغلو على فكر الإنسان وتفكيره، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج 27، ع 5.
- 358 - حركات. ابراهيم، آثار الفتح الإسلامي في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رجب 1380 - دجنبر 1960، س 4 - ع 3.
- 359 - حركات. ابراهيم، تحليل موجز لمقدمة ابن خلدون، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رمضان 1386 - يناير 1967، س 10 - ع 3.
- 360 - جهازكتي. فاطمه علي نزاد، الافتتان والإفاداة في رسائل ابن خلدون وابن الخطيب، مجلة دراسات الأدب المعاصر، س 9، 1396، ع 35.
- 361 - الحريري. محمد عيسى، الوطاسيون و دورهم السياسي في المغرب الأقصى، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ع 8، 1978.

- 362 - حميش. بنسالم، عن سيرتي ابن بطوطة، وابن خلدون، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2014.
- 363 - خديجة. بورملة، انتشار المذهب المالكي بالأندلس على عهد الإمارة الأموية (138 - 316 هـ / 756 - 929 م)، مجلة عصور الجديدة، ع 15.
- 364 - خلف. عبد رب الحسن حسن، الكتابة ومكانتها الحضارية عند العرب، مجلة كلية الآداب، ع، 97.
- 365 - دهينة. عطاء الله، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع 13، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، جانفي 1976م.
- 366 - دياب. علي محمد، مفهوم الإقليم وعلم الأقاليم من منظور جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، مج 28، ع 2.
- 367 - رشيد. يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، طباعة منشورات زين الحقوقية والأدبية، بيروت، لبنان، س 1، ع 2، 1436 هـ - 2015 م.
- 368 - رابدة. ميساء علي، السياسة الخارجية في ضوء السنة النبوية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2015 م، مج 12، ع 2.
- 369 - رواشده. أريج عاطف، رسالة ملك غرناطة (محمد السادس بن إسماعيل/البرميخو)، إلى ملك أراغون "بيدرو الرابع" سنة 762 هـ "دراسة موضوعية فنية"، Vol 52, No5, 5102, IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza).
- 370 - زاوي. بوبكر، عبد الرحمان بن خلدون والسلطة الزيانية (767 هـ - 780 هـ / 1366 م - 1379 م)، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، منشورات جامعة الجليلي ليايس، بلعباس، الجزائر، ع 3، 1437 / 2016.
- 371 - زمامة. عبد القادر، لسان الدين إبن الخطيب في المغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، فبراير 1964 - شوال 1383، س 7 - ع 5.

- 372 - زمامة. عبد القادر، لسان الدين ابن الخطيب 2، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، مارس 1964 - ذو القعدة 1383، س 7- ع 6.
- 373 - سالم. سحر عبد العزيز، مجلة المعهد المصري للبحوث والدراسات، مدريد، اسبانيا، مج 28، 1996.
- 374 - الساير. محمد عويد، أدب ابن عاصم الغرناطي (ت 857هـ)، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، ع 3، س، 2010، ص 142.
- 375 - السيد. خالد عزب محمد، مع ابن خلدون في رحلته، تقديم، إسماعيل سراج الدين، مجلة كتاب اليوم، عدد تذكاري، دار أخبار اليوم، ع 489، ديسمبر 2006، القاهرة، مصر.
- 376 - شبانة. محمد كمال، المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، صفر 1386 - جوان 1966، س 8- ع 9.
- 377 - شيخخة. جمعة. مجلة دراسات أندلسية، ع 2، خاص بابن الأبار، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ / 1989 م.
- 378 - صالح. سليمان بوبكر، مفهوم المنطق ونشأته في الفكر الإسلامي، المجلة الليبية العالمية، كلية التربية، المرج، جامعة بنغازي، ع 24، 25 يوليو 2017م.
- 379 - الطنجي. محمد، الضمانات التي يعطيها الاسلام للسلطة الاسلامية في البلاد، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، رجب 1377 - فبراير 1958، س 1- ع 8.
- 380 - العبادي. أحمد مختار، لسان الدين بن الخطيب وكتاباتة التاريخية، مجلة عالم الفكر، مج 6 - ع 2.
- 381 - عبد الحميد. عفاف عبد الجبار، الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز (796 هـ - 837 هـ / 1393م - 1433م)، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، قسم التاريخ، ع 95.
- 382 - عزرودي. نصيرة، هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ - 13 إلى القرن 8هـ - 14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 04، ديسمبر 2009 م.

- 383 - عمارة، سيدي محمد، المعلم الناجح... صفات ومقاربات، مداخلة دولية في المؤتمر الدولي بفقصة في تونس، مارس 2018 م.
- 384 - عمارة، سيدي محمد، (تصرفات المسلمين وأثرها في الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم). مقال تحت النشر.
- 385 - عمارة، سيدي محمد، () (المشكلات الاجتماعية وطرق علاجها في منظور الشريعة الاسلامية))، مداخلة دولية في الندوة العلمية السنوية الموسومة: بكلية الامام الأعظم سامراء العراق الأربعاء 22 رجب 1438 هـ الموافق 19 / 4 / 2017.
- 386 - عنان. محمد عبد الله، وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري، صحيفة المعد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد، اسبانيا، مج 2، ع 1 - 2، 1373 هـ - 1954 م.
- 387 - عنان. محمد عبد الله، موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها، وأمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموماً، مجلة الأضالة، ع 27.
- 388 - الفاهم. نصر محمد الكيلاني، دور العقل في الفكر العقدي الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع 9، محرم 1428 هـ / فبراير 2007 م.
- 389 - فرقور. نبيل، حرية المعتقد وحكم الردة في الشريعة الاسلامية، مجلة المنتدى القانوني، ع 5.
- 390 - القليطي. سامي بن علي، ظاهرة الغلو في الدين، دراسة وتحليل، مجلة جامعة طيبة، العلوم التربوية، س 1، هـ 2، 1426 هـ.
- 391 - الكتاني. محمد عبد المالك، أسباب مصرع ابن الخطيب بين السياسة والتصوف، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، محرم الحرام 1392 - مارس 1972، س 15 - ع 1.
- 392 - كريم. عبد الكريم الجانبي السياسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، المغرب، صفر 1397 - يناير 1977، س 18 - ع 1.
- 393 - كنعان. قصي رياض، السمات الثقافية للمجتمع الإسلامي دراسة في الانثروبولوجية الثقافية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج 8، ع 1/15، 1435 هـ - 2014 م.

394 - مجموعة باحثين، المناهل، عدد خاص بسبته، ع22، السنة9، ربيع الاول 1402هـ/
يناير 1982.

395 - محسن. حمزة، اللجوء السياسي وتأثيره في العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة العربية
الاسلامية ودول المغرب العربي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، مجلة جامعة أهل البيت،
ع8.

396 - محي الدين. صفى الدين، دخول المذهب المالكي إلى الأندلس وعوامل انتشاره فيها.-
دورية كان التاريخية- العدد الثالث عشر؛ سبتمبر 2011.

397 - المدني. أحمد توفيق، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين 1530 - 1554 م، مجلة
الأصالة، ع 26.

398 - المريني. عبد الحق، نظرات على مقام لسان الدين بن الخطيب بعدوة المغرب من خلال
بعض أشعاره، أعمال الندوة الدولية، فاس، 15 - 16 نوفمبر 2013م، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم
والثقافة، ايسيسكو، 1439 هـ / 2017م.

399 - مصطفى. نادية محمود، أفكار حول إسهام التراث الخلدوني في الفكر الدولي والنظرية
الدولية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة 13، ع 51، شتاء 1428 هـ / 2007م.

400 - معروف. ضياء يوسف، الحجابة في الدولة العباسية حتى نهاية العصر البويهى، مجلة آداب
البصرة - كلية الآداب - جامعة البصرة - العراق، ع53، 2010م.

401 - المنوي. محمد، " تعريف بالدولة المرينية "، دعوة الحق، ع 3، س 8، رمضان، 1384 هـ
- جانفي 1965 م.

402 - المودودي. أبو الأعلى، النظام السياسي في الاسلام، مجلة دعوة الحق، وزارة عموم
الأوقاف، الرباط، المغرب، فاتح نوفمبر 1959 - 29 ربيع الثاني 1379، س 3- ع 2.

403 - نجادي. بوداعة، " علم الحديث و رواه بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري
"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 16، منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جمادى الثانية
1433 هـ - ماي 2012 م.

- 404 - نزال. فوز سهيل، الأمير الأموي عبد الرحمان بن الحكم (الأوسط)، دراسة في نثره وشعره، مجلة دراسات، مج 38، ع2، س2011، الجامعة الأردنية.
- 405 - الوائلي. رعد ناصر، دفع الهزيمة عن شعر أبي المطرف بن عميرة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العراق، ع9.
- 406 - وهراني. قدور، رسوم وتقاليد تعيين الحجاب بالأندلس في العهد الأموي (138 - 422 هـ) (756 - 1031م)، مجلة الحوار المتوسطي، ع7، ديسمبر 2014م، جامعة بلعباس.
- 407 - اليوزيكي. توفيق سلطان، الحضارة الإسلامية في الأندلس وأثرها في أوروبا، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مج5، ع 20، 1431 هـ - 2010م.
- 408 - اليوزيكي. توفيق سلطان، نظام الحجاب في النظم العربية الإسلامية: دراسة مقارنة 41 - 447 هـ / 661 - 1055م، مجلة آداب الرافدين، ع 22، 1991م، العراق.

ب - باللغة الأجنبية:

- 409 - AMARA. Allaoua, Ibn Khaldoun et l'Occident chrétien », EI-MIAAR, N : 11, choul 1426 / Novembre, 2005.
- 410 - AMARA. Allaoua, « Ibn Khaldoun et les Berbères », Revue des Lettres et Sciences Humaines , n 7 , shawwal 1427 / novembre 2006.
- 411 - B. O ber. William ,THE PLAGUE AT GRANADA , 1348 - 1349 : IBN AL- KATIB AND IDEAS OF CONTAGION , Bull. N . y Acad. Med.
- 412 - Braudel. F, " Les Espagnols Et L'Afrique Du Nord De 1492 A 1577, Revue Africain, Alger ,odfu, Volume 69, 1928.
- 413 - Jadla. Brahim, " Le Magrebe de l' expedition mérinides au périple de Léon l'Africain " , Cahiers de recherches médiévales et humanistes, 21, 2011.
- 414 - (J.-D.). LUCIANI , " LA THEORIE DU DROIT MUSULMAN" d'après IBN KHALDOUN, REVUE AFRICAINE , volume 69, année 1928, A. JOURDAN, LIBEAIRE- EDITEUR, ALGER,-
- 415 - Marçais. George, " Tlemcen Ville D'Art Et D'Histoire " , Revue Africain , 1936, Alger ,odfu, Volume 79, 1936, T1.

416 - Othman. Raihan, Contributions of Muslim Scientists to
Medicine and Related Sciences , IIUM Press, International Islamic
University Malaysia , First Edition , 2011.

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

44-18 الفصل التمهيدي: النظام والسلطة في الاسلام دلالة المصطلح وأهمية المؤدى

26-18 1 - النظام السياسي في الإسلام

19-18 أ - النظام (لغة واصطلاحاً).

20-19 ب - السياسة (لغة واصطلاحاً)

21 غايات النظام السياسي في الاسلام

25-22 خصائص النظام السياسي في الاسلام

26-25 قواعد النظام السياسي في الاسلام

27-26 2 - أركان الدولة ومقوماتها الأساسية

26 1 - الشعب

26 2 - الإقليم (الأرض)

33-27 3 - السُّلطة (الحكومة)

27 أ- لغةً

30-27 * السُّلطة في القرآن الكريم

31 * السُّلطة في السنة النبوية

33-32 ب - اصطلاحاً

35-34 أنواع السلطة في الاسلام

35-34	*** استقلالية التشريع والقضاء والتنفيذ
36	3 - أهمية السلطة في المجتمع الإسلامي
40-36	حكم السلطة والنظام في الإسلام
44-41	حكم إيجاد السلطة السياسية في الإسلام
الفصل الأول: الأوضاع السياسية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري (13-)	
93-46	15م).....
49-46	1- التحديد الجغرافي لبلاد المغرب والأندلس
48-46	أ- بلاد المغرب
49-48	ب - الأندلس
93-50	2 - المغرب والأندلس ما بعد الموحدين
61-50	أ - دولة بني حفص (625-981 هـ / 1228 - 1574 م)
72-61	ب- دولة بني عبد الواد (الزيانية) (633 - 962 هـ/1235-1554م)
83-72	ج- دولة بني مرين (610 - 869 هـ / 1213 - 1465 م)
93-83	د - دولة بني الأحمر (635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م)
الفصل الثاني: تطور الوظائف السلطانية تاريخياً من عصر النبوة إلى القرن السابع الهجري (13م) ..	
96-95	1 - ماهية الوظائف السلطانية وأهميتها
102-96	أ- الوزارة
97-96	المفهوم اللغوي
102-97	المفهوم الاصطلاحي
104-102	ب- الكتابة

104-102.....	المفهوم اللغوي
104.....	المفهوم الاصطلاحي
107-105.....	ج- الحجابة
106-105.....	المفهوم اللغوي
107-106.....	المفهوم الاصطلاحي
130-107.....	2 - تطور الوظائف السلطانية تاريخياً من عصر النبوة إلى القرن السابع الهجري (13 م)
116-107.....	1- الوزارة
126-116.....	2 - الكتابة
130-126.....	3 - الحجابة
الفصل الثالث: الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري(13-15م)	
194-132.....	15م)
149-132.....	1 - الوظائف السلطانية في الدولة الحفصية
162-149.....	2 - الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية
180-162.....	3 - الوظائف السلطانية في الدولة المرينية
194-180.....	4 - الوظائف السلطانية في الدولة النصرية
الفصل الرابع: نماذج من الشخصيات التي تولت الوظائف السلطانية في المغرب والأندلس خلال فترة البحث	
251-197.....	البحث
207-197.....	1- ابن عميرة (582 - 658 هـ / 1186 - 1260م)
198-197.....	أ- نسبه
199-198.....	ب- حياته العلمية

- ج - شيوخه..... 200-199
- د - المناصب التي تقلدها 205-200
- هـ - مكانته وشهادات الأعلام فيه..... 207-205
- و - مؤلفاته 207
- 2- ابن الأثير (595 - 658 هـ / 1199 - 1260 م)..... 219-208
- أ- نسبه ومولده..... 208
- ب - طفولته ونشأته العلمية 210-209
- ج - الوظائف التي تقلدها 217-210
- د - محنته ومقتله 219-217
- هـ - مكانته وشهادات الأعلام فيه..... 194-132
- و - آثاره العلمية والأدبية 194-132
- 3- عبد الرحمان ابن خلدون (732 - 808 هـ / 1331 - 1405 م)..... 235-220
- أ- اسمه ونسبه 220
- ب- مولده 221-220
- ج- حياته العلمية والعملية 234-221
- د- وفاته 234
- هـ- مؤلفاته وآثاره 234
- و- مكانته وما قيل فيه 235-234

251-235	4- ابن الخطيب (713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م)
236-235	أ- اسمه ونسبه
237-236	ب- مولده ونشأته
238-237	ج- طلبه العلم
246-238	د- وظائفه السلطانية
249-246	هـ- ظروف مقتله
249	و- آثاره العلمية
251-249	ي- مكانته وما قيل عنه
263-253	خاتمة
268-265	الملاحق
285-270	الفهارس العامة
329-287	قائمة المصادر والمراجع
333-330	فهرس الموضوعات